

سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٥

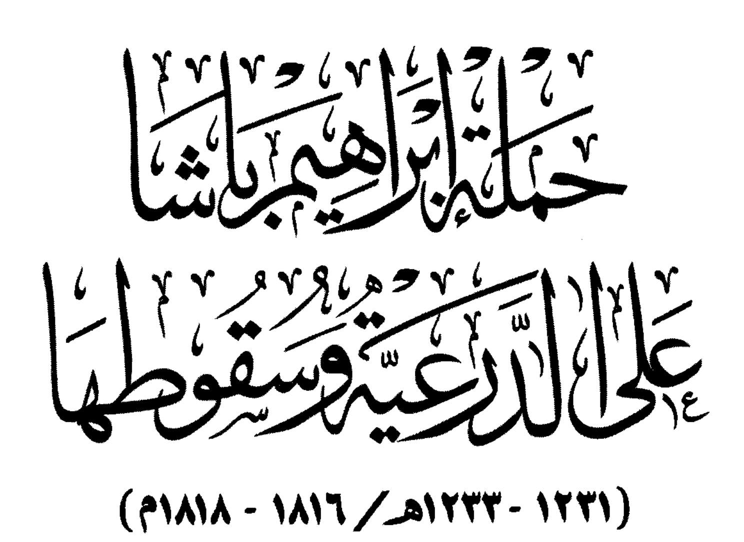
٢٤٤

حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها

(١٢٣١ - ١٢٣٣هـ / ١٨١٦ - ١٨١٨م)



فاطمة بنت حسين القحطاني



(١٢٣١ - ١٢٣٣هـ/ ١٨١٦ - ١٨١٨م)

فاطمة بنت حسين القحطاني

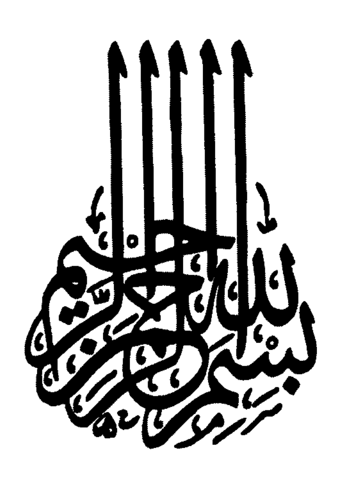
١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني، فاطمة حسين
حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها ١٢٣١ ـ ١٢٣٣هـ.
فاطمة حسين القحطاني.
الرياض، ١٤٣١هـ.
٣٩٦ ص؛ ٢٤X١٧ سم
ردمك: ٣ ـ ٠٦ ـ ٨٠٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ السعودية ـ تاريخ ـ الدولة الأولى ٢ ـ إبراهيم باشا، إبراهيم بن محمد علي ٣ ـ الدرعية (السعودية) ـ تاريخ
أ .العنوان
ديوي: ٩٥٣,١٠١ ١٤٣٠/٧٣٧٨
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٧٣٧٨
ردمك: ٣ ـ ٠٦ ـ ٨٠٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨


حملة إبراهيم باشا
على الدرعية وسقوطها
(١٢٣١ - ١٢٣٣هـ / ١٨١٦ - ١٨١٨م)


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المختار الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من نعم الله تعالى على هذه المباركة أن هيأ لها قيام الدولة السعودية الأولى على ترابها الطاهر، الذي يحوي بين أحنائه الحرمين الشريفين، مهوى أفئدة المسلمين، وقبلة وجوههم وصلاتهم؛ فقد نقلت هذه الدولة الخيرة الجزيرة العربية نقلات حضارية متتابعة، ومكن الله على أيدي حكامها الأجلاء تحكيم شرعه المطهر، وإزالة ما تراكم في عقول بعض أهلها من خرافات البدع وانحرافات المعتقد، وأضاء الله بها أنوار الجهل، وطوى بجهودها صفحات من ويلات التفرق، وفتح على يديها أبواب الخير، ونوافذ الإشراق نحو المستقبل الواعد، والارتقاء الزاهر.

وإن الذي يتأمل تاريخ هذه الدولة المباركة ليوقن تمام اليقين بالحاجة الماسة إلى قيامها، ويلمس بصورة جلية النتائج المشرقة التي تحققت على أرض الواقع من جراء نهوضها، حيث التفت القلوب عليها، إيمانا منها بنبل مقصدها، ووضوح أهدافها التي ارتبطت بنشر الشريعة الإسلامية، وإقامة الوحدة الإيمانية، وتطهير البلاد من كل دنس وزيف، وتمكين أهل هذه الأرض من الأخذ بأسباب التطور، والنهل من موارد العلم الصافية، والإسهام في نهوض البشرية بما يحملونه من مبادئ إنسانية راقية.

وعلى رغم ذلك لم تسلم من حقد الحاقدين، وتسلط المتجبرين الذين تربصوا بها الدوائر، وحاولوا تشويه صورتها المشرقة بأكاذيب ملفقة، ومزاعم واهية. فلما لم ينجحوا سعوا نحو إسقاطها بقوة السلاح، وكان لهم ما أرادوا حيث سقطت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ولكن الله هيأ لها أن تقوم سريعا مرة أخرى، وأن تنهض لأداء رسالتها، واستكمال التزاماتها.

ويعرض هذا الكتاب الذي نقدم له الدوافع السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية التي كانت وراء إرسال حملة إبراهيم باشا لإسقاط هذه الدولة الخيرة، ويبين مراحل سير هذه الحملة حتى وصولها إلى الدرعية، ويذكر الجهود التي بذلت لتحصين الدرعية والدفاع عنها من هذه الحملة الظالمة.

ثم يفصل الكتاب الحديث عن المعارك التي دارت في الدرعية والتي انتهت بسقوطها، ويشير إلى مواقف القوى العالمية والإقليمية من هذا السقوط، ويوضح العوامل التي أدت إليه، والنتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت عليه.

قد تناول الكتاب إلى جانب ما مضى عدداً من الموضوعات المتعلقة بهذا الحدث المهم في تاريخ المملكة العربية السعودية، ويسر دارة الملك عبدالعزيز أن تقدمه بين أيدي القراء، راجية أن يكون من وراء نشره النفع والفائدة لكل باحث وقارئ.

دارة الملك عبدالعزيز

المحتويات

مقدمة (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . وبعد:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن تأسيس الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) بتحالف الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود، كان إيذاناً بظهور قوة جديدة، وتغيرات سياسية مهمة في شبه الجزيرة العربية، تمثلت في نجاح هذه القوة في توحيد منطقة نجد تحت زعامة موحدة، وهو ما لم تشهده المنطقة منذ منتصف القرن الخامس الهجري. وقد تمكنت هذه الدولة الناشئة في نجد من أن تضم معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية، وهذا أدى إلى لفت أنظار الدولة العثمانية التي فقدت الحرمين الشريفين، فقررت العمل على القضاء على هذه الدولة الناشئة.

وتعد الدرعية مركز الثقل السياسي للدولة السعودية الأولى، بصفتها المركز السياسي الذي حضن الدعوة السلفية، ودافع عنها وعمل على نشرها، وهذا أكسبها مكانة عظيمة في نفوس أتباع الدعوة، فتمركزت فيها

(*) أصل هذا الكتاب: رسالة علمية قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود عام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

أعداد كبيرة من السكان، وازدهرت سياسياً واقتصادياً بشكل كبير، وأصبحت من أهم بلدان شبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة.

ولأن الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى أصبحت هدفاً مهماً للدولة العثمانية ـ ممثلة بواليها في مصر محمد علي باشا ـ للقضاء على الدعوة السلفية، والدولة السعودية القائمة على أساسها، خصوصاً بعد أن أخفقت عدة حملات عثمانية من العراق ومصر في مهاجمتها، فعملت على تجهيز حملة إبراهيم باشا بقوات هائلة، تمكنت أخيراً من إسقاط الدرعية بعد حصار طويل دام قرابة ستة أشهر.

ويعد حصار إبراهيم باشا الدرعية وسقوطها من أبرز الأحداث التاريخية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي ـ لكون هذا الحصار كان الوسيلة التي مكنت الدولة العثمانية من تحقيق هدفها في القضاء على الدولة السعودية الأولى. فكان خاتمة لسلسلة من الحملات التي شنتها الدولة لتحقيق هذا الهدف، ونموذجاً مميزاً للصراع بين قوتين عظيمتين في المنطقة، كان لعدم توازن القوى العسكرية بينهما أثر كبير في حسم الموقف الذي نتج منه سقوط الدرعية في النهاية، وما ترتب على هذا السقوط من انهيار كامل للدولة السعودية الأولى. ولذا كان موضوع الكتاب «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها ١٢٣١ ـ ١٢٣٣هـ (١٨١٦ ـ ١٨١٨م).

وقد تناول عدد من الباحثين في تاريخ الدولة السعودية الأولى هذا الحدث المهم ضمن السياق التاريخي لهذه الدولة بصورة عامة لا تغطي جميع جوانبه، من حيث الإعداد لحملة إبراهيم باشا، والقوات المحاصرة للدرعية، والاستعدادات لمواجهة هذا الحصار من قبل الدولة السعودية، وكيفية الحصار والمقاومة، والعوامل التي أدت إلى استسلام المدافعين عنها، وعلى رأسهم الإمام عبدالله بن سعود.

ويزيد من أهمية دراسة هذا الموضوع توافر عدد كبير من الوثائق الخاصة به، تتضمن مراسلات وتقارير مختلفة لشخصيات متعددة، كانت لها صلة مباشرة بهذا الحدث، وتتناول تفصيلات مهمة لم يستفد منها بما يتناسب مع أهميتها، مما يستوجب دراسة هذا الموضوع، بصورة شاملة وتفصيلية، تتوافق مع أهميته، لتصغير دائرة البحث دون الخوض في العموميات.

ـ أهداف الكتاب:

يهدف هذا الكتاب إلى توضيح أهمية الدرعية بصفتها عاصمة للدولة السعودية الأولى، وموقف الدولة العثمانية ودوافعها للقضاء على الدرعية ومواصلة التحرك العسكري ضدها على الرغم من استعادتها الحرمين الشريفين، وللتعرف إلى تفاصيل حملة إبراهيم باشا، وسيرها إلى الدرعية وحصارها لها، والمقاومة المحلية التي واجهتها من خلال تحصينات الدرعية وترتيبات الدفاع الأخرى، ومواقف القوى المختلفة من هذا الحصار، وانتهاءً بسقوط الدرعية، والعوامل التي أدت إلى ذلك، ومقارنة ميزان القوة العسكرية بين الطرفين من خلال العنصر البشري والعتاد الحربي والتمويني والوضع الإستراتيجي.

ـ الدراسات السابقة:

لم يحظ هذا الموضوع بدراسات شاملة ومستقلة عنه على الرغم من أهميته بصفته حدثاً تاريخياً، فأغلب ما ورد عنه كان ضمن إطار موضوع عام يختص بتاريخ الدولة السعودية عموماً. ومن ذلك دراسة عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم «الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ ـ ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ ـ ١٨١٨م» وهي رسالة ماجستير منشورة بالاسم نفسه تناولت تاريخ الدولة السعودية الأولى منذ قيامها حتى سقوطها، وقد تناول في أحد فصولها

حملة إبراهيم باشا على الدرعية وحصاره لها وسقوطها وأسباب هذا السقوط ونتائجه، ولكن بشكل مختصر ضمن السياق العام لتاريخ هذه الدولة، كما يلحظ أن الباحث في هذا الجزء من بحثه لم يعتمد بشكل كبير على الوثائق الخاصة بهذا الموضوع على الرغم من كثرتها واكتفى بعدد قليل منها لا يتجاوز الأربع وثائق.

ومن الدراسات التي تخصصت في دراسة الحصار دراسة محمد السلمان «بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة» وهو بحث منشور تناول المعارك التي دارت بين الطرفين في حصار الدرعية، ويلحظ أن هذه الدراسة بحاجة إلى تحقيق أكثر في دقة معلوماتها وفي أسلوب تناولها ودراستها، فضلاً عن وجود معلومات مهمة كثيرة لم يستفد منها الباحث ويمكن إضافتها.

وهناك بعض الدراسات التي تخصصت في حملة إبراهيم باشا بشكل عام، مثل دراسة عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» وهي بحث ضمن مجموعة أبحاث لتاريخ إبراهيم باشا نشرتها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، بمناسبة مرور مئة عام على وفاته عام ١٩٤٨م تحت عنوان «ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا». وقد تناول الباحث في هذه الدراسة سرداً تاريخياً لحملة إبراهيم باشا، وحصارها الدرعية، ولكنه لم يفصل في كيفية الحصار والسقوط، فكانت الدراسة مختصرة جداً لحملة إبراهيم باشا بحيث لم تتعد (٢٧) صفحة.

وكذلك دراسة أحمد مرسي عباس «العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية» وهو كتاب منشور، ومع أن الباحث فصل في موضوع حصار إبراهيم باشا الدرعية وسقوطها في مبحث خاص من هذا الكتاب إلا أنه يلحظ على هذا الكتاب عدم الاهتمام بتوثيق المعلومات، وبالنظر إلى معلوماته نجد أنها في الأغلب ترجمة حرفية من كتاب مانجان، مطعمة ببعض الروايات لابن بشر.

ـ أهم مصادر الدراسة:

١ ـ الوثائق العثمانية:

تعد الوثائق العثمانية المختصة بهذا الموضوع أهم المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة؛ وذلك لكثرتها وأهميتها في كونها مصدراً أصلياً وأولياً لهذا الموضوع، ولوجود عدد كبير منها لم يستفد منه بالشكل المطلوب سابقاً، مع وجود معلومات متعددة فيها عن هذا الموضوع لم تكن معروفة سابقاً واتصفت بالجدة.

٢ ـ المصادر التاريخية المحلية:

وفي مقدمتها كتاب عثمان بن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» الذي يعدّ من مصادر الدراسة الرئيسة، فابن بشر معاصر للأحداث، ويكاد يكون المصدر المحلي الوحيد الذي فصَّل في أحداث حملة إبراهيم باشا وحصارها الدرعية.

ومع أنه لم يكن شاهداً على أحداث الحصار، وهو معاصر لها إذ كان يبلغ من العمر وقتها نحو (٢٣) عاماً، إلا أنه كان ينقل من أناس شاركوا في حصار الدرعية، وقد وضح ذلك في أثناء حديثه عن معارك الدرعية فقال: إن جيش إبراهيم باشا استمر في حصار الدرعية ستة أشهر، صار فيها «وقعات عديدة لا يحيط بها العلم، ولا يدركها من أرادها بالقلم، فرأيت أن أكتب بعضها، فسألت عنها رجالاً حضروها وشاهدوها، فلم يتفق اثنان على قول واحد، وصرت متحيراً من هذا الاختلاف الزايد ثم تبين لي وجه الأمر، وهو أن كل رجل من أهل الدرعية في مترسه مع رفقته والروم ملازمون لهم ولا يعلم أهل هذه الجهة بصفة قتال تلك الجهة الأخرى، ولا يعلم أهل الناحية الغربية بقتال أهل الناحية الشرقية، ولا يقدر الرجل يزول عن مترسه لملازمة بعضهم بعضاً،

ولكثرة القتال والبلد كبيرة واسعة، ونواحيها بعضها عن بعض شاسعة، فلما علمت أني لم أدرك أن أذكر كل وقعة على حقيقتها وخفت من الزيادة والنقصان أعرضت عن ذكر صفة الوقعات إلا يسيراً منها»[١]. وقد اعتمدت الدراسة على كتاب ابن بشر في كثير من جوانبها خاصة في تفاصيل معارك الدرعية.

ومن المصادر المحلية الأخرى التي أفاد منها هذا الكتاب، كتاب حسين بن غنام «روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وكتاب محمد الفاخري «تاريخ الفاخري»، وكذلك كتاب إبراهيم بن صالح بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد»، وغيرها.

٣ ـ المصادر الأجنبية:

وفي مقدمتها كتاب فيلكس مانجان «تاريخ مصر في عهد محمد علي» اعتماداً على الترجمة التي طبعتها دارة الملك عبدالعزيز تحت عنوان «تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية في كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي». ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة والرئيسة في هذا الموضوع لكونه معاصراً للحملة وأحداثها إذ نقل أحداثها من بعض الجنود الذين شاركوا فيها، ولوفرة معلوماته وتحليلاته الجيدة لكثير من الحوادث. وقد نقل عن هذا المصدر كثير من المراجع الأجنبية الأخرى، ومنها كتاب إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» الذي يكاد يكون نقلاً حرفياً عن كتاب مانجان، كما نقل عنه بريدجز في كتابه «موجز لتاريخ الوهابي» ما يخص حصار الدرعية وسقوطها. كما اعتمد عليه بعض المؤرخين العرب في هذا الموضوع في

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٩٨٢م، جـ١، ص٤٠٨.

بعض المراجع العربية مثل كتاب عبدالرحمن زكي «التاريخ الحربي لعصر محمد علي»، والرافعي في كتابه «عصر محمد علي».

ومن المصادر الأجنبية المهمة أيضاً كتاب سادلير «رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م»، وهو مصدر معاصر أيضاً لهذه الأحداث، وقد وردت فيه معلومات جيدة ومهمة فيما يخص هذه الحملة والحصار، وقد اعتمد عليه هذا الكتاب في كثير من جوانبهما.

إضافة إلى بعض المصادر الأخرى مثل كتاب بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين».

كما أفاد الكتاب من بعض المراجع الأجنبية المهمة مثل كتاب لوريمر «دليل الخليج»؛ وذلك اعتماداً على النسخة التي جمعها الدكتور محمد الخضيري تحت عنوان «تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج». وكذلك كتاب فيلبي «العربية السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء»، وفيه ينقل فيلبي كثيراً عن كتاب ابن بشر، ولكن هذا لا يمنع أن يكون ضمن الكتاب معلومات أخرى غير التي وردت عند ابن بشر، مع إضافة تحليلات ووجهات نظر جيدة أفادت الكتاب في أكثر من مجال.

٤ ـ المصادر المصرية:

وأهمها كتاب الجبرتي «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار»،وكذلك كتاب محمد خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي»،وكلاهما كانا معاصرين لتلك الحقبة، إلا أن الجبرتي كان من المعارضين لسياسة محمد علي، في حين كان الرجبي من المؤرخين الموالين لمحمد علي والمقربين إليه، لذلك اختلفت وجهات نظر هذين المؤرخين في تناول الأحداث تبعاً لأهوائهما وميولهما.

كما اعتمد هذا الكتاب على كثير من المراجع الحديثة والقديمة،

سواء ما يخص الجانب السعودي، أم الجانب العثماني والمصري؛ وذلك لإعطاء وجهات النظر المختلفة في الموضوع من جميع الأطراف ومناقشتها، وقائمة المصادر والمراجع في نهاية الكتاب دليل على حجم هذه المراجع التي أفاد منها هذا الكتاب.

وختاماً.. أتوجه بالامتنان والشكر لكل من ساعدني على إخراج هذا الكتاب على الوجه المطلوب وأخص بالذكر كل من الدكتور فهد بن عبدالله السماري على مراجعته الشاملة وملاحظاته الدقيقة، كما أتقدم بوافر الشكر لدارة الملك عبدالعزيز على تولي طباعة هذا الكتاب ضمن سلسلة الرسائل الجامعية التي تعكس جانباً مهماً من النشاط البارز لهذه المؤسسة العلمية الرائدة. وبالله التوفيق.

تمهيد

أولاً: الدرعية وأهميتها في الدولة السعودية الأولى.

ثانياً: علاقة الدولة السعودية الأولى بالدولة العثمانية.



أولاً ـ الدرعية وأهميتها في الدولة السعودية الأولى:

أ ـ نشأة الدرعية:

استوطنت الدرعية سنة ٨٥٠هـ (عام ١٤٤٦م)، وذلك حينما قدم مانع بن ربيعة المريدي وجماعته من بلدتهم القديمة المسماة بالدرعية قرب القطيف[١]، على ابن درع صاحب حجر والجزعة[٢] الذي أقطعه المُليبيد[٣] و غَصْيبة[٤] وهما موضعان معروفان على وادي حنيفة، حيث نزلهما مانع ومن معه وتمت عمارتهما[٥].

---

(١) يوجد حتى الآن موقع قريب من القطيف يسمى الدرعية فيه آثار نخل ومورد ماء، ويقع في منطقة صحراوية تبعد عن الدمام نحو (٤٣) كيلاً. محمد العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٨.

(٢) الجزعة، بلدة في وادي حنيفة تقع إلى الجنوب من حجر (الرياض) وهي الآن منطقة زراعية بين المصانع والمنصورية، عبدالله ابن خميس، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة، الرياض: مطابع الفرزدق، ط٢، ١٤٠٠هـ، ج١، ص٢٧١.

(٣) المليبيد، يقع في جنوب الدرعية مقابلة لمصب شعيب صفار في وادي حنيفة، وقد اختفت معالمه الآن حيث وقع في مزرعة للأمير متعب بن عبدالعزيز تسمى «العلاَقيَة»، ابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٣٩٤.

(٤) غصيبة، منطقة من وادي حنيفة في أعلى الدرعية شرقاً، ابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٢٢٤.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧، ومحمد بن عمر الفاخري، تاريخ =

ولا يعرف بالتحديد السبب الذي دفع مانع المريدي وجماعته إلى النزوح من شرق الجزيرة العربية إلى نجد، فقد علل بعضهم ذلك بأسباب بيئية إذ استوبؤوا منطقتهم وأنهكتهم حماها فقرروا الخروج إلى حيث الدرعية الجديدة ذات المناخ والأجواء السليمة(١). ويرى الدكتور عبدالله العثيمين أن هناك سبباً آخر يتمثل في احتمال وجود مشكلات بين مانع المريدي والدولة الجبرية الحاكمة في شرق الجزيرة العربية في تلك الفترة لذلك قرر الخروج إلى نجد(٢).

ولكن يبدو أن هناك سبباً آخر كان أكثر تأثيراً في هجرتهم، إذ يبدو أن ابن درع، رأى أن التطورات السياسية التي تجري في المنطقة كانت في غير مصلحته، فشجع أبناء عمومته من دروع القطيف على القدوم إليه، ليتقوى بهم ضد خصومه(٣). فابن بشر يشير إلى مراسلات تمت بين ابن درع وقريبه مانع المريدي في القطيف، كانت نتيجتها خروج مانع إلى ابن درع(٤). ولا يعرف بالتحديد ما تحويه هذه المراسلات، أو من عرض

= الفاخري، تحقيق عبدالله الشبل، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص٨١ ـ ٨٢، وإبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ الى١٣٤٠هـ، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص٣٥.

(١) عبدالله بن خميس، الدرعية، الرياض: مطابع الفرزدق، ط٢، ١٤١٤هـ، ص٨٥، وعبدالله المطوع، «التحولات السياسية والاجتماعية في الدرعية ٨٥٠ ـ ١١٥٧هـ (١٤٤٦ـ ١٧٤٤م)»، مجلة جامعة الملك سعود، م١٦، الآداب ٢، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م)، ص٤١٦.

(٢) عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤١٨هـ، ج١، ص٨١.

(٣) عبدالله المطوع، التحولات السياسية، ص٤١٦.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٧.

على الآخر القدوم إلى المنطقة، وإن كانت عبارة ابن بشر «فاستخرج مانع من القطيف»[١]، والضمير يعود إلى ابن درع ،تعطي دلالة أقوى على أن ابن درع هو من شجع قريبه وجماعته على القدوم، ليتقوى بهم كما سبق. ومن الواضح أن هذا الأمر قد لاقى هوى وقبولاً لدى مانع المريدي أيضاً، فكان نزوح هذه الجماعة إلى نجد التي تعد عودة لبعض الجماعات من بني حنيفة التي نزحت في أزمنة تاريخية مختلفة من وادي حنيفة إلى شرق الجزيرة العربية، كما هو معروف.

اجتهد مانع وأولاده في عمارة المليبيد وغصيبة، وانضمت إليهم جماعات أخرى من «جيرانهم» مكونين بذلك بلدة الدرعية في نجد[٢]. وفي الحقيقة لم تذكر المصادر متى أطلق عليها هذا الاسم؟ أو لماذا سميت بذلك؟ وقد رجح كثير من الباحثين أن سبب تسميتها بذلك كان إحياءً لاسم بلدتهم القديمة في شرق الجزيرة العربية، أو نسبة إلى ابن درع الذي منحهم ذلك الإقطاع اعترافاً بفضله[٣]. وإن كنت أرى أن تسمية البلدتين بالدرعية مقترن في الأصل باسم جماعة الدروع التي سكنت المنطقتين.

وقد مرت هذه البلدة منذ تاريخ نشأتها ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وحتى قيام الدولة السعودية فيها ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م - أي ما يزيد على ثلاث مئة عام - بتطورات سياسية مختلفة، استطاعت خلالها الدرعية أن تحتل مركزاً بارزاً بين البلدان النجدية الأخرى، وخاصة في منطقة العارض.

وقد تعاقب على حكم الدرعية في هذه الحقبة عدد من الحكام من

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٧، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص٨١ - ٨٢، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٥.

(٣) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص٨٢، وعبدالله المطوع، التحولات السياسية، ص٤١٥.

المردة وغيرهم، وسوف نتتبع تاريخ الدرعية في تلك الحقبة من خلال هؤلاء الحكام؛ وذلك على النحو الآتي:

- **مانع بن ربيعة المريدي:**

وهو كما ذكرنا سابقاً المؤسس الأول للدرعية سنة ٨٥٠هـ(عام ١٤٤٦م)، وفي الحقيقة لا تتوافر لدينا أي معلومات عن أعماله، أو علاقاته بجيرانه، سواء آل يزيد الذين يجاورونه من جهة الشمال، أم آل معمر التميميين الذين أسسوا بلدة العيينة في الوقت نفسه الذي أسست فيه الدرعية، أم حتى علاقاته بابن درع وجماعته الذين يجاورونه جنوباً.

- **ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي:**

وقد كان ساعد والده الأيمن في تأسيس الدرعية وتعزيز قوتها، وقد فاقت شهرته وقوته شهرة أبيه وقوته، حيث اتسع ملك المردة على يديه، ويبدو أن ذلك كان على حساب آل يزيد الذين قامت بينه وبينهم عدة حروب(١). ولا يعرف بالتحديد ما المدة التي قضاها مانع المريدي(٢) وابنه ربيعة في تأسيس الدرعية أو مدة حكمهما، ولكن يبدو أنها جاوزت النصف قرن حتى بدايات القرن العاشر الهجري.

- **موسى بن ربيعة بن مانع المريدي:**

تولى إمارة الدرعية في الربع الأول من القرن العاشر الهجري

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٥، وابن خميس، الدرعية، ص٨٦.

(٢) أشار الزركلي في كتابه شبه الجزيرة إلى أن مانعاً توفي في عام ٨٥٨هـ، خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٢، في حين أشار في كتاب الأعلام إلى أن وفاته في ٨٦٠هـ، خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م، ج٥، ص٢٦٨، وقد اعتمد في ذلك على مجلة لغة العرب، العدد الثالث، ص٢٢٨.

تقريباً[١]، وكان ذا مجد وطموح كبيرين، ويبدو أنه تولى قيادة الغزوات في عهد والده، وفاق والده في المكانة والشهرة، حتى إنه تآمر على قتل والده ربيعة، ولكن الوالد استطاع الهرب ولجأ إلى العيينة[٢]، فانفرد موسى بالإمارة. ولم تشر المصادر إلى تاريخ ذلك أو إلى السبب الذي دفعه إلى القيام بذلك، ولعل خلافاً نشأ بينهما على إدارة أمور الحرب خصوصاً فيما يتعلق بحروبهم مع آل يزيد[٣].

وقد بلغ موسى من القوة شأناً كبيراً فكثر أتباعه من الموالفة[٤] وغيرهم، واستطاع بهم أن يحقق انتصارات كبيرة على منافسيه في المنطقة من آل يزيد[٥]، فقد استطاع فيها أن يتخلص من سيطرة آل يزيد على مياه

---

(١) يذكر صاحب الخبر والعيان أنه تولى إمارة الدرعية في أوائل القرن العاشر تقريباً، خالد ابن محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن الشقير، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٣٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٦.

(٣) المطوع، التحولات السياسية، ص٤٢١. وآل يزيد من أقدم من سكن منطقة وادي حنيفة وهم آل دغيثر المعروفين اليوم، وقد اختلف في نسبهم فهناك من ينسبهم إلى بني حنيفة وآخرون إلى عائذ من عبيدة من قحطان، حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض: دار اليمامة، ط٣، ١٤٢١هـ، ج٢، ص٤٩٠ ـ ٩٠٩ ـ ٩١٠.

(٤) لم تورد المصادر ذكراً للموالفة يساعد على فهم من هم وكيف أصبح لهم أثر في مناطق حكم المردة، ويذكر ابن خميس في معجم اليمامة أنهم أبناء عمومة آل يزيد أي من فروع بني حنيفة، وكان بين الطرفين عداء. ابن خميس، معجم اليمامة، مادة النعمية، ج٢، ص٤٢١. أما الشيخ حمد الجاسر فقد ذكر عنهم أنهم كانوا من سكان وادي حنيفة القدماء كآل يزيد والدروع. الجاسر، جمهرة أنساب الأسر، ج٢، ص٨٨٠، عبدالله المطوع، التحولات السياسية، ص٤٢٣.

(٥) جمع موسى جموعاً كبيرة من المردة والموالفة وغيرهما وصبَّح بهم آل يزيد في النعمية والوصيل، وقتل منهم أكثر من ثمانين رجلاً، واستولى على منازلهم ودمرها، ولم تقم لهم قائمة بعد هذه الوقعة التي يضرب بها المثل في نجد «صبحهم فلان صباح الموالفة=

الوادي، إذ كانوا يعلون المردة في وادي حنيفة، ويسيطرون على مجرى المياه فيه[١]، وذلك ما عزز من قوته في المنطقة.

- إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي:

تولى الحكم بعد والده، ولا يعرف بالتحديد متى كان ذلك، ولكن يبدو أنه بعد منتصف القرن العاشر الهجري. وكل ما يعرف عن مدة حكمه أنه كان حاكم الدرعية في سنة ٩٨١هـ (عام ١٥٧٣م)، وهذا هو المثبت في وثيقة عثمانية تتحدث عن استمالة أمير الأحساء لبعض أمراء البلدان النجدية، تأميناً لطريق الحجاج إلى مكة، وقد ذكر اسم إبراهيم بن موسى أمير الدرعية من ضمنهم[٢]، وعليه فإنه من المؤكد أن إبراهيم حكم الدرعية في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري[٣].

وقد كان لإبراهيم عدد من الأبناء، هم عبدالرحمن وعبدالله[٤] وسيف ومرخان، وقد هاجر بعضهم إلى مناطق أخرى خارج الدرعية، فقد خرج عبدالرحمن إلى ضرما وسكنتها ذريته من بعده، وعرفوا فيها بالشيوخ، وقد استطاعوا الوصول إلى إمارتها. كما خرج سيف إلى موضع قريب شمال

= لآل يزيد» ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٦.

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٨٧.

(٢) الأرشيف العثماني في إستانبول، مهمة دفتري ٢٣، خط همايوني، رقم٣٤١، ص٣٦١. وانظر: راشد بن محمد بن عساكر، «قوافل الحج المارة بالعارض من خلال وثيقة عثمانية أشارت إلى جد الأسرة السعودية وشيخ الدرعية سنة ٩٨١هـ»، مجلة الدرعية، السنة ٦ ـ ٧، العدد ٢٤ ـ ٢٥، ذو الحجة ١٤٢٤هـ ـ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، ص٦٣ ـ ١٣٨.

(٣) من خلال ما سبق يتضح أن فترات حكم أمراء الدرعية السابقين كانت كبيرة بعض الشيء إذ حكم خلال قرن ونصف أربعة أمراء فقط.

(٤) ذكر أن له ذرية هم آل وطيب وآل حسين وآل عيسى، ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص١٥، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٦.

الدرعية يسمى أبا الكباش[١]، وقد استقر فيها هو وذريته التي عرفت بآل يحيى من بعده[٢].

لم تحدد المصادر أوقات هذه الهجرات، ولكن يبدو أنها حصلت قبيل نهاية إمارة والدهم أو بعدها بقليل[٣]. كما لم تذكر شيئاً عن أسبابها وإن كان ابن خميس يعلل هجرتهم بأسباب اقتصادية، إذ ضاقت عليهم الدرعية فالتمسوا مناطق أخرى طلباً للرزق[٤]، وإن كان من المستبعد أن يكون هذا هو السبب الحقيقي أو الوحيد لهذه الهجرات، إذ لم تذكر المصادر وجود هجرات جماعية كبيرة قد تؤيد مسألة ضيق الدرعية بأهلها فالذين خرجوا هم شخصان أو ثلاثة بعائلاتهم، وهم من العائلة الحاكمة التي كانت تتمتع بمستوى معيشي أفضل من غيرها، وهذا لا يعني استبعاد الأسباب الاقتصادية كلياً، ولكنه يعزز وجود أسباب سياسية دفعت هؤلاء إلى الخروج من الدرعية[٥]. ولكن هذه الأسباب السياسية لم تتضح معالمها في المصادر، سواء أكانت منازعات على الحكم، أم توسيع نفوذ، أم محاولة تأمين منطقتهم وتقوية حماها. وإن كنت أرى أن خروج هذه الفروع من أسرة المردة وتوليها السلطة في المناطق التي نزحوا إليها دليل على اتساع نفوذ أسرة المردة في العارض خصوصاً، إن لم يكن اتساع لنفوذ الدرعية نفسها خصوصاً بعد أن استطاع موسى بن ربيعة أن يثبت نفوذه في المنطقة على حساب آل يزيد كما سبق أن ذكرنا، ولكن يبدو أن هذه القيادات الحاكمة من المردة في هذه البلدان لم يكن بينها اتصال أو تجانس لتكوين كيان سياسي موحد، إذ يبدو أن الفكر السياسي

---

(١) أبا الكباش: قرية تقع في رحبة واسعة من وادي العمارية شمال الرياض. ابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٣٠٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص١٥، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٦.

(٣) المطوع، التحولات السياسية، ص٤١٩.

(٤) ابن خميس، الدرعية، ص٨٧.

(٥) المطوع، التحولات السياسية، ص٤٢٠.

السائد في المنطقة في تلك الحقبة والقائم في أساسه على التفكك والاستقلالية حال دون التفكير في توحيد المنطقة على الرغم من تنفذ أسرة المردة فيها.

وعليه نلحظ أن توسع نفوذ الدرعية هنا هو توسع في نفوذ أسرة المردة الحاكمة لها فقط بحيث استقل أفراد من المردة بحكم بعض المناطق، ويبدو أن هذا ناتج في الأصل من منازعات على الحكم، جعلت الطامعين في السلطة يبحثون عن مكان آخر لتولي السلطة فيه. وعلى كل حال هذا يدل على المكانة التي وصلت إليها الدرعية وحكامها من المردة في تلك الحقبة.

- مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي:

تولى الحكم في الدرعية بعد والده حيث صفت له إمارتها بعد خروج إخوته منها[١].

الحكم الثنائي للدرعية:

يعد عهد مرخان نهاية مرحلة من تاريخ الدرعية كان الحكم فيها بيد حاكم واحد لجميع مناطقها، إذ نجد أن حكم الدرعية بعده انقسم بين ابنيه ربيعة ومقرن، مبتدئين عهداً جديداً سوف نطلق عليه مجازاً فترة الحكم الثنائي الذي استمر حتى عهد محمد بن سعود سنة ١١٣٩هـ (عام ١٧٢٧م).

- ربيعة[٢] ومقرن ابنا مرخان بن إبراهيم بن موسى:

اشتركا في حكم الدرعية بعد وفاة والدهما حسبما أشارت المصادر

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٨٧.

(٢) يشير ابن خميس إلى أن ربيعة كان الابن الأكبر لمرخان وأنه تولى السلطة بعد والده ولم يشر إلى مشاركة أخيه مقرن له في السلطة، ولكن يؤخذ عليه أنه لم يذكر مصدره في ذلك، ابن خميس، الدرعية، ص٨٨.

بأنهما «أميرا الدرعية» في فترة الربع الثاني من القرن الحادي عشر الهجري إذ ورد أنهما حجا معاً سنة ١٠٣٩هـ (عام ١٦٢٦م)[١].

وفي الحقيقة لم توضح المصادر لماذا اضطرا إلى اتباع هذا النمط الغريب في الحكم وغير المألوف في نجد؟ كما أنها لم توضح كيف كانت صيغة الحكم بينهما، فهل اقتسما السلطات أم أن السلطة كانت مداولة بينهما من فترة إلى أخرى؟ ويبدو أن اشتراكهما في الحكم نابع من إصرار كل منهما على التمسك بحقه في الحكم[٢].

وأرى احتمالية تقسيم والدهما السلطة أو بالأصح مناطق الدرعية بينهما، فالمنطقي أن يتولى الأخ الأكبر الحكم بعد والده، وإذا نازعه الصغير في الحكم فهذا يعني أنه معتدٍ، ومن ثم يؤدي ذلك إلى النزاع بين الطرفين، ولكنّ حَجَّ الأخوين معاً دليل على وفاقهما، كما أن هدوء الأوضاع في عهدهما في الدرعية دليل آخر على ذلك، وهذا قد يؤيد وجهة نظري في أن والدهما قد قسم بينهما مناطق الدرعية فكان كل منهما راضياً بما ناله لكون ذلك إرثه الشرعي من والده. ومن الواضح أن الأخوين اقتسما مناطق الدرعية بينهما إذ نجد أن المصادر بدأت تشير إلى الدرعية وغصيبة بصفتهما منطقتين منفصلتين بحيث كانت الدرعية لآل وطبان بن ربيعة ـ بصفته ورث حكمها من والده ـ وأن غصيبة كانت لآل مقرن[٣]. ويبدو أن الأخوين استمرا في الحكم إلى منتصف القرن الحادي عشر تقريباً[٤].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣١١.
(٢) المطوع، التحولات السياسية، ص٤٢٥.
(٣) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٨.
(٤) الفرج، الخبر والعيان، ص١٣٣.

ـ مرخان بن مقرن[١] ووطبان بن ربيعة:

ورث ابنا العم هذان سلطات والديهما بحيث حكم مرخان غصيبة ووطبان الدرعية، ولكن يبدو أن ما سلكه أبواهما من المشاركة في الحكم كان صعباً عليهما إذ انتهت الأمور بينهما بقتل وطبانِ بن ربيعة مرخانَ بنَ مقرن سنة ١٠٦٥هـ (عام ١٦٥٥م) واستيلائه على غصيبة كما تذكر رواية ابن بشر[٢]، ولكن ما يثير الشك هنا هو فرار وطبان للزبير بعد قتله مرخان[٣] دون أن يجني ثمار فعلته، فهل واجه على الرغم من تخلصه من منافسه معارضة شديدة من المردة نتيجة ما قام به فحرموه حتى من إمارته للدرعية ونفوه إلى الزبير؟ أم أن أبناء مرخان وإخوته طالبوا بثأره فاضطر إلى الهرب؟

على كل حال فالنتيجة أنه اضطر إلى الخروج من الدرعية فباءت محاولته في توحيد حكم الدرعية بعدم النجاح، ويبدو أن خروجه من الدرعية كان فردياً بدليل تولي أبنائه[٤] حكم الدرعية بعده إذ لم تحرمهم فعلته هذه من حقهم في الحكم كما سنرى لاحقاً.

ـ ناصر بن محمد و أحمد بن وطبان:

من الواضح أن الحكم المشترك بين آل مقرن وآل وطبان استمر في الدرعية بدليل رواية ابن بشر أنه في سنة ١٠٨٤هـ (عام ١٦٧٣م) قتل أميرا

---

(١) يذكر ابن خميس أن مرخان تولى السلطة بعد عمه ربيعة لكون ابن خميس يقول بتولي ربيعة للسلطة وحده في الدرعية، ويذكر أن أبناء ربيعة عدوه مغتصباً للإمارة فقتلوه وحل مكانه وطبان بن ربيعة الذي لم ينعم في الحكم لأن محمد بن مقرن ثأر لأخيه فقتل وطبان وحل مكانه. وفي الحقيقة لا يعرف مصدر ابن خميس فيما ذهب إليه ولم أجده إلا عنده، ابن خميس، الدرعية، ص٨٨.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٢٦.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٧.

(٤) قيل إن له أربعة عشر ولداً، ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص١٥، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٦.

الدرعية ناصر بن محمد، وأحمد بن وطبان[١].

وفي الحقيقة كان لهذه الرواية تبعات كثيرة حول حقيقة ناصر بن محمد، سواء عن شخصيته أم عن كيفية توليه السلطة. فقد اختلفت المصادر في تحديد هويته، فابن ربيعة يذكر هذه الرواية بهذا الشكل «وفيها ذبح أحمد بن وطبان وشيخ العيينة ناصر بن محمد »[٢]. في حين أورد ابن لعبون هذه الرواية بشكل آخر مغاير، إذ يقول: «فيها قتل أمير العيينة ناصر بن محمد ابن وطبان»[٣]، والصحيح أنه أمير الدرعية وليس العيينة، من خلال سياق النسب فآل وطبان أمراء الدرعية، أما العيينة فأمراؤها آل معمر كما هو معروف. وقد ذكره الرويشد على أنه «ناصر بن محمد بن وطبان»[٤]. في

---

(١) ابن بشر، مخطوطة نسخة المتحف البريطاني، وورد خطأ في بعض نسخ كتاب ابن بشر حيث وردت الرواية بالشكل الآتي: «قتل أمير الدرعية ناصر بن محمد وأحمد بن وطبان» وهنا نلحظ أن العطف بأحمد بن وطبان يدل على وجود خطأ في نقل كلمة أميرا بحيث أغفل حرف الألف الدال على المثنى. انظر نسخة الدارة،ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٣٢، ونسخة مكتبة الملك عبدالعزيز، ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تقديم عبدالله المنيف، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)، ص٢٥.

(٢) محمد بن ربيعة، تاريخ ابن ربيعة، تحقيق عبدالله الشبل،الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص٦٤.

(٣) حمد بن محمد بن لعبون، تاريخ ابن لعبون، خزانة التواريخ النجدية،جمع عبدالله البسام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ج١، ص١٣٣.

(٤) عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، الجذور التاريخية للبيت السعودي قبل حركة التجديد والدولة، نشرة المئوية، العدد الرابع، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ص١٢، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على ابن لعبون إذ لم أجد فيما توافر لدي مصدراً آخر ذكره بهذا الاسم مع تغيير الخطأ في اسم البلد، ولكن يبدو أن هناك خطأً فيما ذكره الرويشد؛ لأنه رجع فذكر أنه تولى قبل والده محمد، وذكر اسم الأب مرتين بشكل مختلف فمرة ذكره على أنه محمد بن مقرن بن وطبان، ومرة بأنه محمد بن مقرن بن مرخان.

حين أن ابن خميس يذكر أنه «ناصر بن محمد بن مقرن»[١].

وأنا أذهب إلى الأخذ بما قاله ابن خميس، فالسياق التاريخي يشير إلى أن الدرعية كان يحكمها شخصان أحدهما من آل مقرن ومقرهم غصيبة، والآخر من آل وطبان ومقرهم الدرعية، وبما أن رواية ابن بشر أشارت إلى أحمد بن وطبان بصفته ممثل آل وطبان فالاحتمال الأكبر أن الآخر من آل مقرن.

هذا ما يخص شخصيته، أما كيف تولى الأمر، فهناك غموض حول أوضاع الحكم في الدرعية بعد مقتل مرخان وهروب وطبان إلى الزبير. وفي الحقيقة لا تسعفنا المصادر المتوافرة بأي معلومات حول هذه القضية، إلا أن فيلبي أشار إلى أنه بعد مقتل مرخان بن مقرن تولى الأمر أخوه محمد بن مقرن ثم تولى الأمر ابنه ناصر[٢].

ـ محمد بن مقرن بن مرخان في غصيبة:

أرى ـ تحليلاً للأمور السابقة ـ أن محمد بن مقرن خلف أخاه في حكم غصيبة كما ذكر فيلبي، ويبدو أن ناصر بن محمد بن مقرن تولى الأمر في حياة والده أو أنه كان يساعده بشكل كبير في إدارة الحكم، لذلك أطلق عليه لقب أمير الدرعية ضمناً، ثم انفرد محمد بن مقرن بالإمارة في غصيبة حتى توفي سنة ١١٠٦هـ (عام ١٦٩٥م)[٣].

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٨٨، يذكر صاحب الخبر والعيان أنه محمد بن ناصر وهذا قلب للاسم على ما يبدو، وأضاف في إحدى نسخه العائدي، الفرج، الخبر والعيان، ص١٣٤، وكأنه يشير إلى شخص آخر من خارج أسرة المردة ولم يذكر مصدره في ذلك، وفي الحقيقة تحتاج هذه الرواية إلى تحقيق وإعادة نظر في مدى صحتها، وإن كنت أستبعد أن تكون هذه الشخصية غريبة عن أسرة المردة.

(٢) هاري سانت جون فيلبي، العربية السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء، ترجمة عاطف فالح يوسف، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٤٦.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٤٦، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٦٢،

ـ عهد مرخان بن وطبان وإبراهيم بن وطبان وإدريس بن وطبان في الدرعية:

أما أسرة آل وطبان فيبدو أن مرخان بن وطبان تولى الأمر بعد أخيه أحمد، معاصراً محمد بن مقرن فترة من الزمن حتى سنة ١١٠١هـ (عام ١٦٨٩م)، حيث قتله أخوه إبراهيم بن وطبان، وتولى مكانه(١) حتى سنة ١١٠٦هـ (عام ١٦٩٥م) حين قتل على يد رئيس الرياض يحيى بن سلامة أبازرعة(٢)، وهي سنة وفاة محمد بن مقرن نفسها، وتولى بعده أخوه إدريس بن وطبان، ولكنه لم ينعم بالحكم أكثر من سنة، إذ قتل سنة ١١٠٧هـ (عام ١٦٩٦م)(٣).

ـ فترة حكم آل القبس ١١٠٧ ـ ١١٢١هـ (١٦٩٦ ـ ١٧٠٩م):

يلحظ خلال الحقبة الأخيرة من حكم آل وطبان كثرة الخلافات والنزاع على السلطة، وقد أشار ابن عيسى إلى ذلك فقد ذكر «ووقع بين

= وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، الكويت: شركة المختلف للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥٤، نعتت المصادر محمد بن مقرن حينما ذكرت خبر وفاته بأنه «شيخ غصيبة»، وهذا يؤيد فكرة استمرار الحكم الثنائي لشطري الدرعية حتى هذا الوقت، المنقور، تاريخ المنقور، ص٧١، وابن بشر، نسخة مخطوطة مكتبة الملك عبدالعزيز، ص٣٠.

(١) المصدر السابق، ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٤٤، ويذكر ابن ربيعة وابن عيسى أن هذه الحادثة وقعت في سنة ١٠٩٩هـ، ابن ربيعة، تاريخ ابن ربيعة، ص٧١، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٥٩، في حين يجعلها البسام في سنة ١١٠٠هـ، عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٦، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٦٢، لم تذكر المصادر سبب قتل يحيى بن سلامة لإبراهيم.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٧، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٦٢، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٥٦.

ذرية وطبان قطيعة وسفك دماء»[١] فكانت نتيجة ذلك خروج الحكم من هذه الأسرة، إذ استولى سلطان بن حمد القبس على السلطة في الدرعية بعد مقتل إدريس[٢].

وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر شيئاً عن سلطان هذا، أو عن مكانته في الدرعية التي أهلته للوصول إلى حكمها[٣]، فإنه ـ على ما يبدو ـ كان شخصية بارزة في الدرعية وصاحبة نفوذ مكنته من الوصول إلى حكم الدرعية، ولعل سكان الدرعية شجعوه على تولي الحكم نتيجة الخلافات المستمرة بين أسرة آل وطبان، وقد يفسر هذا بقاءه في الحكم لمدة (١٣) عاماً[٤] حتى سنة ١١٢٠هـ (عام ١٧٠٨م) حيث قتل[٥]. وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر قاتله، لكن يبدو أنه من آل وطبان ذوي المصلحة الأولى في ذلك لاستعادة حكمهم على الدرعية، ولكن يبدو أن قتله لم

(١) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٧.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٤٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٦٢، عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٥٦.

(٣) يذكر فيلبي أن سلطان هذا من بني خالد، العربية السعودية، ص٥٥، وعلى الرغم من أن فيلبي ذكر أن ذلك بناء على افتراض بعض المصادر التاريخية ولكنه لم يشر إلى هذه المصادر التي اعتمد عليها، ولم نجد في المصادر المتوافرة ما يؤكد قوله، وقد استبعد عبدالرحمن الرويشد هذا الأمر فقال: «إن نظام الإمارة آنذاك كان مترسخاً في تلك المنطقة في بيوتات تتوارثها ويستحيل منازعتها إلا تحت راية أمير كبير، أو ملك معترف به، ولم نسمع أو نقرأ أن محاولات قد جرت في المنطقة من هذا النوع، ثم لم لا يكون آل القبس من سلالة مانع [المريدي]، أو من عشيرته، أو من سلالات بني حنيفة، أو تميم مثلاً، أو من سكان تلك المنطقة وقبائلها»، الرويشد، الجذور التاريخية، ص١٤.

(٤) عبدالله المطوع، التحولات السياسية، ص٤٣٣.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٥٦، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٦٧. يجعل ابن عيسى ذلك في سنة ١١٠٨هـ، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٧.

يحقق الغرض المرجو منه؛ إذ تولى أخوه عبدالله بن حمد الحكم بعده، ولكنه لم يلبث أكثر من عدة أشهر حيث قتل[١].

وفي الحقيقة لا توجد دلالات قوية عن حكم آل القبس، هل هو للدرعية وغصيبة معاً أم أنه كان للدرعية فقط؟ وأرجح أن حكمهم كان للدرعية فقط لأمرين هما:

١ ـ أنه بعد مقتل عبدالله القبس تولى الأمر موسى بن ربيعة بن وطبان في الدرعية[٢]، ومن المعروف أن آل وطبان كانوا غير متنفذين في غصيبة، وهذا يعني أن غصيبة كانت تحت قيادة أحد أمراء آل مقرن.

٢ ـ لم تذكر المصادر شيئاً عن تولي سعود بن محمد بن مقرن إمارة غصيبة أو الدرعية سوى أنه حكم إلى سنة ١١٣٧هـ (عام ١٧٢٥م)[٣] فهل يعقل أن يظل سعود بعيداً عن مسرح الأحداث منذ وفاة والده سنة ١١٠٦هـ (عام ١٦٩٥م) حتى ١١٣٢هـ (عام ١٧٢٠م)؟ على الرغم من أنه كان شخصية بارزة منذ عهد والده؛ إذ شارك أمير العيينة في الهجوم على حريملاء سنة ١٠٩٦هـ (عام ١٦٨٥م) في حياة والده[٤]، وعليه أرجح أن سعوداً ورث إمارة غصيبة عن والده، واستمر في ولايتها معاصراً لمدة حكم آل القبس في الدرعية.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٥٦، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٨، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص٣٥٧، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٦٧.
(٣) المصدر السابق، ص٣٦٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٧٦، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٧٧.
(٤) المصدر السابق، ص٣٣٨، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٥٦، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٤٠.

ـ عهد موسى بن ربيعة بن وطبان ١١٢١ ـ ١١٣٢هـ (١٧٠٩ ـ ١٧٢٠م):

تولى الدرعية بعد مقتل عبدالله القبس سنة ١١٢١هـ حتى سنة ١١٣٢هـ، إذ ثار عليه أهلها بمساعدة سعود بن محمد بن مقرن، فأقيل من منصبه ونفي إلى العيينة، مستجيراً بحاكمها[١] حتى سنة ١١٣٩هـ، حين قتل في الأحداث التي جرت بين أهل الدرعية وأمير العيينة[٢]، وسوف نفصلها لاحقاً.

ـ عهد سعود بن محمد بن مقرن[٣]:

سبق أن تحدثنا عن تولي سعود بن محمد السلطة، وقد ذكرنا أننا نرجح توليه السلطة في غصيبة منذ وفاة والده في سنة ١١٠٦هـ (عام ١٦٩٥م)، وأرى أن ما قام به من إخراج موسى بن ربيعة من الدرعية هو نوع من فرض السيطرة على جميع الدرعية، وقد ذكر ابن عيسى انه استقل بولاية الدرعية وكانت قبل ذلك لآل وطبان[٤]، كما يعلل ذلك سياق

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٨٩.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٩، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٥.

(٣) أورد كل من أحمد عبدالغفور عطار في كتابه صقر الجزيرة، (دون معلومات نشر) ص٤١، وفؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠١م، ص ٧٢، رواية غريبة عن وصول سعود بن محمد إلى حكم الدرعية إذ ذكرا أن الدرعية كانت تحت حكم آل معمر أخوال سعود الذين تربى عندهم وأحس منهم الازدراء والفخر بحصانة الدرعية فعزم على الاستيلاء عليها فدبر مؤامرة لذلك، وبالفعل نجحت محاولته تلك، واستولى على الدرعية وطرد منها آل معمر، وفي الحقيقة لم يذكرا مصدر معلوماتهما، ولعل السرد التاريخي في المتن لتاريخ الدرعية وهو من المصادر المعتبرة دليل على بطلان هذه الرواية وغرابتها؛ إذ لم يرد قطّ ذكر لحكم آل معمر الدرعية.

(٤) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٨.

الأحداث بعد وفاته؛ إذ تذكر المصادر أن زيد بن مرخان بن وطبان تولى في الدرعية بعد وفاة سعود[١]، ويذكر فيلبي أن ذلك تم بناء على توصية من سعود نفسه[٢]، كما أشارت المصادر إلى خلاف بين زيد ومقرن بن محمد بن مقرن الذي نعت بصاحب الدرعية[٣]، وهذا يعني عودة الحكم الثنائي بحيث كان تولي زيد السلطة بعد سعود على الدرعية فقط أما غصيبة فبقيت في آل مقرن.

ـ زيد بن مرخان بن وطبان ومقرن بن محمد بن مقرن:

يبدو أن مقرن بن محمد لم يكن راضياً بما أقره أخوه سعود من تعيين زيد على إمارة الدرعية وإعادتها إلى آل وطبان فنشب خلاف بين الاثنين انتهى سنة ١١٣٩هـ (عام ١٧٢٧م) بعقد صلح بين الطرفين، إلا أن مقرن بن محمد ـ على ما يبدو ـ لم يكن راضياً بهذه النتيجة، فأراد الغدر بزيد بن مرخان، فطلب منه أن يزوره لتنفيذ مخططه، وقد كان زيد خائفاً من هذه الزيارة، لذلك وافق عليها بشرط أن يحصل على ضمان من محمد بن سعود بن مقرن ومقرن بن عبدالله بن مقرن فوافقا على ذلك، وتمت الزيارة، وعندما أراد مقرن بن محمد أن ينفذ مخططه وبانت منه بوادر الغدر حمل عليه الضامنان وقتلاه[٤].

وخلال هذه السنة قام زيد بمغامرة فاشلة ضد العيينة، محاولاً استغلال ضعفها نتيجة الوباء الذي أصابها، وأفنى غالب رجالها، بمن فيهم أميرها عبدالله بن معمر في السنة السابقة ١١٣٨هـ (عام ١٦٢٦م).

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٧٦، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٧٧.

(٢) فيلبي، العربية السعودية، ص٥٦.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٨، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨، وعبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٤.

فخرج إليها غازياً بجموع من أهل الدرعية، وبعض البدو من آل كثير وسبيع وغيرهم، ولما اقترب من العيينة أرسل إليه أميرها محمد بن عبدالله بن معمر يستدرجه للقدوم إليه والتفاوض معه، فقبل زيد ذلك وقدم إليه في أربعين من رجاله، وعندما دخل إلى قصر أمير العيينة غدر به وقتله[١].

ـ محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ١١٣٩ ـ ١١٧٩هـ / ١٧٢٧ ـ ١٧٦٥م:

تمكن محمد بن سعود الذي كان مع زيد بن مرخان من النجاة من قبضة أمير العيينة، بأمان من عمة أميرها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، وعاد إلى الدرعية بمن معه من أهلها[٢]. وتذكر المصادر أنه «استقل بإمارة الدرعية كلها ومعها غصيبة»[٣]، حيث أجلى آل وطبان من الدرعية[٤]، وهذا يعني نهاية الحكم الثنائي القائم في الدرعية منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري، واستقلال آل مقرن في حكمها. فقد كان لحكم والده الأمير سعود بن محمد الدرعية وغصيبة معاً سابقاً كما ذكرنا، وتوصيته بإمارة زيد بن مرخان على الرغم من رفض أخيه مقرن ذلك، وضمان الأمير محمد بن سعود حياة زيد وقتله عمه (مقرن) لإنقاذ زيد ـ تأثير في تقبل أهالي الدرعية حكم الأمير محمد الدرعية إلى جانب غصيبة وهدوء الأوضاع في عهده، وهذا هيأ لقيام الدولة السعودية في الدرعية كما سنرى لاحقاً.

ب ـ قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية:

في أثناء إمارة محمد بن سعود على الدرعية ـ التي استمرت (١٨)

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩، عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٤ ـ ١٨٥.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٩، عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٥.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٩، عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق، ص١٨٥.
(٤) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ٣٨.

عاماً قبل قيام الدولة السعودية الأولى ـ قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م) في نجد بدعوته إلى مبادئ وأهداف مهمة أهمها: إفراد الله بالعبادة، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، والقضاء على البدع والخرافات المتفشية في تلك الحقبة، والعودة إلى سيرة السلف الصالح، وتطبيق الشريعة الإسلامية في ظل دولة قادرة على تحقيق هذه الأهداف[١].

ولعل هذا المبدأ الأخير هو الذي جعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتقل من حريملاء إلى العيينة سنة ١١٥٤هـ (عام ١٧٤١م) نتيجة قبول أميرها بهذه الدعوة ونصرته إياها[٢]، وخلال هذه الحقبة كانت دعوة الشيخ قد انتشر أمرها في المنطقة، وبدأت تستقطب الأنصار من جميع المناطق فازداد عددهم بشكل كبير[٣].

وقد انقسم الناس بين مؤيد ومعارض لها، وقد حاول المعارضون محاربتها بشتى الطرق، حتى وصل بهم الأمر إلى تحريض الأمراء والزعماء في نجد وخارجها ضدها. ومن ذلك أنهم وجهوا جهودهم لأمير الأحساء سليمان بن محمد آل حميد الذي ضغط على أمير العيينة عثمان ابن معمر ليتخلى عن تأييده الشيخ محمد ودعوته، وقد نجح في ذلك حيث أخرج ابن معمر الشيخ محمد من العيينة سنة ١١٥٧هـ (عام ١٧٤٤م)، فاتجه إلى الدرعية[٤].

---

(١) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص٧١.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص٣٩.
(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٦٨هـ، ج٢، ص٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩ ـ ٤٠.

العوامل التي جعلت الدرعية بيئة صالحة لاحتضان الدعوة:

- تميزت الدرعية بعدم وجود نفوذ أو سيطرة عليها من قبل قوى مجاورة أو خارجية، وهذا أتاح لها فرصة استقلالية اتخاذ القرار وتنفيذه دون أن تؤثر فيها تدخلات القوى الأخرى، كما هو الشأن في العيينة التي كان لنفوذ بني خالد حكام الأحساء أثر كبير في سياستها، وكانت ضغوطهم على أميرها من الأسباب التي دفعته إلى التخلي عن مناصرة الشيخ محمد، وإخراجه من العيينة[١].

- علاقات الدرعية الجيدة بجيرانها في تلك الحقبة[٢]، وهذا جعلها بيئة صالحة لنشر الدعوة سلمياً في البداية، لجذب أكبر عدد من المؤيدين، استعداداً للمرحلة التالية من المواجهة مع معارضيها.

- الارتباط العلمي بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض وجهاء الدرعية، فقد لاقت الدعوة قبولاً حسناً لدى عدد منهم وفي مقدمتهم أخوا الأمير محمد بن سعود: مشاري وثنيان[٣]، وكذلك ابنه الأمير

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٣، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩ ـ ٤٠، فهد الدامغ، تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى ٨٥ ـ ١١٥٧هـ (١٤٤٦ ـ ١٧٤٤م)، الرياض: إمارة مدينة الرياض، ١٤١٩هـ، ج٣، ص٢٩.

(٢) كانت علاقتها مع العيينة التي تجاورها من الشمال جيدة حتى إن العلاقات بين محمد بن سعود وأمير العيينة قد تطورت إلى ارتباط بصلة مصاهرة إذ تزوج عبدالعزيز بن محمد ابنة أمير العيينة. الدامغ، تاريخ منطقة الرياض، ج٣، ص٢٨.
كما كانت علاقتها مع الرياض التي تجاورها من جهة الجنوب جيدة أيضاً ويدل على ذلك أن الأمير محمد بن سعود ساعد دهام بن دواس عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م عندما ثار عليه أهل الرياض وأرادوا عزله منها، ولعل علاقاته الحسنة مع الرياض هي التي دعت دهام إلى الإيمان بالدعوة في البداية ولكنه عاد وانقلب وعارضها أشد المعارضة، ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٤ ـ ٥ ـ ٦، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٥٠.

(٣) ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص٣١.

عبدالعزيز بن محمد الذي راسل الشيخ وهو في العيينة يطلب منه تفسير سورة الفاتحة(١)، وكذلك تتلمذ على يديه حمد بن سويلم حتى إن الشيخ نزل في بيته عندما انتقل إلى الدرعية(٢).

- الاستقرار الذي كانت تنعم به الدرعية منذ أن تسلم قيادتها الأمير محمد بن سعود. واستتباب أمنها وتوحيد القوى الداخلية فيها خصوصاً بعد إجلاء آل وطبان، واستقرار الحكم لمحمد بن سعود دون منافس كما سبق أن أوضحنا.

- ما يتمتع به الأمير محمد بن سعود من صفات حسنة أهَّلته لنشر الدعوة، فقد وصفه ابن غنام بأنه كان خلال إمارته للدرعية معروفاً بحسن السيرة وبالوفاء وحسن المعاملة «مشهوراً بذلك دون من هنالك» من الأمراء في البلدان النجدية الأخرى(٣)، كما كان يتصف بالحزم والرحمة في آن واحد، والحرص على حفظ حقوق الناس، ودفع المظالم، وقمع الفتن، ومحاربة الدسائس(٤). أضف إلى ذلك إيمانه بالدعوة، واعتقاده بصحة ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٥).

بيعة الدرعية:

عندما خرج الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية ونزل ضيفاً عند آل سويلم الذين كانوا من كبار أهل الدرعية ومن المتحمسين للدعوة، أتى

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص٢٢٢.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٣.
(٤) العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، الرياض: دار الشبل، ط٢، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٠٩.
(٥) الفاخري، تاريخ الفاخري، ص٢٥.

إليه الأمير محمد بن سعود ومعه أخواه مشاري وثنيان، ورحب به ووعده بالحماية والتأييد[١].

وقد اتفق كل من ابن غنام وابن بشر على أن الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ محمد مقابل تأييده ومساعدته على نشر دعوته ألا يغادر الدرعية مستقبلاً[٢]. ويضيف ابن بشر شرطاً آخر للأمير محمد، وهو ألا يمنعه الشيخ من أخذ الضريبة السنوية التي كانت مفروضة على سكان بلدته، وقد وافق الشيخ على الشرط الأول، أما فيما يخص الشرط الثاني فقد رد عليه بأنه يرجو الله أن يعوضه من الغنائم خيراً مما كان يأخذه[٣]. وبذلك تبايع الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على أن يعملا في سبيل نشر الدعوة الإصلاحية. وعلى هذا الأساس قامت الدولة السعودية الأولى في الدرعية سنة ١١٥٧هـ (عام ١٧٤٤م)[٤].

وقد استطاعت زعامة آل مقرن في الدرعية بتبنيها مناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن تغير سمة الحروب في نجد إلى جهاد ديني، استطاعت من خلاله ومن خلال انتشار الدعوة سلمياً[٥] أن توحد نجداً تحت سلطة الدرعية بعد صراع دام أكثر من أربعين عاماً[٦].

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢، والعثيمين، تاريخ المملكة، ج٢، ص٨٥.
(٤) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢، العثيمين، تاريخ المملكة، ج٢، ص٨٦.
(٥) دخلت بعض بلدان نجد سلمياً في حكم الدولة السعودية الأولى، ومنها العيينة وحريملاء ومنفوحة. ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٦، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٨ ـ ٥٠.
(٦) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٦ ـ ١٣٦، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٦ ـ ١٦٠.

وقد لاقت الدولة الناشئة في نجد مواقف مختلفة من القوى المجاورة لها، فقد اتخذ حكام الأحساء من بني خالد موقفاً عدائياً منها، وقد كان موقفهم معارضاً للدعوة قبل قيام الدولة[١]، كما أن علاقتهم بآل سعود في الدرعية كانت سيئة قبل قدوم الشيخ إليها[٢]. ومن هنا كان متوقعاً أن يقوم حكام الأحساء بأعمال عدائية ضد هذه الدولة. وقد حدثت أولى غزواتهم ضدها سنة ١١٧٢هـ (عام ١٧٥٧م)[٣] واستمروا في غزوها بعد ذلك[٤]، كما أنهم عملوا على نصرة معارضيها من حين إلى آخر[٥]، ولكن محاولاتهم للقضاء عليها وإيقاف مدها باءت بالإخفاق. ومنذ نهاية القرن الثاني عشر الهجري تغير ميزان القوى بعد توحيد معظم نجد، وأصبحت الدولة السعودية الأولى تتطلع إلى التوسع بهدف نشر الدعوة السلفية، فأصبحت في موقف المهاجم وبنو خالد في موقف المدافع، حيث بدأ قادة الدرعية في سنة ١١٩٨هـ (عام ١٧٨٢م) غزواتهم على الأحساء[٦]، وبدأت ترجح كفتهم منذ سنة ١٢٠٤هـ (عام ١٧٨٨م)[٧] إلى أن استولوا عليها سنة ١٢٠٨هـ (عام ١٧٩٢م)[٨].

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) تعرضت الدرعية سنة ١١٣٣هـ لهجوم سعدون بن محمد بن غرير، ولكنها استطاعت أن ترد هذا الهجوم، وقد قتل أهل الدرعية من رجاله الكثير. ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٣.

(٣) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص ٥٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٨١.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٧٩ ـ ٨٩ ـ ٩٤ ـ ١٠٣ ـ ١٠٦، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٢١ ـ ١٢٤ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٦٨ ـ ٧٠ ـ ١١٠ ـ ١١٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٩٥ ـ ٩٨ ـ ١٤٤ ـ ١٤٧.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص١٢٠، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٥٤.

(٧) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٧٠.

(٨) المصدر السابق، ج٢، ص١٦٧، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٠٦.

وقد أتاح نجاح العمليات العسكرية السعودية في الأحساء فرصة التوسع في مناطق الخليج الأخرى بعد ذلك، فسيطر السعوديون على قطر[١]، والبحرين[٢]، وجهات من عمان[٣].

أما فيما يخص الحجاز في غرب الجزيرة العربية فيبدو أن أخبار الدعوة وصلت إليها مشوهة منذ مدة مبكرة، وهذا جعل أشراف مكة يتخذون منها موقفاً معادياً منذ البداية، إذ سجن شريف مكة سنة ١١٦٢هـ (عام ١٧٤٩م) جماعة من حجاج نجد يتبعون الدعوة السلفية[٤]، ومنع أنصار الدعوة من الحج بعد ذلك، ولم يتمكنوا من تأديته حتى سنة ١٢١٣هـ (عام ١٧٩٨م) إلا مرتين سنة ١١٨٤هـ (عام ١٧٧٠م) وسنة ١١٩٧هـ (عام ١٧٨٣م)[٥]. وبعد توحيد نجد مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري اتخذ الأشراف موقفاً مهاجماً ضد السعوديين خوفاً أن يوسعوا نفوذهم للسيطرة على الحرمين، فبدأ الصراع المسلح بينهما منذ سنة ١٢٠٥هـ (عام ١٧٩١م)[٦] واستمر حتى سنة ١٢٢٠هـ (عام ١٨٠٥م) بدخول الحجاز فعلياً تحت الحكم السعودي[٧].

كما دخلت أجزاء أخرى من الجزيرة العربية تحت حكم الدرعية وهي منطقة عسير، والمخلاف السليماني، وأجزاء من اليمن، ونجران[٨].

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١٧١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢١١.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٠٧، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص١٠٠.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٩٧.
(٤) المصدر السابق، ج١، ص٥٩، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٣٣.
(٥) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٨٠ ـ ١٢٠.
(٦) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٧٣، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٩٤.
(٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٨٥، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٩٩.
(٨) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٣٨ ـ ١٥٠ ـ ١٤٤.

بذلك أصبحت الدرعية حاضرة لدولة مترامية الأطراف، شملت الأراضي الواقعة من حدود العراق وبلاد الشام شمالاً حتى حدود عدن ومسقط جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً، باديةً وحاضرةً. وارتفع شأنها سياسياً ودينياً في الجزيرة العربية بصفتها عاصمة هذه الدولة الكبيرة، والمركز الرئيس للدعوة السلفية الإصلاحية التي نشأت على أساسها الدولة السعودية. كما أنها أصبحت مركزاً اقتصادياً مهماً في وسط شبه الجزيرة العربية، وأقيمت فيها أسواق تجارية مختلفة.

ثانياً ـ علاقة الدولة السعودية الأولى بالدولة العثمانية:

وصلت أخبار ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد إلى الدولة العثمانية منذ زمن مبكر من تاريخها، فقد أرسل شريف مكة مسعود ابن سعيد[١] إلى الدولة العثمانية يخبرها بظهور الشيخ سنة ١١٦٣هـ (عام ١٧٥٠م)، وذكر أن علماء مكة قد أفتوا بوجوب قتاله إن لم يرجع عن دعوته[٢]. وقد ردت عليه الدولة العثمانية بكتاب جوابي طلبت منه فيه إقناع هذا الشخص بالعدول عن مذهبه[٣].

ولكن الدولة العثمانية في بداية الدعوة السلفية لم تتخذ أي إجراء مضاد لها، أو لنشاط الدولة السعودية المسلح في نجد، الذي بدأ منذ سنة

---

(١) الشريف مسعود بن سعيد: تولى إمارة مكة من سنة ١١٤٦هـ (عام ١٧٣٤م) وبقي في منصبه أكثر من ثمانية عشر عاماً إلى أن توفي سنة ١١٦٥هـ (عام ١٧٥٢م). إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٧٨ ـ ١٨٠.

(٢) سليمان عزّي، تاريخ عزّي، إستانبول: مطبعة متفرقة، ١١٦٥ ـ ١١٦٧هـ، ص ٢٠٧، العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ١٢٤.

(٣) جارشلي، أشراف مكة، ص١٧٩، نقلاً عن وثيقة عثمانية من أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ رقم (٦٧١٦) بتاريخ شوال ١١٦٤هـ.

١١٥٩هـ (عام ١٧٤٦م). وقد وضع كثير من المؤرخين والباحثين عوامل وأسباباً مختلفة لاتخاذها هذا الموقف السلبي من الدعوة السلفية، والدولة السعودية القائمة على أساسها في هذه الحقبة، ومن أهمها:

١ ـ استهانة الدولة العثمانية بالدعوة السلفية وبقدرتها على الانتشار والاستمرار[١]، خصوصاً أنها بدت ضعيفة في إمكانياتها وقوتها أمام المعارضة المحلية والخارجية على السواء، وأن هذه المعارضة قادرة على مواجهتها والتخلص منها[٢].

٢ ـ اعتقاد العثمانيين أن الدعوة السلفية لا تعدو أن تكون حركة داخلية تدور في نطاق ضيق، ونوعاً من المنازعات التي كانت تكثر بين القبائل في شبه الجزيرة العربية[٣]. وهذا يدل على عدم فهمهم البعد الدعوي والسياسي لهذه الدعوة في تلك الحقبة.

٣ ـ أن الدولة السعودية في الأربعين سنة الأولى من تاريخها كانت تنتشر في إقليم نجد، وكان هذا الإقليم غير خاضع للسيادة العثمانية المباشرة، فضلاً عن بعده عن مراكز الدولة الإستراتيجية والاقتصادية والعسكرية المهمة في شبه الجزيرة العربية وما حولها، ومن ثم عدم اهتمام العثمانيين بما يحدث فيه[٤].

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٢٩.

(٢) تعرضت الدعوة لمعارضة قوية من بعض القوى النجدية وخصوصاً الرياض، كما واجهت أخطاراً خارجية في تلك المدة تمثلت في حملات بني خالد من الأحساء، وحملة المكرمي أمير نجران، لمزيد من التفصيلات انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص ٧ ـ ٩١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٥٢ ـ ٩٨.

(٣) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٢٩، وعبدالفتاح أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ـ١٢٣٣هـ، الرياض: دار المريخ، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)، ص ٨٥.

(٤) أبو علية، محاضرات، ص ٨٥.

٤ ـ ضعف الدولة العثمانية داخلياً، وقلة إمكانياتها المادية، والمشكلات التي تواجهها خارجياً في تلك الحقبة[١].

٥ ـ أن الدولة السعودية نفسها كانت تتحاشى الصدام مع الدولة العثمانية في البداية بدليل موقف الإمام عبدالعزيز بن محمد ١١٧٩ ـ ١٢١٨هـ (١٧٦٥ ـ ١٨٠٣م) من لجوء سعدون بن عريعر إلى الدرعية سنة ١٢٠٠هـ (عام ١٧٨٦م) حيث رفض إعطاءه الأمان في أول الأمر، لأنه كان قد هادن ثويني بن عبدالله ـ رئيس قبيلة المنتفق[٢] ـ وكان الإمام يخشى استثارة ثويني ومن ورائه باشوية بغداد العثمانية، ثم الدولة العثمانية، بل إنه عندما أجاره[٣] بعد ذلك وغضب ثويني حاول

---

(١) للاطلاع انظر كتب التاريخ العثماني ومنها: كتاب فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط١، ١٤٠١هـ (١٩٨٠م)، ص ٣٤١ ـ ٤١٠.

(٢) ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي، لم أقف على تاريخ مولده، تولى مشيخة قبيلة المنتفق بعد والده، كانت علاقته بالدولة السعودية جيدة، لكنها لم تستمر طويلاً نتيجة تدخله في الصراع بين السعوديين وبني خالد في الأحساء فهاجم التنومة في القصيم وحاصر بريدة سنة ١٢٠٠هـ (عام ١٧٨٦م)، ولكن نتيجة لبعض الاضطرابات في البصرة عاد مسرعاً، وقد حاول الاستقلال بالبصرة فخرج عليه سليمان باشا ـ والي بغداد ـ وهزمه ففر ثويني إلى الدرعية لاجئاً، وكان يراسل سليمان باشا ليعفو عنه، فلما عفا عنه رجع إلى بغداد وظل عند الوالي حتى كلفه بحرب السعوديين سنة ١٢١١هـ (عام ١٧٩٦م)، وقد قتل خلال هذه الحملة في ٤ من المحرم سنة ١٢١٢هـ على يد طعيس وهو أحد عبيد بني خالد.
المنتفق: أكبر قبائل جنوب العراق وتمتد أراضيها من البصرة إلى السماوة وزعماؤها من آل شبيب ثم من آل سعدون. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٨، وعثمان بن سند البصري، مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، وسهيلة عبدالمجيد القيسي، الموصل: دار الحكمة، ١٩٩١م، ص٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٧.

(٣) أعطى الإمام عبدالعزيز سعدوناً الأمان بعد ذلك؛ لأنه دخل دون إذن إلى الدرعية. =

الإمام عبدالعزيز أن «يستعطفه»[1] في محاولة منه لتأجيل الصدام معه.

ومن أدلة ذلك أيضاً ما ذكره الإمام سعود ١٢١٨ ـ ١٢٢٩هـ (١٨٠٣ ـ ١٨١٤م) في رسالته إلى علي الكيخيا ـ مساعد والي بغداد ـ حينما قام بحملة على الأحساء سنة ١٢١٢هـ (عام ١٧٩٧م)، يستنكر فيها إرسال هذه الحملة، خصوصاً أنه لم يتعرض لأملاك الدولة العثمانية[2]؛ لأن الأحساء خارجة عن حكمها منذ سنة ١٠٨٠هـ (عام ١٦٧٠م)[3].

من خلال ما سبق يتضح أن الدولة العثمانية كانت تنظر إلى الدولة السعودية منذ قيامها وبدء جهادها العسكري نظرة سياسية بحتة، وأنها حركة قبلية غير جديرة بالاهتمام، إلا أن هذه النظرة تغيرت واتخذت طابعاً آخر، وتطورت بمرور الوقت بفعل عوامل وأسباب مختلفة من أهمها:

١ ـ سرعة انتشار الدعوة السلفية، وامتداد نفوذ الدولة السعودية بعد أن تجاوزت منطقة نجد إلى مناطق أخرى كانت خاضعة للسلطة العثمانية، وهذا أقلق الدولة العثمانية بسبب أن هذه الدولة الناشئة أصبحت قوة دينية وسياسية كبيرة غير خاضعة لسلطانها[4]، بل تهدد

= ولما استشار الإمام عبدالعزيز الشيخ محمد بن عبدالوهاب أشار عليه بقبول أمانه لعل في ذلك خيراً. ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١٢٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٥٧.

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١٢٤، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٥٧.

(٢) رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٥م، ص ٢٠٨، والعثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ١١٨.

(٣) خرج براك بن غرير آل حميد في الأحساء على الدولة العثمانية، واستقل بحكمها سنة ١٠٨٠هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ٣٣٠.

(٤) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ترجمة محمد بدران، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف =

ولاياتها المحيطة بنجد في العراق والشام والحجاز، ومن ثم تهدد مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية والعسكرية في المنطقة.

٢ ـ قيام أعداء الدولة السعودية والدعوة السلفية بالدعاية السيئة ضدها، دينياً وسياسياً(١)، فكان ذلك عاملاً مساعداً لحنق الدولة العثمانية وعدائها للدولة السعودية.

٣ ـ حقد العثمانيين على أهل الدعوة؛ لأنهم فسروا هزائم العثمانيين في حروبهم مع أوربا، وبخاصة روسيا، بأنها بسبب تهاون الدولة في أمور الدين(٢). كما اتهموها بالتقصير والتقاعس في الدفاع عن أرض المسلمين ضد خطر الدول الغربية النصرانية الطامعة، وإفساح المجال لها للتدخل في شؤون المسلمين(٣).

٤ ـ كان قيام الدولة السعودية على أساس دعوة دينية يمثل تهديداً خطيراً لهيبة الدولة العثمانية في العالم الإسلامي، كما كانت هذه الدعوة سيفاً مسلطاً على رقابهم في البلاد العربية؛ لأن تلك البلاد ما كانت لتخضع لهم لولا أنهم كانوا ينتسبون إلى الإسلام، ويعدون رمزاً له

= والترجمة والنشر، ١٩٣٧م، ص ١٩، وفريد مصطفى أبو عز الدين، آل سعود في التاريخ، بيروت: مطابع قوزما، ١٩٣٤م، ص٤٦، وسليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، جدة: مكتبة تهامة، ط ١، ١٤٠٠هـ، ص٢٥ ـ ٢٦.

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٣، رسالة عربية من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا، غير مؤرخة. ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص ١٤٤، وعبدالله القصيمي، الثورة الوهابية، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ط ١، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، ص ٢٧، ومحمود شاكر، شبه جزيرة العرب، نجد، بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٧٦م، ص ١٩٤.

(٢) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٣٢.

(٣) عبدالكريم غزال، المملكة السعودية أمام قدرها الكبير، دمشق: المطبعة التعاونية، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٦٨.

في مواجهة الخطر النصراني آنذاك، فإذا آنس أهل هذه البلاد أن ثمة دولة إسلامية أخرى تدعو إلى الله، وتنتقل من نصر إلى آخر انصرفوا عن الأتراك إليها[١]. وقد زاد حنق السلطان على رجال هذه الدولة عندما وصلته أخبار تلقبهم بالإمامة، وهي صنو الخلافة التي يقوم عليها عرش العثمانيين[٢]، فعدهم معتدين على سلطته الدينية، ومنازعين له في صفته الروحية بصفته خليفة للمسلمين، خصوصاً بعد تطلعهم لضم الحجاز أرض الحرمين الشريفين[٣].

٥ ـ أثار قيام الدولة السعودية ونمو قوتها في شبه الجزيرة العربية القوى العالمية المتنافسة في المنطقة التي كانت تحرص بشدة على ألا تقوم في المنطقة العربية أي قوة تهدد نفوذها، وبما أن هذه الدول الاستعمارية وبخاصة بريطانيا كانت ذات نفوذ قوي في الدولة العثمانية فقد كانت تحرص على تحريض العثمانيين لمواجهة هذه القوة والقضاء عليها[٤].

نتيجة للأسباب السابقة اتخذت الدولة العثمانية إجراءات مختلفة لمواجهة الدولة السعودية، والحد من خطرها أو القضاء عليها على مراحل متعددة. فنشر العثمانيون في البداية الدعاية السيئة ضدها، وعملوا على

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٣٠.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، ج١، ص ٣٨.

(٣) محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، (بدون)، ص ٧، وشاكر، شبه جزيرة، ص ١٩٣، صلاح العقاد، «الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربية ١٨١١ ـ ١٨١٨م»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد ٦، ربيع الآخر ١٣٩٦هـ، ص ١٠٧.

(٤) غزال، المملكة السعودية، ص ٦٩، وسليمان الغنام، قراءة جديدة، ص ٢٨، وحسن الفكهاني، الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية، القاهرة: الدار العربية للموسوعات، (د.ت.)، ص٤٤.

تشويه مبادئ الدعوة الدينية واتجاهاتها السياسية، وقذفوها بالزندقة والخروج عن الدين. وقد استخدموا في ترويج هذه السياسة بعض مشايخ الإسلام الرسميين في الدولة الذين قذفوا الدعوة على منابر المساجد، وفي الدروس الدينية وغيرها(١)، وألَّف عدد من علماء الدين الرسائل والكتب للإساءة إلى سمعة أصحاب الدعوة، حتى صوروهم بصورة غير حقيقتهم(٢).

ومن جهة ثانية قام العثمانيون لتقوية هذه الدعاية بعدم السماح للسعوديين بالحج(٣)؛ لأن اجتماعهم بالمسلمين في مكة قد يخفف من الدعاية السيئة ضدهم ببيان حقيقة دعوتهم، فرفضت الدولة العثمانية كل طلب يقدمونه للسماح لهم بالحج(٤).

وعلى الرغم من جميع هذه الإجراءات العدائية لوقف مدّ الدولة السعودية ومحاولة إحباطها، فإنها كانت تحقق انتصارات قوية ومتتالية، وهذا جعل الدولة العثمانية تفكر في اتخاذ إجراء أكثر فاعلية وعدائية لمواجهة هذه القوة، فكانت الحملات العسكرية المتتابعة التي قامت بها الدولة العثمانية عن طريق ولاتها في العراق ومصر.

فبعد أن اتضح للدولة العثمانية مدى قوة السعوديين بعد ضمهم جبل شمر سنة ١٢٠١هـ (عام ١٧٨٧م)، وتهديدهم ولاية الشام العثمانية، وبعد ضمهم الأحساء سنة ١٢٠٨هـ (عام ١٧٩٣م)، وتهديدهم العراق العثماني، وانتصارهم على شريف مكة سنة ١٢١٠هـ (عام ١٧٩٥م)، بدأت جدياً بالتحرك عسكرياً ضد الدولة السعودية الأولى للحد من خطرها قبل أن

---

(١) القصيمي، الثورة الوهابية، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الفرج، الخبر والعيان، ص٢٧٩.

(٣) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٧٩ ـ ١١٩ وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٧.

(٤) أحمد علي، آل سعود، مكة المكرمة: ١٣٧٦هـ، ص ٣٧.

يتسع نطاقها. فكلفت والي بغداد سليمان باشا[١] بهذه المهمة؛ بحكم تهديد السعوديين المباشر لأراضيه، ولأنه كان يحظى بدعم وتأييد كثير من العناصر الساخطة على الحكم السعودي التي هربت إلى جنوب العراق[٢]. فكانت حملة ثويني بن عبدالله شيخ قبيلة المنتفق سنة ١٢١١هـ (عام ١٧٩٦م) التي باءت بعدم النجاح[٣]. ثم صدرت أوامر سلطانية مشددة لسليمان باشا بأن يعد حملة قوية من الجنود النظامية ضد السعوديين، فأرسل حملة بقيادة نائبه علي الكيخيا سنة ١٢١٢هـ (عام ١٧٩٧م)، وانتهت بالإخفاق أيضاً[٤].

وبعد عدم نجاح هذا التحريض لوالي بغداد في محاولة كسر شوكة الدولة السعودية، اتجهت الأنظار إلى والي الشام، ومحاولة دعمه وتشجيعه للقيام بهذه المهمة، خصوصاً بعد تطور الأحداث في الحجاز، وقيام الدولة السعودية بضم مكة سنة ١٢١٨هـ (عام ١٨٠٣م) وتثبيت نفوذها في الحجاز سنة ١٢٢٠هـ (عام ١٨٠٥م)، إلا أن ولاة الشام امتنعوا عن القيام بهذا التكليف[٥]. ولم تؤت سياسة العزل التي لجأت إليها الدولة العثمانية

---

(١) سليمان باشا: تولى ولاية بغداد لمدة تزيد على ٢٣ سنة من سنة ١١٩٤هـ (عام ١٧٨٠م) حتى توفي عن عمر يناهز الثمانين عاماً في الثامن من ربيع الآخر سنة ١٢١٧هـ (الثامن من أغسطس عام ١٨٠٢م)، الكركوكلي، دوحة الوزراء، ص٢١٨.

(٢) أبو علية، محاضرات، ص ٨٨.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١٨٦، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢١٧، وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ط٦، ١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

(٤) للمزيد انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٥٢، وعبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢٠٩.

(٥) نتيجة لسوء أوضاعهم الداخلية وما كانت تعانيه إيالات الشام الرئيسة كدمشق وحلب وطرابلس من فوضى عسكرية بسبب انقسام الجند وصراعهم. عبدالله حمد الحقيل، «علاقة نجد بالشام من سنة ١١٥٧هـ إلى سنة ١٢٢٥هـ» مجلة الدارة، السنة السابعة، العدد ٤، رجب ١٤٠٢هـ.

لولاة هذا الإقليم ثمارها، فقد ظلوا عاجزين عن القيام بهذه المهمة مترددين حيالها[١].

وقد كان خروج الحجاز عن حكم الدولة العثمانية ضربة سياسية ودينية قوية موجهة لهيبتها في العالم الإسلامي أجمع أفقدت السلطان العثماني لقب حامي الحرمين الشريفين الذي كان يعتز به، وتقوم عليه مكانته الدينية.

كما أن الأمير سعود بن عبدالعزيز بعد دخول مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ (عام ١٨٠٣م) منع مجيء حجاج الولايات العثمانية إذا اصطحبوا معهم المحمل[٢]؛ لأنه بدعة يجب محاربتها[٣]. ولهذا زاد حماس السلطان لمواجهة الدولة السعودية الأولى، بل أصبح لديه دافع جديد هو استعادة سيادته على الحرمين الشريفين[٤].

---

(١) أبو علية، محاضرات، ص ١٠٩.

(٢) المحمل: صندوق خشبي مغطى بالأقمشة والستائر المزركشة يحمل على جمل يسير في مقدمة قافلة الحج، ويوضع فيه الهدايا المرسلة إلى الكعبة، كانت المحامل تأتي مع قوافل الحج القادمة من مصر والشام والعراق واليمن وتركيا وغيرها، وقد اكتسب المحمل أهميته السياسية بصفته رمزاً للحكومة التي ترسله، وقد كانت له أهمية دينية في نظر العامة مع تراكم البدع التي ألحقت به مع مرور الزمن. سيد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٦م، ص١٧٩ ـ ١٨٨.

(٣) وقد اتضح ذلك من خلال رسالة سعود الكبير إلى السلطان سليم الثالث بعد دخوله مكة، انظر نص الرسالة عند أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل، (د.ت)، ص ٧٠، والزركلي، شبه الجزيرة، ج١، ص ٣٨.

(٤) يذكر المؤرخ ميخائيل الدمشقي في تاريخه لحوادث الشام ولبنان، وكان معاصراً لتلك الحقبة أن الإمام سعود الكبير منع قافلة حجاج الشام وإستانبول من دخول المدينة المنورة، وكان مع القافلة والدة السلطان العثماني؛ وذلك في سنة ١٢٢٠هـ. ميخائيل الدمشقي، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٢ ـ ١٢٥٧هـ (١٧٨٢ ـ ١٨٤١م)، تحقيق احمد غسان سبانو، دمشق: دار قتيبة، ط٢، ١٩٨٣م، ص٣٣. وتقول بعض =

ويبدو أن الدولة العثمانية إزاء هذا الإخفاق من قبل ولاتها في الشام والعراق حاولت أن تطلب الهدنة من الإمام سعود، على أن تبذل له كل سنة ألف مثقال من الذهب، ولكن الإمام رفض المهادنة إلا إذا قبلوا بالدعوة[1].

وأخيراً اتجه السلطان العثماني إلى واليه الجديد على مصر محمد علي باشا[2]، ليقوم بمهمة القضاء على الدولة السعودية، خصوصاً بعد إخفاق ولاة العراق والشام في هذه المهمة.

ويبدو أن هذا التكليف من السلطان العثماني لمحمد علي قد صادف هوى وقبولاً في نفسه، خصوصاً أنه كان يأمل في تحقيق مكاسب سياسية جديدة من ورائه لرفع مكانته في الدولة العثمانية في حال نجاحه في هذه

= الروايات: إن منع والدة السلطان من الحج هو السبب المباشر الذي حدا بالسلطان العثماني مصطفى الرابع إلى تكليف محمد علي باشا والي مصر بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى. وقد ذكر مثل ذلك ضاري بن رشيد في كتابه: نبذة تاريخية عن نجد، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ، ص ٦٣. قد يكون هذا الأمر عاملاً مساعداً في اتخاذ السلطان هذا الموقف خاصة مع ما هو معلوم من سلطة الحريم في البلاط العثماني، لكنه بالتأكيد ليس السبب الحقيقي بدليل الفرمانات التي كان السلطان يرسلها إلى ولاة العراق والشام قبل هذا التاريخ للقضاء على الدولة السعودية والتي سبق الحديث عنها.

(١) عبدالرحمن القاسم (جمع)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، بيروت: دار العربية، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج٧، ص٢٦١.

(٢) محمد علي باشا: ابن إبراهيم أغا بن علي، ألباني الأصل ولد في قولة سنة ١١٨٤هـ (عام ١٧٧٠م) كان يعمل في تجارة التبغ، وقد جاء إلى مصر مع الجيش الذي أرسلته الدولة العثمانية لإخراج الحملة الفرنسية من مصر سنة ١٢١٦هـ (عام ١٨٠١م)، وقد استطاع بذكائه أن يصل إلى حكم مصر سنة ١٢٢٠هـ (عام ١٨٠٥م) وقد استمر في حكمها حتى سنة ١٢٦٤هـ (عام ١٨٤٨م) حينما اعتزل الحكم وتركه لولده إبراهيم. الزركلي، الأعلام، ج٦ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

المهمة، وعدّها فرصة لتحقيق أطماعه التوسعية في إنشاء إمبراطورية خاصة به. كما يبدو أن له أغراضاً أخرى محلية من وراء هذا القبول، من أهمها التخلص من طوائف الجنود الأرناؤوط الذين أكثروا الشغب والتمرد في ولايته، وتنظيم جيشه تنظيماً جيداً. ولعله رأى في هذه المهمة أيضاً وسيلة جيدة للحصول على دعم مادي كبير من الدولة العثمانية، أو على الأقل تخفيف الضرائب المفروضة عليه(١). ويبدو أن محمد علي كان يحسب للقوة السعودية حسابها في هذه الحقبة، ويخشى من محاولاتها الاتصال بالحدود المصرية ومد النفوذ السعودي إليها(٢)، ففي تنفيذه أوامر السلطان أيضاً حماية لولايته من خطر هذه القوة الضاربة في شبه الجزيرة،وخصوصاً بعد ضمها الحجاز، وهي منطقة قريبة من مصر وعلى اتصال قوي بها.

وتشير الوثائق العثمانية إلى أن أول تكليف ورد من السلطان العثماني إلى محمد علي للقيام بهذه المهمة كان في شوال سنة ١٢٢٢هـ (ديسمبر عام ١٨٠٧م)(٣). ولكن محمد علي تأخر في تنفيذ هذا التكليف نتيجة

---

(١) الفرج، الخبر والعيان، ص٢٨٢، وعبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ط ٦، ٢٠٠١م، ص١٢٠ - ١٢١، وأحمد عسة، معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية، ط ٣، ١٩٧١م، ص ص٢٥ - ٢٦، والعقاد، الحملة المصرية، ص ١٠٨، وعبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١)، وثيقة رقم (٥)، من موسى باشا نائب السلطان إلى محمد علي بتاريخ ٨ شوال سنة ١٢٢٢هـ، وقد ذكر ذلك الجبرتي في تاريخه في أحداث شوال سنة ١٢٢٢هـ، عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل، (د.ت)، ج٣، ص٢٢٩. كما صدر تكليف آخر في ذي الحجة من السنة نفسها، دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١) وثيقة رقم (٣)، من جناب الباب العالي إلى محمد علي بتاريخ ذي الحجة سنة ١٢٢٢هـ.

لظروف مصر الداخلية[١]، وتعرضها لحملة بريطانية على الإسكندرية في العام نفسه[٢]، كما كانت خزينة الولاية خاوية، والقوات العسكرية بحاجة إلى دفع مخصصاتها[٣]. لذلك رأى محمد علي ضرورة الإعداد الجيد لهذه الحملة عسكرياً ومالياً، فعمل على تقوية جبهته الداخلية بالتخلص من منافسيه، وتمهيد الطريق لغزو شبه الجزيرة العربية، والاتصال بأعداء الدولة السعودية هناك للتعاون معهم، وجمع الأموال من التجار وغيرهم، وبناء السفن، وتوفير المعدات والذخيرة، وهذا الأمر استغرق أربع سنوات[٤].

ولما أتم الترتيبات اللازمة للحملة جعل قيادتها لابنه طوسون[٥]، ووجهها إلى شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٢٦هـ (عام ١٨١١م)، فوصلت الحملة إلى ينبع، واستولت عليها بسهولة[٦]، ثم زحفت إلى المدينة، وفي

---

(١) انشغال محمد علي بتثبيت حكمه، ومحاربة المماليك المعارضين له، ولمزيد من التفصيلات انظر: فيلكس مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، ترجمة محمد خير البقاعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٥م، ص٣٠ ـ ٣١، عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣٠٦، الرافعي، عصر محمد علي، ص١١٩.

(٢) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١١٨.

(٣) جلال يحيي، مصر الحديثة ١٨٠٥ ـ ١٨٤٠، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص٤٠٢.

(٤) جوهان بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، ١٩٩١م، ص١١٢، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٣٣ ـ ٣٦، العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٩٢.

(٥) طوسون: كان الابن الأصغر لمحمد علي وقد توفي بعد عودته من الجزيرة العربية في السابع من شهر ذي القعدة ١٢٣١هـ، الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٣٩.

(٦) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١١٣، الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٣٣٣، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٣٧.

طريقها إليها استولت على بدر[١]، وواجهت القوات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود في وادي الصفراء[٢] واستطاعت القوات السعودية أن تكبد قوات طوسون هزيمة ساحقة في هذه المعركة، وعاد من نجا من الغزاة إلى ينبع[٣]. إلا أن طوسون حصل على تعزيزات جديدة من مصر مكنته مرة أخرى من مهاجمة المدينة المنورة، ثم الاستيلاء عليها بعد حصارها مدة من الزمن، وقد نتج من هذا الحصار استسلام الحامية السعودية فيها في ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ (نوفمبر عام ١٨١٢م)[٤].

كان لسقوط المدينة المنورة أكبر الأثر في تتابع سقوط مدن الحجاز الأخرى حيث اتجه طوسون إلى جدة ودخلها دون مقاومة، ثم اتجه إلى مكة المكرمة ودخلها في المحرم سنة ١٢٢٨هـ (يناير عام ١٨١٣م) بمساعدة الشريف غالب بن مساعد[٥]. كما أرسل طوسون فرقة من

---

(١) بدر: قرية عامرة من قرى الحجاز بأسفل وادي الصفراء على بعد (١٥٥) كيلاً من المدينة جنوب غرب على الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة حيث تبعد عنها (٣٠٥) أكيال. عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة: دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ، ج١، ص١٨٩.

(٢) وادي الصفراء: وادٍ كثير النخل والزرع يقع جنوب غرب المدينة وجنوب شرق ينبع، وهو يوازي وادي ينبع من الجنوب حيث يصبان في البحر. البلادي، معالم الحجاز، ج٥، ص١٥٠.

(٣) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١١٦، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٤٤، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٢٢.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٥١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٢٨، والجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٣٣٨ ـ ٣٤١.

(٥) الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد حكم مكة بين سنتي ١٢٠٢هـ و١٢٢٨هـ (١٧٨٨ و١٨١٣م)، قبض عليه محمد علي باشا بعد دخوله مكة، وأرسل إلى الآستانة حيث نفي إلى سالونيك وتوفي بها سنة ١٢٣١هـ (عام ١٨١٦م)، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١١٥.

الجيش استولت على الطائف[١]. وبذلك دخلت الحجاز تحت نفوذ محمد علي، وحققت الدولة العثمانية بذلك الهدف الأساسي من أهدافها من هذه الحرب باستعادة الحرمين الشريفين من السعوديين.

ثم عمل طوسون على متابعة انتصاراته، فبعث فرقة من الجيش إلى الحناكية[٢]، لتكون طليعة جيشه إلى نجد، ثم أرسل فرقة أخرى إلى تربة[٣] إلا أن السعوديين تصدوا لهاتين الفرقتين واستطاعوا الانتصار عليهما[٤].

وأمام هزيمة قوات طوسون في هذه الجهات قرر محمد علي أن يجهز حملة جديدة يقودها بنفسه. ولما وصل الحجاز سنة ١٢٢٩هـ (عام ١٨١٤م) عمل على عزل الشريف غالب ونفيه، وتعيين ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور[٥] بدلاً منه[٦]. ثم أمر قواته بالتوجه إلى تربة، ولكنها

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٢٥، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٥٧ ـ ٥٨، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٣١.

(٢) الحناكية: بلدة حجازية عامرة متقدمة نسبياً تقع على طريق القصيم على بعد ثمانين كيلاً من المدينة المنورة، سكانها من قبيلة حرب. البلادي، معالم الحجاز، ج٣، ص٦٧.

(٣) تربة: بلدة عامرة لقبيلة البقوم تقع على وادٍ كبير يسمى باسمها من أودية الحجاز الشرقية. البلادي، معالم الحجاز، ج٢، ص٢٠.

(٤) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٢٧، ١٢٩، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٣٣.

(٥) الشريف يحيى بن سرور: تولى شرافة مكة نحو (١٣) سنة حتى سنة ١٢٤٢هـ حيث عزل عن الشرافة في إثر قتله الشريف شنبر بن مبارك رئيس العربان. أحمد السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكة: نادي مكة الثقافي، (د.ت) ج١، ص٥١٦.

(٦) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٣٧، ١٣٩، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٦٨ ـ ٦٩، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٣٨.

هزمت فيها من قبل السعوديين[١]، كما أرسل قوات أخرى استولت على القنفذة[٢]، إلا أن القوات السعودية انتزعتها منه، وكبدت قواته خسائر فادحة[٣].

تغيرت الأوضاع بعد ذلك لمصلحة قوات محمد علي بعد وصول إمدادات جديدة له من مصر حسنت من وضعه. كما أن الإمام سعود بن عبدالعزيز توفي في تلك السنة ١٢٢٩هـ (عام ١٨١٤م)[٤]، وعلى الرغم من انتصار السعوديين على القوات المصرية في عدة مواقع فإن الوضع تغير لمصلحة محمد علي، واستطاع الانتصار على السعوديين انتصاراً حاسماً في موقعة بسل[٥] سنة ١٢٣٠ (عام ١٨١٥م)، واستولى على زهران وتربة ورنية وبيشة وبعض مناطق تهامة[٦]. وتمكن من هزيمة القوات السعودية التي كانت تحت قيادة طامي بن شعيب[٧] في عسير الذي أسر وأرسل إلى الآستانة حيث أعدم هناك في السنة نفسها[٨].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) القنفذة: تقع في تهامة الحجاز، وهي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة تقع جنوب غرب مكة، حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، معجم مختصر، الرياض: دار اليمامة، (د.ت)، ج٣، ص١١٨٨.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٨٠، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٤١.

(٤) المصدر السابق، ص٨١ ـ ٨٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٤٢.

(٥) بسل: وادي عظيم كثير القرى والمزارع غرب وادي تربة جنوب الطائف. البلادي، معالم الحجاز، ج١، ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٦) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٦٨، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٧٠ـ ٣٧٢.

(٧) طامي بن شعيب: من آل متحمي ـ أمراء عسير وقادتها ـ كان تابعاً مخلصاً للدرعية، خدم الدولة السعودية الأولى خدمات جليلة في عسير والمخلاف السليماني وغيرهما، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢١٩.

(٨) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٨٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٧٥، ومقبل الذكير، حوادث عسير واليمن والحجاز (مخطوط من مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد، ١٣٩٦هـ رقم ٥٦٩) ورقة ٤.

وبعد هذه الانتصارات أصبح الطريق مفتوحاً للوصول إلى نجد إلا أن محمد علي اضطر إلى العودة إلى مصر، في حين بقي ابنه طوسون لإكمال العمليات العسكرية، واستطاع الوصول إلى القصيم خلال هذه الحقبة واستولى على عدد من بلدانه[١].

مما سبق نلحظ أن العمليات العسكرية لحملات محمد علي في هذه المرحلة تركزت في منطقة الحجاز بهدف استرجاع سيطرة الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين، وبمهاجمة الحدود الجنوبية للحجاز بهدف تأمينه من خطر أتباع الدعوة في عسير، كما أن ابنه طوسون استطاع في هذه المرحلة أيضاً أن يتوغل في إقليم نجد ويستولي على عدد من بلدان القصيم.

وتشير الوثائق المصرية إلى أن محمد علي لم يكن ينوي التوجه للدرعية خلال هذه المرحلة، وأنه أرجأ مهمتها إلى وقت آخر؛ لأنها تحتاج إلى إعداد وتنظيم شامل، وتجهيزات كبيرة وقوية حتى يستطيع تحقيق هدفه في القضاء على قوتها. وقد وضح ذلك في رسالة بعثها إلى الباب العالي ذكر فيها بعد أن عرض انتصاراته في الحجاز: «أما الدرعية... فمن أجل تطهيرها من... الخوارج[٢]... فقد أرجئ أمرها إلى وقت آخر؛ لأنها تحتاج إلى بعض التدابير والترتيبات في المهمات

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٩١ ـ ٩٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٧٨.

(٢) درجت الدولة العثمانية في خطاباتها على تلقيب السعوديين بالخوارج وغيرها من الألفاظ السيئة في محاولة لتشويه أتباع الدعوة واعتبارهم خارجين على الإسلام لمخالفتهم الدولة العثمانية، ومثل هذه الألفاظ لا أساس لها، فأتباع الدعوة لم يأتوا بشيء جديد أو خارج عن الدين الإسلامي وكل ما دعوا إليه هو العودة بالإسلام إلى سيرة السلف الصالح.

والقوة، وهذا أمر مسلم به للوصول إلى نتائج حسنة، ولهذا تحركت من المدينة إلى مصر»[١].

ولعله اتخذ هذا القرار بصفته إجراءً عسكرياً غرضه تأمين الحجاز وحمايته من الخطر السعودي من جهة القصيم، إذ سبق لمحمد علي أن أمّن طريق الحجاز من ناحية الجنوب وعسير.

وقد دفع تقدم طوسون إلى نجد الإمام عبدالله بن سعود إلى حشد قواته لنجدة القصيم، وأصبحت القوتان في مواجهة عسكرية من جديد. ولكن الأحداث تطورت بعد ذلك بشكل مغاير، وجنح الطرفان إلى الصلح. إذ يبدو أن طوسون أدرك مدى خطورة توغله في الصحراء، وامتداد خطوط مواصلاته من المدينة أو من الطائف نحو الداخل وإمكانية قطعها بسهولة من قبل القوات السعودية[٢]. كما أن ما سمعه عن ظروف مصر الداخلية في تلك المدة لم يشجعه على الاستمرار في مواصلة عملياته العسكرية خشية انقطاع الإمدادات عنه[٣]. كما أن هناك روايات تذهب إلى أن الذي أمر طوسون بالصلح أو الهدنة هو محمد علي نفسه[٤]، ولعله أمر بذلك حتى لا يستنزف قواته في شبه الجزيرة العربية إلى أن يكمل استعداداته لحملة جديدة وقوية.

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ٤٠ و٥/١ ـ ٢٢٢ (H.H19649) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٠هـ.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٢، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٧، وجلال يحيى، مصر الحديثة، ص٤١٤.

(٣) تعرضت مصر لفتنة قام بها لطيف باشا أحد مماليك محمد علي. انظر: الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٨.

(٤) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١١٩، وبوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩٠، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٣.

كما أن الإمام عبدالله بن سعود ـ على ما يبدو ـ لم يكن متشجعاً على الرغم من تفوق موقفه العسكري على قوات طوسون في هذه المواجهة على مواصلة القتال. ولعله كان موقناً أن أي انتصار سوف يحققه سيكون مؤقتاً، وأن محمد علي سوف يرسل قوات جديدة وكبيرة للوصول إلى الدرعية. فرأى أن من الأفضل ألا يهدر قواته الآن، وأن يعمل على تحصين بلاده. وهذا ما حصل بالفعل[١].

ونتيجة لهذين الموقفين الداعيين للمهادنة والصلح أمكن عقد اتفاقية صلح بينهما، اختلف في بنودها بين المؤرخين. ويبدو أنها كانت في البداية تقديم لمقترحات بين أتباع كل طرف رأى فيها كل فريق أن يوافق على ما يناسبه ويترك ما لا يناسبه. لهذا نجد أن هناك بنوداً كثيرة أمكن الحصول عليها من المصادر التاريخية المختلفة، كل واحد منها يختلف عن الآخر، وهذا يرجح غياب نص الاتفاقية المعقودة بين الطرفين عن المؤرخين، وأن ما كتب بعد ذلك هي تفسيرات لتلك النقاط التي طرحها كل طرف.

ولكن يبدو أن الطرفين وصلا في النهاية إلى صيغة نهائية كتبا بها عقداً كما تذكر الرسالة التي بعث بها الإمام عبدالله إلى محمد علي لإقرار الصلح[٢]، وعلى أن يرسل الإمام عبدالله جماعة من أتباعه رهائن[٣]، وقد انسحبت قوات طوسون باشا بالفعل إلى المدينة المنورة، وقد أرسل

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٠.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة رقم ٣٣، بدون تاريخ ولكن حسب أحداثها يبدو أن تاريخها في ١٢٣٠هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ١٨ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٣٠هـ.

الإمام عبدالله بن سعود عبدالله بن محمد بن بنيان[١] وعبدالعزيز بن حمد ابن إبراهيم[٢] إلى مصر في شوال سنة ١٢٣٠هـ لإقرار الصلح مع محمد علي باشا[٣].

وقد اختلفت المصادر حول إقرار هذا الصلح من قبل محمد علي، فنجد أن المصادر النجدية تؤكد أن محمد علي وافق عليه وأقره[٤]، وأكدت الوثائق العثمانية هذا الموقف أيضاً[٥]. بل إن هناك وثيقة تؤكد أن محمد علي أرسل إلى السلطان العثماني يطلب منه إقرار هذا الصلح، وقد ذكر فيها بعد أن شرح سوء أوضاع طوسون في القصيم واضطراره إلى عقد

---

(١) عبدالله بن محمد بن بنيان: من علماء الدرعية، وآل بنيان من قبيلة سبيع، وقد وصفه ابن بشر بأنه صاحب الدرعية (وقد يكون القصد من ذلك أنه من ابن بنيان من أهل الدرعية تمييزاً له عن آخر يحمل نفس الاسم من غير الدرعية) ولم يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، ويبدو أنه توفي في نجد لأنه لم يرد له ذكر مع المنقولين إلى مصر بعد سقوط الدرعية. عبدالله بن عبدالرحمن البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ج٤، ص٣٩٤.

(٢) عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف، ولد حوالي عام ١١٩٠هـ حيث قدم والده في هذه السنة إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية وتزوج ابنة الشيخ فهو ابن ابنة الشيخ، وقد تتلمذ على يد أبناء الشيخ عبدالله وحسين، وعلى يد والده حتى مهر في سائر العلوم وتولى قضاء الدرعية في عهد الإمام سعود وابنه عبدالله، وبعد الهجوم على الدرعية ارتحل إلى عنيزة وتولى قضاءها ثم رحل إلى سوق الشيوخ في العراق فولاه شيخ المنتفق قضاءها وتوفي بها حوالي ١٢٤١هـ، عبدالله البسام، علماء نجد، ج٣، ص٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٤٩٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٨.

(٥) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة ٩، بتاريخ ٢٩ صفر دون ذكر سنة، رسالة عربية الأصل من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا، وثائق ذوات، محفظة ٢، وثيقة ٢٥٨، بتاريخ ١ رمضان سنة ١٢٣٠هـ.

الصلح «وأنه أكد تلك الشروط والتعهدات ووثقها واكتفى بأن أخذ الرهائن وعاد إلى المدينة وهو يرجو ويستصوب ربط ذلك بالموافقة عليه حتى ينظم شأنه. . . وكتب إليَّ في هذا. . . ولما كانت قضية الدرعية بعون الباري قد ظفرت بالتسهيلات التي تجعل الاستحواذ عليها في أي وقت ميسوراً فإننا نلتمس المساعدة العلية بالموافقة على عروضه حتى إذا بدر منهم مستقبلاً ما يخالف الرضا فحينئذ ينظر فيما يجب ونستأصل جذورهم بإقدام تام»[1].

كما أكد هذا الأمر الرجبي وهو مؤرخ مصري معاصر لهذه الحقبة، حيث ذكر أن محمد علي كان راضياً بهذا الصلح في ذلك الحين، مع عقد النية على نقضه في الوقت المناسب[2]. في حين أن بعض المؤرخين أكدوا أن محمد علي لم يقر هذا الصلح، ولم يكن راضياً عنه[3].

ويبدو أن الاختلاف في هذه الآراء جاء نتيجة لموقف محمد علي بعد ذلك، فقد جرى الاتفاق على أن يرسل عبدالله بن سعود جماعة من أتباعه رهائن كل سنة لتجديد العهد[4]. فمن رواية ابن بشر يتضح أن موقف محمد علي قد تغير في السنة التالية حينما أرسل الإمام عبدالله بن سعود كلاً من محمد بن حسن بن مزروع وعبدالله بن عون إلى محمد علي بهدايا

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٩١، بتاريخ ٢٧ شعبان ١٢٣٠هـ.

(٢) محمد خليل الرجبي، تاريخ الوزير محمد علي، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ، ص١٣٥.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٤٩٣، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٢، ١١٧، ١١٨، وبوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٦.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ١٨ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٣٠هـ.

ومراسلات تقريراً للصلح، فوجداه قد تغير ـ على حد تعبيره ـ [(١)] فقد طلب محمد علي شروطاً قاسية من الإمام عبدالله بن سعود، فطالبه بالتخلي عن الدعوة السلفية، وأن يرد كل ما أخذوه من الروضة الشريفة، وأن يوافق على التبعية لحاكم المدينة المنورة، ويوافق على تسليم الدرعية لمن يعينه محمد علي حاكماً عليها بحيث يكتفي أن يكون شيخاً للبلد، وأن يتجه الإمام عبدالله إلى إستانبول إذا طلب منه السلطان ذلك[(٢)]. وهذه الشروط ـ كما هو واضح ـ شروط تعجيزية غرضها رفض الإمام عبدالله لها، لتحقيق أمر مبيت له عند محمد علي، وفعلاً لم يخضع الإمام عبدالله لها.

أما فيما يخص الدولة العثمانية فموقفها من هذا الصلح واضح وصريح، فقد رفضته قطعياً، وأمرت محمد علي بإتمام مسألة الدرعية في أقرب وقت[(٣)].

وبناء على هذه الاختلافات انقسمت آراء الباحثين حول هذا الموضوع بين من يرى أن هذا الصلح كان قائماً ورسمياً[(٤)]، ومن يرى أنه كان مجرد هدنة وقتية لمفاوضات صلح بين الطرفين لم تنجح في النهاية[(٥)].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨١ ـ ٣٨٣، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٧٩.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٢، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة: (د.ن.)، ط١، ١٣٤٠هـ/١٩٣١م، ص٥٠١.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/٢ ـ ٦١ بتاريخ ١٢٣٠هـ «تقرير مجلس الشورى الذي رفض مفاوضات الصلح بين طوسون والسعوديين وأمر باستمرار القتال»، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤ وثيقة ٣٥، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ.

(٤) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٧، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٣.

(٥) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٠ ـ ١٤١، ومنير العجلاني، تاريخ البلاد العربية=

وقد أشارت المصادر[١] التي تؤيد إقامة الصلح إلى أن هذا الصلح كان قائماً إلى أن انتقض في السنة التالية. وذكرت هذه المصادر أكثر من سبب لنقض هذا الصلح، فنجد أن عدداً من المصادر النجدية أشارت إلى أن سبب النقض هو قيام عبدالله بن سعود بعد خروج طوسون باشا بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد المناطق والقبائل التي أعلنت ولاءها لمحمد علي حيث أعد جيشاً كبيراً يجمع بين صفوفه عناصر من البدو والحضر، من الأحساء وعمان ووادي الدواسر وجبل شمر والجوف، واتجه إلى القصيم واستولى على الخبراء والبكيرية وهدم أسوارهما. ثم قام بعمليات تأديبية واسعة ضد قبائل البدو الموالية لمحمد علي من مطير وحرب وغيرهما، حتى وصلت قواته إلى مناطق قريبة من المدينة المنورة. وفي طريق عودته أسر ثلاثة من رؤساء الرس، منهم أميرها شارخ بن فوزان الدهلاوي، واصطحبهم معه إلى الدرعية، وهذا أثار بعض العناصر الساخطة عليه في القصيم، فقصدوا محمد علي في مصر، يستعدونه على عبدالله بن سعود، وقد عرفت هذه الغزوة باسم (محيط ومحرش)[٢]، لأنه

= السعودية، عهد الإمام عبدالله بن سعود، الرياض: دار الشبل، ط٢، ١٤١٤هـ، ج٤، ص٦٦، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٩، عسة، معجزة فوق الرمال، ص٣١، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، بيروت: دار الكاتب العربي، ١٣٨٥هـ، ج١، ص١١٧ ـ ١١٨.

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨١ ـ ٣٨٢، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٧٨ـ ١٧٩، والرجبي، تاريخ الوزير، ص١٣٥، وابن ضويان، تاريخ ابن ضويان، ص٦٩، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) يفسر ابن بشر الذي سمى هذه الغزوة «محيط ومحرش» سبب التسمية بقوله: «وأحاط في هذه الغزوة على مياه القبلة الشمالية والجنوبية وسميت هذه غزوة محيط ومحرش لأنه حدث النقض من الروم بسببها»، فمحيط من أحاط على المياه، ومحرش مأخوذ من اللفظ العامي النجدي حرش بمعنى حرض على القتال، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٢.

انتقض الصلح بسببها فكانت سبباً مباشراً في تعجيل القتال من جديد وإرسال الحملة بأسرع وقت(١). كما أشار الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى أن سبب النقض هو إرسال عبدالله بن سعود رسائل إلى قبائل غامد وزهران يطلب فيها أن ينضموا إليه مرة أخرى، ولكنهم بعثوا بهذه الرسائل إلى محمد علي فلم يرض بذلك؛ لأنهم كانوا من القبائل التي وقع الصلح عليها بأن تكون في طرفه، وهذا أثار غضبه فنقض الصلح(٢). وقد أشارت رسالة من شريف مكة يحيى بن سرور إلى محمد علي بما يشابه ذلك إذ ذكر له أن عبدالله بن سعود يكاتب بعض القبائل التي في طرفه، ويجمع منهم الزكاة على الرغم مما نص عليه الصلح(٣).

وعلى كل حال، كان هذا الصلح أو الهدنة خاتمة لمرحلة مهمة من مراحل الصراع بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، المتمثلة في هذه المرحلة بواليها على مصر محمد علي باشا، وإيذاناً بالاستعداد لمرحلة جديدة أكثر حسماً، تمثلت في إرسال حملة جديدة إلى الدرعية انتهت بسقوطها كما سنرى.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٢، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، وعبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص٣٣٩.

(٢) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٤.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/٢ك ـ ٦٠ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٣٠هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/٢ك ـ ٢٥ بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ.



الفصل الأول

حملة إبراهيم باشا في طريقها إلى الدرعية

- أسباب إرسال حملة إبراهيم باشا.
- استعدادات الحملة.
- تركيبة جيش إبراهيم باشا.
- قادة الحملة.
- سير الحملة.



أسباب إرسال حملة إبراهيم باشا:

حققت الدولة العثمانية هدفها باستعادة سيطرتها على الحرمين الشريفين، وانتزاعهما من أيدي السعوديين ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ولكن السلطان العثماني محمود الثاني ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م)، وواليه على مصر محمد علي باشا كانا يهدفان إلى تحقيق هدف آخر أهم، يتمثل في القضاء على الدولة السعودية الأولى في شبه الجزيرة العربية بشكل نهائي. فقد كانت أوامر الباب العالي الموجهة إلى محمد علي صارمة ومباشرة بالقضاء على قوة الدرعية، والقبض على الإمام عبدالله بن سعود. فقد ورد في وثيقة عثمانية وهو تقرير لمجلس الشورى كان البند الثاني منه عن عقد طوسون للصلح مع السعوديين، ومما جاء فيه «إن إعطاء الأمر العالي لفئة الوهابي بالأمان سوف (ينشره) هذا بصورة أخرى للعربان ويتخذه الوهابي وسيلة لترويج عمله وفي هذا محذور قائم» وقد وافق السلطان على الصيغة الواردة في التقرير والتي تتهرب من إقرار الصلح والأمان بوضوح مكتفية بوقف الرهائن لدى والي مصر «مع استمرار قضاء المأمورية مع حلول وقتها» وقد علق السلطان على هذا التقرير بقوله: «لقد اطلعت على هذا التقرير وعلى مسودات الفرمان والتحريرات. . . وإن سبك المسودات جميل فلتبيض على هذا الوجه

بسرعة ولترسل مع التاتار المعتمدين وليحرر الجواب لوالي مصر كما ذكر في البند الثاني»[(١)] . وقد كانت وسيلته لتحقيق هذا الهدف، حملة عسكرية جديدة أسندت قيادتها هذه المرة إلى إبراهيم باشا[(٢)] ابن محمد علي سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م).

كانت محدودية إمكانيات طوسون باشا القيادية من الأسباب التي جعلت محمد علي يرسل هذه الحملة الكبيرة ذات القيادة الجديدة، ويعفي طوسون باشا من مهماته ويستدعيه إلى مصر[(٣)] .

كما كانت عملية اختراق الصحراء الصعبة والشاقة في نجد من

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ٦١ بتاريخ ١٢٣٠هـ «تقرير مجلس الشورى الذي رفض مفاوضات الصلح بين طوسون والسعوديين وأمر باستمرار القتال»، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤ وثيقة ٣٥، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ.

(٢) إبراهيم باشا: ولد في نصرتلي بالقرب من قولة في ألبانيا سنة ١٢٠٤هـ (عام ١٧٨٩م)، قدم مصر سنة ١٢٢٠هـ، وقد تولى مناصب إدارية فكان متصرفاً لدائرة جرجا، وقائداً لقوات والده في حروبه بدءاً من حملته على بلاد العرب، حتى إرساله إلى حرب المورة سنة ١٢٣٩هـ كما أرسله إلى الشام سنة ١٢٤٧هـ، وقد تنازل له والده عن الحكم سنة ١٢٦٤هـ (عام ١٨٤٨م)، ولكنه مرض بعد ٧ أشهر من تعيينه فمات في السنة نفسها.
فورستر سادلير، رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق سعود بن غانم العجمي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ، ص١٣٧، والزركلي، الأعلام ج١، ص٧٠، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٣.

(٣) عبدالفتاح أبو علية، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سي، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ، ص٥٧، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٠، والفرج، الخبر والعيان، ص٢٩٠، وبيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٢٦، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٧، وفاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال ماشطة، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م، ص ١٧٤.

الأسباب التي دعته إلى إرسال هذه الحملة، فقد كانت هذه العملية تحتاج إلى حملة كبيرة باستعدادات ضخمة[١]، وكانت هذه الاستعدادات بحاجة إلى وقت طويل لتخرج بالقوة المطلوبة، وكانت قوات محمد علي الموجودة في شبه الجزيرة العربية غير كافية للقيام بهذه المهمة، ورأى محمد علي أن تتوقف هذه القوات عن الحرب حتى لا تستنزف قواها إلى أن تخرج الحملة الجديدة. وقد وضحت الوثائق العثمانية وجهة نظر محمد علي هذه في أكثر من موضع[٢]،منها ما ذكره في رسالة إلى السلطان من «أن السيطرة على الدرعية تحتاج إلى إعداد شامل لأقصى درجة... وتنظيم المهمات والتجهيزات القوية التي ينتج عنها نتائج حسنة»[٣].

كما كان محمد علي مدفوعاً بعوامل أخرى مهمة لإرسال هذه الحملة تمثلت في الدوافع السياسية، والاقتصادية، والدينية، والعسكرية، وهي كما يأتي:

أولاً ـ الدوافع السياسية:

أ ـ محافظة محمد علي على المكانة التي حصل عليها في الدولة العثمانية بإعادته الحرمين الشريفين إلى حكمها، وسعياً منه إلى زيادة هذه المكانة، ليس فقط باسترجاع الحرمين، بل بالقضاء على المناوئين للدولة، وهذا سيعطيه مكانة عظيمة تساعده على تحقيق طموحاته. ومما يدلل على ذلك ما حصل عليه محمد علي وابنه

---

(١) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٢٧، وفاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ص٧٤.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٠، بتاريخ ١٢٣٠هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٠، بتاريخ ١٢رمضان ١٢٣٠.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٢٢. بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٠هـ

إبراهيم من التكريم والإجلال والمناصب[١] في إثر قيامهما بهذه المهمة[٢]. ولقد اتضح ذلك الدافع من خلال توجيهات السلطان العثماني لمحمد علي ببذل الهمة في القضاء على الدرعية ومن ذلك قوله له: «تبذلون الهمة أيضاً بشأن استحصال أسباب حسن صيتكم وشهرتكم المضبوطة من طرف جميع الأقران، والروية بخصوص تزايد واستقرار لمعان شمس التوجهات الملكية الساطعة بحق فخامتكم من جديد»[٣].

ب ـ المحافظة على الحرمين الشريفين وتأمين انتصاره في الحجاز، وليس أدل على ذلك من الأوامر السلطانية التي كانت تدعوه دائماً إلى المحافظة على الحرمين، فقد وردت مكاتبة من السلطان إلى محمد علي يحثه فيها على «المداومة على إرسال العسكر والذخيرة والعمل على حراسة الحرمين »[٤]. كما ورد في مكاتبة أخرى ضرورة تخريب بيوت الدرعية لتحقيق الأمن ـ على حد قولهم ـ في الحجاز[٥]. وفي وثيقة أخرى بيّن فيها محمد علي أهمية هذه

---

(١) أعطي إبراهيم رتبة باشا بثلاث أذناب بما يوازي رتبة والده، كما أسندت إليه ولاية جدة. سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٢.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، ووثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ١١، بتاريخ ٢٣ من المحرم ١٢٣٤هـ، ووثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ٢٢، بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢٣٤هـ، ووثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ٣٣، بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٤هـ.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٣٨، بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٢٣٠هـ.

(٥) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٣٢هـ.

الحملة في المحافظة على الحجاز «إنه إذا لم يحضر جيش كبير فإن الأقطار الحجازية سوف لا تكون آمنة من شرهم»[١].

ج ـ إن بقاء الدولة السعودية، حتى وإن خضعت للدولة العثمانية، سيكون حائلاً دون استقرار حكم محمد علي في شبه الجزيرة العربية[٢]، إذ إن وجود هذه القوة المنافسة في المنطقة قد يتسبب في تأرجح ولاء القبائل بين الحكم العثماني ـ المصري والسعودي، وهذا سيؤدي إلى اضطراب الأوضاع وخروجها عن السيطرة، فضلاً عن احتمال تقارب العرب بعضهم من بعض وانضمام القبائل إلى السعوديين[٣]، وهذا يساعد على تقوية الحكم السعودي، ثم إخراج محمد علي من شبه الجزيرة العربية أو إضعاف نفوذه فيها.

د ـ تحقيق أهداف إستراتيجية توسعية في المنطقة حيث أتاح له الاستيلاء على الحجاز فرصة التوسع في شبه الجزيرة العربية لحسابه الخاص. فكانت محاولة التوسع في أملاك الدولة السعودية الأولى في نجد والأحساء هي الهدف الجديد في هذه المرحلة.

هـ ـ اتخاذ هذه الحملة حجة جديدة لضم ولاية الشام إلى مصر، فمع أنه قد سبق أن سعى إلى هذا الغرض قبل إرسال الحملات الأولى، فإن الدولة العثمانية لم تلق لطلبه بالاً في تلك المرحلة، وقد زاد إلحاحه على هذا الطلب مع إرسال حملة إبراهيم باشا القوية والكبيرة، التي تحتاج إلى استعدادات ضخمة لتحقيق أهدافها

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٦ (B19648H.H) بتاريخ ٢١ من المحرم سنة ١٢٣١هـ.

(٢) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٣) الرجبي، تاريخ الوزير، ص ١٥٢.

المرجوة. كما أنه اقترح إخراج جيش من الشام لقربه من نجد، وهذا أيضاً يتطلب ضم الشام إلى ولايته، فكان ضغطه على الدولة بضم الشام أكبر من ذي قبل لإنفاذ هذه الحملة[١].

ثانياً ـ الدوافع الاقتصادية:

وقد تمثلت هذه الدوافع في عدة مصالح وأهداف اقتصادية تسعى حكومة محمد علي إلى الحصول عليها في حال القضاء على الدولة السعودية واستقرار حكمها في شبه الجزيرة العربية، ومن أهمها ما يأتي:

أ ـ الحصول على عائدات مالية مختلفة في أثناء الحملة وبعدها، ومن أهمها:

١ ـ الغنائم ومصادرة الأموال:

كعادة المنتصر دائماً يغنم ما تناله يده من أموال المغلوب، وعليه كانت انتصارات إبراهيم باشا المتعددة خلال حملته ستؤهله للاستيلاء على ما يقع تحت يده من أموال السعوديين، وكان سيستعين ببعض هذه الأموال في تموين جيشه وخدمته[٢]. وقد اختلفت أنواع الغنائم التي استطاعت القوات المصرية الحصول عليها بالفعل فيما بعد بين أموال وأسلحة وحيوانات ومحصولات زراعية وبضائع وأطعمة وغيرها[٣].

كما كانت مصادرة الأموال من العائدات والمكاسب الاقتصادية المهمة التي حصلت عليها قوات إبراهيم باشا، فكانت مصادرة أموال آل

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/٢ ـ ٩٤ (19758H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٢) فيلبي، العربية السعودية، ص٢٦٩

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

سعود في الدرعية والأحساء(١)، ومصادرة أموال بعض الأسر الغنية وقتل عدد من رجالها، وأخذت جميع أموالهم وخزائنهم(٢). ومن خلال الروايات يتضح أن حجم هذه الغنائم والمصادرات كان كبيراً، ولعل ما ذكره لوريمر(٣) عن أن القوات المصرية استولت من بيت مال الأحساء فقط على ما يقارب مليون قرش دليل على حجم هذه الغنائم.

كما يدل على حجم هذه الغنائم وعظمها واحتمالات طمع محمد علي فيها الثراء الذي كانت تعيشه الدولة السعودية الأولى، وعاصمتها الدرعية قبل سقوطها، فقد وصف ابن بشر الدرعية ومستوى المعيشة المرتفع لدى سكانها الذين ظهرت عليهم علامات الغنى في الركائب والسكن، كما تحدث عن سوقها التجارية الضخمة وانفتاحها على التجارة مع الأقطار الأخرى(٤).

هذا فضلاً عن الثراء الذي حصل عليه كثير من الجنود المصريين في بلاد العرب من خلال ما حصلوه من نهب وغرامات وغيرها(٥).

٢ ـ الزكاة والضرائب:

وهي من العائدات الاقتصادية المهمة التي تُطْمِع محمد علي في الدرعية، فقد كان حجم الزكاة التي تؤخذ من البلدان والقبائل البدوية في عهد الدولة السعودية الأولى كبيراً بحيث كانت من أهم مصادر الدخل في

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٧١.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.
(٣) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٨٦.
(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.
(٥) ألويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة وتعليق سعيد فايز السعيد، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

الدولة[١]، وبسقوط الدولة السعودية في قبضة محمد علي آلت جميع عائدات الزكاة له، ودليل أهمية هذا الأمر عند حكومة مصر حرص إبراهيم باشا على تنظيم جمع الزكاة بعد سقوط الدرعية حيث أوكل إلى أمراء البلدان ورؤساء القبائل مهمة جمع الزكاة في البلدان والبادية كل في منطقته، وحذرهم من التقصير في جمعها[٢]. كما أنه عمل على نشر حاميات في البلدان النجدية لضمانات أمنية من جهة، ولجمع الزكاة وغيرها من الضرائب والغرامات من جهة أخرى[٣].

ومن الدلائل المهمة التي تشير إلى اهتمام محمد علي بهذا المورد الاقتصادي المهم إرساله حملة حسين أبي ظاهر إلى نجد سنة ١٢٣٧هـ (عام ١٨٢٢م) فقد أورد ابن بشر أنه «قال للناس في نجد: إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة، وأرد المظالم للحضر، ولا أريد إلا الزكاة»[٤]، ويذكر في موضع آخر أنه رحل إلى جبل شمر وذكر لهم أنه لا يريد إلا الزكاة «فطلب منهم الزكاة من رحيل الباشا عن نجد إلى يومه»[٥].

وتشير الوثائق المصرية إلى أن محمد علي وابنه إبراهيم كانا يتعاملان بعنف مع من يمتنع عن أداء الزكاة والضرائب الأخرى التي تطلب منهم، فكانوا يأمرون مسؤوليهم في شبه الجزيرة العربية أن يأخذوا منهم الزكاة

---

(١) قدر بوركهارت مجمل ما تحصل عليه الدولة السعودية من الزكاة بنحو مليوني ريال فرنسي، بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص٦٤، وقدرها صاحب لمع الشهاب بما يقرب من ذلك، لمع الشهاب، ص١٧٩.

(٢) أبو علية، محاضرات، ص٣٣٤.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٩، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٥٤، والفرج، الخبر والعيان، ص٣٢٩، وأبو علية، محاضرات، ص ٢٢٤.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٦١.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

بالقوة «ويؤدبوهم ويجبوا منهم بضعة أضعاف زكاتهم»[(١)]، وهذا يدل على أهمية هذا المورد الاقتصادي لمحمد علي ولدفعه إلى تثبيت حكمه في شبه الجزيرة العربية.

وقد يشكك بعضهم في أهمية هذا المورد بصفته دافعاً إلى تسيير حملة إبراهيم باشا على فرض عدم إدراك محمد علي حجم هذا المورد وأهميته في ذلك الوقت، وللرد على ذلك هناك وثيقة[(٢)] تؤكد حرص محمد علي الذي كان قد استولى على الحجاز في تلك المدة على جمع زكاة أهل الحجاز وبواديه في رسالة محافظ مكة من قبله يخبره فيها أنه نفذ أوامره بتعيين مشايخ جدد على جميع القبائل، وأنه خصص لهم الزكاة اللازمة من بلادهم. وبما أن قبائل نجد وبلدانه في سعة بلاد الحجاز وأكثر فلا بد أنه على علم بما سيناله ـ في حال انتصاره ـ من زكوات وضرائب تجمع من تلك القبائل والبلدان.

ب ـ الاستيلاء على الأحساء والوصول إلى الخليج العربي:

ذكر بوركهارت[(٣)] أن محمد علي أبدى استعداده للصلح مع الإمام عبدالله بن سعود قبل قيام حملة إبراهيم باشا، في حال تخلى له عن منطقة الأحساء التي تعد أهم مناطق السعوديين وأخصبها، إضافة إلى موقعها على الخليج العربي[(٤)]. وهذا يدل على أن رغبة محمد علي في الوصول

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر ١٠، وثيقة رقم ٧٩، بتاريخ ١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٧هـ، وأبو علية، محاضرات، ص٢٣٧.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١١٧، بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩٥.

(٤) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٩، وجون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م، ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت)، ص٢٢٦.

إلى هذه المنطقة كان دافعاً قوياً إلى القضاء على قوة الدرعية، خصوصاً أنه سبق له أن حاول الحصول عليها بطريق المفاوضات، ولم تنجح المحاولة فلم يبق أمامه سوى طريق القوة.

والواقع أن الوصول إلى الخليج العربي هدف إستراتيجي اقتصادي مهم لأي قوة عظمى في المنطقة العربية برمّتها، وبما أن محمد علي صاحب طموح كبير، وكان يسعى لتكوين إمبراطورية كبرى في المنطقة، فكان لا بد له من السيطرة على الخليج العربي، ومن ثم إحكام السيطرة على الطرق البحرية التجارية في شبه الجزيرة العربية، إذ إنه سبق أن سيطر على طريق البحر الأحمر باستيلائه على الحجاز، وسيطرته التامة على تجارة السلع الهندية والبن وغيرها[١]، وهذا يساعده على مد نفوذه فيما بعد إلى اليمن، ويكون منافساً لبريطانيا في السيطرة على تلك البحار وعلى تجارتها العالمية. وحتى يتحقق هذا الهدف كان لا بد من القضاء على القوة الحاكمة لهذه الأجزاء من شبه الجزيرة العربية والمتمثلة في قوة الدرعية.

كما كانت حملة إبراهيم باشا سبباً جديداً في إجابة السلطان لمطالب محمد علي المالية من الدولة[٢].

ولعل هذا السرد للدوافع الاقتصادية ينفي ما يدعيه بعض الباحثين من أن هذه الحملة قد أرهقت الخزانة المصرية، وأن دافع محمد علي إلى قيامها كان خدمة الدولة العثمانية وتنفيذ أوامر الباب العالي فقط[٣]، وعلى

---

(١) فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٦٨.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٥٣، بتاريخ ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٢٣١هـ، ووثائق بحر برا محفظة ٤، وثيقة ١١٤، بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٦هـ، ص٣٧.

فرض أن هذه الحملة أرهقت الخزانة المصرية فعلاً فإنها قد جنت بانتصارها أضعاف ما خسرته.

ثالثاً ــ الدوافع الدينية:

كانت الدولة العثمانية وواليها على مصر محمد علي يصوران مهمة القضاء على الدولة السعودية بأنها مهمة دينية بحتة، غرضها في نظرهم خدمة الإسلام والمسلمين وحماية الحرمين الشريفين، وقد اتضح ذلك من خلال المراسلات التي كانت تدور بينهما؛ فقد جاء في إحدى الوثائق «أن الخدمة الجليلة التي لم يوفق إلى تسجيل مثلها أي فرد من أفراد أسلافكم الكرام، والتي اتخذتم منها ذخراً للفخر والسعادة في الدنيا والآخرة حيث بذلتم في سبيل آل بيت رسول الله الجهد العظيم»[(١)]. ويبدو أن تصويرهم هذه المهمة بهذا الشكل كان نابعاً من مخالفتهم لمبادئ الدعوة السلفية، وخوفهم من انتشارها في العالم الإسلامي، ومن ثم تقوية النفوذ السعودي حيث كانوا يدركون أهميتها وأثرها البارز في القوة السعودية، فكان لا بد مع القضاء على الدولة السعودية القضاء على الدعوة السلفية التي قامت على أساسها تلك الدولة. فقد كانت أوامر الباب العالي على الرغم من استعادة الحرمين في تلك الحقبة واضحة لمحمد علي في هذا الصدد، وهي وجوب صرف السعوديين «عما ألفوه من الاعتقادات... وإصلاحهم بالسيف»[(٢)].

ومما يوضح دوافع محمد علي في هذا الأمر ما ذكره الكاتب الفرنسي

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ١٢، بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٢٣٤هـ.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٣٨، بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٢٣٠هـ.

المعاصر لعهد محمد علي فولابل أن من بين أسباب حماس محمد علي للقضاء على الدولة السعودية خوفه من انتشار مبادئ الدعوة السلفية في مصر، ويروي أن حواراً جرى بين علماء نجديين وعلماء الأزهر سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م)، أُفحم فيه الأزهريون؛ وهذا كان مدعاة لخوف محمد علي من الدعوة فحرص على القضاء عليها في أقرب وقت[١].

رابعاً ـ الدوافع العسكرية:

سبق أن ذكرنا أن تكليف محمد علي بحرب السعوديين في شبه الجزيرة العربية كان ذا فائدة كبيرة لمحمد علي، الذي رأى في هذه الحروب فرصة لتدريب جيشه على معارك الصحراء خارج مصر، كما رآها وسيلة للتخلص من القادة والقوات التي يشعر أنها خطر يهدد مركزه في مصر.

وكان محمد علي قد قرر بعد عودته من الحجاز في شعبان سنة ١٢٣٠هـ (أغسطس عام ١٨١٥م) أن يفرض على جنوده الألبان النظام الجديد على الطريقة الفرنسية، إلا أن جنوده كانوا رافضين هذا النظام وقد تآمروا على قتله، ولكنه علم بهذه المؤامرة في الوقت المناسب[٢]. ونتيجة لذلك قرر أن يتخلص منهم بإرسالهم إلى شبه الجزيرة العربية في حملة إبراهيم باشا[٣]، فقد كانت هذه طريقته في التخلص منهم خلال سنوات صراعه السبع مع السعوديين ١٢٢٦ ـ ١٢٣٣هـ (١٨١١ ـ ١٨١٨م) حيث

---

(١) العقاد، الحملة المصرية، ص ١١٧.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٤٨١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٠٦، والرافعي، ص٣٢٢.

(٣) عبدالرحمن زكي، أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن التاسع عشر، القاهرة: مطبعة الرسالة، (د.ت.)، ص١٩.

أرسل منهم موجة خلف أخرى في هذه الحرب، وبذلك تخلص عملياً من مضايقاتهم[(١)]. كما كانت هذه الحملة الكبيرة فرصة لمحمد علي لإعلاء مكانة مصر الحربية عند الدولة العثمانية في تلك المدة[(٢)].

استعدادات الحملة:

لم تكن النتائج التي توصل إليها محمد علي في حملاته السابقة على الدولة السعودية لترضيه وتحقق طموحه؛ لذا صمم على أن يتخذ جميع التدابير اللازمة للانتصار في هذه الجولة، مستفيداً من تجاربه السابقة في حرب السعوديين، فقضى أكثر من ستة أشهر[(٣)] في الاستعداد للحملة، وقد تمثلت استعداداته في الإجراءات الآتية:

١ ـ متابعة الأوضاع في عسير بعد إخضاعها بالقوة، ومحاولة السيطرة على قبائلها حتى يتسنى له مهاجمة الدرعية بعد ذلك وهو مأمون الظهر[(٤)].

٢ ـ الدعاية للحملة وإبراز قوتها، في محاولة لإرهاب السعوديين وإضعاف معنوياتهم[(٥)]، حتى إن محمد علي أتاح للمبعوثَين اللذين بعثهما الإمام عبدالله بن سعود للتفاوض معه في مصر، النظر إلى حجم

---

(١) محمد محمود السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م، ص١٦، وخالد فهمي، كل رجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة شريف يونس، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ١٢٢ـ ١٢٣.

(٢) الرافعي، عصر محمد علي، ص١٢٠.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٢، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢، وقد ذكر إدوارد جوان أن مدة الاستعدادات بلغت ٨ أشهر، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠.

(٤) الفرج، الخبر والعيان، ص٢٩٢، وعبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣٢٩.

(٥) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٣٩.

استعدادات الحملة ومدى قوتها[١] حتى يعملا على نقل أخبارها إلى الدرعية، ونشرها بين قواتها لإرهابهم وتخويفهم من مواجهتها، شانّاً بذلك حملة إعلامية قوية تسبق قيام الحملة العسكرية لتسهيل مهمتها وإنجازها بأسرع ما يمكن.

٣ ـ الاتصال بالقبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية واستمالتهم إلى جانب القوات المصرية، حيث عمل محمد علي على مراسلة شيوخ القبائل البدوية قبل إرسال الحملة طالباً منهم الخضوع لإبراهيم باشا، ومساعدته بتقديم ما يحتاج إليه من مؤن ووسائل نقل، وحماية قوافل الإمدادات من النهب[٢]. وقد استخدم في سبيل ذلك أساليب مختلفة، إما باستمالتهم بالهدايا والرشاوى، أو بإرهابهم وتخويفهم من قوة إبراهيم باشا والعقاب الذي سينالونه في حال خروجهم عليه[٣]. كما أرسل محمد علي الشريف (راجح)[٤] برفقة إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة، للتأثير في قبائلها بنفوذه الشخصي ليكسب إبراهيم باشا ثقتها ويضمن مساعدتها إياه[٥].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٢) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٨، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٠٨، وضاري بن رشيد، نبذة تاريخية، ص٦٤.

(٣) جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦.

(٤) الشريف راجح بن عمرو الشنبري، كان أحد قادة الشريف غالب ومعاونيه، وعندما قبض محمد علي على الشريف غالب خاف راجح وهرب إلى القوات السعودية وحارب معها، ولكن محمد علي استطاع بعد ذلك أن يستميله إلى جانبه. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٣٢ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ، ص٣٠٠.

(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠.

٤ ـ ميزانية الحملة ونفقاتها:

تتطلب عملية إرسال هذه الحملة ميزانية ضخمة ونفقات هائلة، فعلى الرغم من الأموال التي كانت ترسلها الدولة العثمانية لمساعدة محمد علي على إنجاح مهمته الخاصة بالقضاء على الدرعية، فقد كان محمد علي يعمل من داخل مصر على تأمين ما يكفي لإنجاز هذه الحملة بالشكل المطلوب، فعمل على جباية ضرائب جديدة من الفلاحين وأرباب الحرف[١]، كما استعان ببعض التجار لتموين هذه الحملة[٢]، وعمل على مصادرة أموال بعضهم لأتفه الأسباب[٣].

وقد ذكر سادلير أنه على الرغم من ضخامة ميزانية هذه الحملة إلا أن الجنود كانوا مسؤولين عن تحمل نفقات أنفسهم وأسلحتهم الخاصة[٤]، ومن الواضح أن هذا الأمر ينطبق فقط على الجنود المرتزقة والبدو المشاركين في الحملة مقابل ما سوف يحصلون عليه من مخلفات الحرب والغنائم، أما الجنود النظاميون فالدولة متكفلة بنفقاتهم.

وبناء على ما سبق زودت الحملة بأموال ضخمة[٥] لاستعمالها في استمالة البدو، ودفع الرواتب، واستئجار الإبل ومصروفات النقل[٦] وما إلى ذلك من نفقات.

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٢٥.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٥٤٧.
(٣) عمل محمد علي على مصادرة أموال المعتمد المالي للأقباط في مصر المعلم غالي وأخيه شكاً منه أنهما تلاعبا في حسابات أموالهما، وزج بهما في السجن. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٥.
(٤) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٣٩.
(٥) دحلان، خلاصة الكلام، ص٣٠١، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٦.
(٦) ذكر ابن بشر أن أجرة نقل الرصاصة الواحدة (من قنابل المدافع) من مصر إلى الدرعية =

٥ ـ التموين الغذائي والأمتعة:

زودت الحملة بمخزون غذائي هائل استعداداً لطول مدة الحرب وبُعْد المسافات، فحملت كميات هائلة من البقسماط[١] والقمح والطحين والفول وغيرها من أنواع الطعام[٢]. ويصف ابن بشر اهتمام محمد علي بتزويد إبراهيم باشا بكل ما يلزم من غذاء فيذكر أنه «حتى البصل أتى إليه من مصر»[٣]. كما زُوِّدت الحملة بكل ما تحتاج إليه من مستلزمات الإقامة خلال الطريق، من خيام وفرش للنوم وقِرَب للماء وأوان للطبخ والأكل وغيرها من الأمتعة[٤]، فضلاً عن العلف والشعير المخصص للحيوانات[٥].

٦ ـ البعثة الطبية:

حرص إبراهيم باشا على وجود بعثة طبية في حملته، مهمتها منع تفشي الأمراض بين جنوده، وإسعاف المصابين والجرحى منهم، وذلك تحاشياً لما حصل في جيش أخيه طوسون، حيث تفشت الأمراض بين أفراده فكان له أثر كبير في إضعاف تلك الحملة[٦].

= بلغت ثمانية ريال، وكان الجمل يحمل منها ست قنابل فقط مع العلم أن القوات المصرية استخدمت منها الآلاف في هذه الحملة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٨.

(١) الخبز المجفف والمطحون ناعماً.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٢.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٨.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠.

(٥) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ.

(٦) الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣١ ـ ١٣٢، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٦.

ولذلك كوّن إبراهيم باشا بعثة طبية على رأسها الطبيب الإيطالي أنطونيو سكوتو (Antonio Scoto)، وعضوية كل من أندريا جنتلي (Andrea Gentili) وتوديسكيني (Todeschini) وهما جراحان، وسوشيو (Socio) وهو صيدلي[١]. وزودها بكل ما تحتاج إليه من أدوات طبية مختلفة علاجية أو جراحية.

٧ ـ الأسلحة:

زودت الحملة بأنواع مختلفة ومتقدمة من الأسلحة وآلات الحرب المستخدمة في تلك الحقبة، ومن أهم أنواع هذه الأسلحة المدافع بأنواعها، ومن أهمها:

- القبوس (أوبوس ـ كبوز)، والكولنبير، ومدافع الجاب، والهاون، وهي مدافع ثقيلة وكبيرة.
- مدافع الجرخة، وهي مدافع صغيرة سهلة الحركة.
- مدافع الصحراء المخصصة لمعارك الصحراء المفتوحة وتعرف بمدافع الميدان[٢].

وقد أنشأ محمد علي سنة ١٢٣١هـ (عام ١٨١٥م) مصنعاً مخصصاً لصناعة المدافع بالقلعة، ويسمى هذا المصنع الطوبخانة[٣] لتزويد الحملة بما تحتاج إليه من المدافع، إلا أن محمد علي كان يستورد

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١١.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/١ ـ ٢٠٢، وثيقة ٥/١ ـ ٧٥ (H.H19559) بتاريخ ١٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٥/١ ـ ١٢٧ (H.H19591) بتاريخ ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ١/٢ ـ ٢٣٦ (H.H19606) بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٢٥.

أغلب مدافعه من أوربا عن طريق التجار الإفرنجيين في مصر[١]. كما زودت الحملة بأعداد هائلة من القذائف والبارود والذخائر[٢]. وكان محمد علي قد عمل على إقامة مصنع في هذه السنة نفسها لصناعة البارود في جزيرة الروضة لتزويد حملة إبراهيم باشا بما يلزم منه[٣]، فضلاً عن الأسلحة الشخصية من بنادق، ومسدسات، وأسلحة بيضاء، وغيرها.

٨ ـ جمع العساكر وأفراد الحملة:

عمل محمد علي على جمع عساكر هذه الحملة في معسكرات مختلفة، ويذكر سادلير أن المجموعة الأولى من الجنود كانت قد وضعت نفسها تحت تصرفه بصفتهم متطوعين، ولكن العدد لم يكن كافياً؛ لذلك أجبر جميع الجنود الذين كانوا تحت الخدمة بمتابعة خدمتهم، وأصدر أمراً بعدم إعفاء أي منهم من الخدمة العسكرية[٤]. فضلاً عن إرسال فرقة الجيش النظامي الحديث الذي عمل محمد علي على تكوين النواة الأولى منه سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م)[٥].

كما ألحق بالجيش عدداً من أصحاب الصنائع والحرف المختلفة[٦]،

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ١٢٧ (H.H19591) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٢، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٨.

(٣) كان البارود يستورد من إنجلترا، وقد أصبح البارود المصري يضاهي البارود الإنجليزي. الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٢٥.

(٤) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٣٨.

(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٠٦، والرافعي، عصر محمد علي، ص٣٢٢، وجلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦، وخالد فهمي، كل رجال الباشا، ص١٢٢ ـ ١٢٣.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٥١.

من حدادين ونجارين وطباخين وغيرهم ممن تحتاج إليه الحملة في صيانة الأسلحة والمعدات وإقامة المعسكرات وخدمتها. ويذكر مانجان أن إبراهيم باشا في طريقه إلى الحجاز توقف في أسيوط وجمع ألفين من الفلاحين ضمهم إلى جيشه للعمل على خدمته[١].

٩ ـ تدريب القوات العسكرية للحملة:

حرص محمد علي على تدريب قواته تدريباً جيداً، خصوصاً بعدما لحظ كثيراً من المآخذ على هذه القوات، سواء في طبيعة الجنود، أم في مستوى تدريبهم وانضباطهم. لذلك أقام معسكرات للتدريب بين القاهرة وطرة وفي الصعيد وغيرها، شهدت تدريبات جادة لهؤلاء الجنود، في محاولة لضبطهم من جهة، وتدريبهم على تحمل معارك الصحراء من جهة أخرى[٢].

١٠ ـ وسائل نقل الحملة:

أحدثت هذه الحملة انتعاشاً في حركة القوافل داخل مصر خلال تلك المدة لحمل مهمات جيش إبراهيم باشا من مؤن وأسلحة وذخائر إلى موانئ البحر الأحمر تمهيداً لنقلها إلى موانئ الحجاز. وقد عمل محمد علي على تهيئة السفن والقوارب اللازمة لحمل هذه المهمات، ونقلها من السويس على البحر الأحمر مباشرة، أو عن طريق النيل إلى قنا[٣]، ومنها تنقل على الجمال إلى ميناء

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م، ص ٦٥، وجلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦.

(٣) قنا: مدينة كبيرة في الصعيد الأعلى تقع على النيل، وهي رأس مديرية تنسب إليها. علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م، ج١٤، ص٣٧٧.

القصير[١] على البحر الأحمر، ومنها إلى ينبع[٢]. ويبدو أن هذا الأسطول يتكون من نحو ثلاثين قطعة كبيرة أقلعت بهذه الحملة[٣].

كما اهتم محمد علي بتوفير أعداد كافية من الإبل لنقل معدات الحملة وذخائرها وجنودها، سواء في مصر أم في شبه الجزيرة العربية فيما بعد. ففي مصر تكفلت قبيلة العبابدة[٤] بتقديم ستة آلاف جمل لنقل أمتعة الحملة من قنا في النيل إلى ميناء القصير على البحر الأحمر[٥]. كما كان حريصاً على استئجار عدد كبير من الجمال من الشام[٦]، ومن قبائل البدو في شبه الجزيرة العربية[٧] لنقل الحملة في جميع مراحلها من ينبع إلى الدرعية، فضلاً عن الجمال التي كان يوفرها من مصر نفسها[٨].

---

(١) القصير: ميناء على البحر الأحمر على بعد ثلاثة أيام من قوص في مفازة في الصعيد، علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج١٤، ص٣٢٢.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٥.

(٣) الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٠.

(٤) قبيلة العبابدة: هي إحدى قبائل جوابة في صعيد مصر، وتشغل أراضي هذه القبيلة المنطقة الواقعة شرق النيل إلى القصير على البحر الأحمر من منطقة القليوبية، علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٧٩م، ج١، ص٣٥، ج٢، ص٢٥١.

(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢.

(٦) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٦٠ بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٣١هـ، ووثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٦٦ بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٢٣١هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، وثيقة ٥/ ١ ـ ٣٢، بتاريخ ١٢٣٠هـ، ووثيقة ٥/ ١ ـ ٤٨، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٣١هـ.

(٧) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ، ووثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٦٦، بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٢٣١هـ.

(٨) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٦٦، بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٢٣١هـ.

كما اهتم محمد علي بخيول الفرسان وبالسروج المستخدمة عليها، فاستبدلت بالسروج المملوكية التي كانت تستخدم عادة في مصر سروجاً مغربية، ثم استبدل بهذه أيضاً سروجاً بغدادية[١]. ويبدو أنه قام بذلك لأن الفرسان بدؤوا يستخدمون السلاح الناري في عهد محمد علي باشا، فهذا النوع من السلاح يحتاج إلى سرج أكثر ثباتاً على ظهر الحصان حتى يصوب الفارس جيداً.

كما حرص محمد علي على أن يتزود الفرسان بجمال لتحمل أمتعتهم، ولاحتمال استعمالها في الركوب في بعض الأحيان، لأن الحصان المصري لا يتحمل مشاق السفر في صحراء كصحراء نجد[٢].

هذا ما كان من أمر استعدادات محمد علي، ويبدو أنه قد أوكل مهمة الاستعداد لهذه الحملة لعدد من رجاله المقربين، ولعل أشهرهم وأهمهم محمد المحروقي ـ رئيس التجار في القاهرة ـ فقد ذكر الجبرتي في أخبار سنة ١٢٣٢هـ أنه «المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية والمتوجهة إليها وأجر المحمول وشحنة السفن ولوازم الصادرين والواردين... وهو المتعين أيضاً لفصل قضايا التجار... وبعوثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته... واجتهاده في تحصيل الأموال من كل وجه وأي طريق ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر إلى نواحي الحجاز للإغارة على بلاد الوهابية»[٣].

من خلال ما سبق نلحظ أن محمد علي حرص على الاستعداد الجيد والتام لهذه الحملة حتى تظهر بالقوة المطلوبة لإنجاح مهمتها التي أوكلت

---

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٩.
(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٤٧.

إليها، متجنباً الأخطاء التي وقع فيها سابقاً، مستفيداً من الخبرات التي كسبتها قواته في حروبها مع السعوديين سابقا بالإعداد الجيد لها، ولم تقتصر الحملة على هذه الإعدادات فقط، بل إنه استمر في إرسال القوات والمعدات والمؤن اللازمة للحملة طوال مدة إقامتها في شبه الجزيرة العربية حتى أنجزت مهمتها بنجاح كما سنرى لاحقاً.

تركيبة جيش إبراهيم باشا:

تعطي الوثائق العثمانية[١] وصفاً تفصيلياً للجيش الذي جهزه محمد علي لهذه الحملة، وهو كما يأتي:

- (٤٠٠) فارس بقيادة أوزون علي موجودون في المدينة بانتظار إبراهيم باشا للانضمام إليه.
- (٨٠٠) فارس من دائرة إبراهيم باشا في جرجا.
- (٤٠٠) فارس من دائرة محمد علي نفسه بقيادة حسن أغا القبرصي.
- (٣٠٠) فارس عليهم بعض القادة الصغار.
- (١٠٠٠)[٢] من فرسان البدو جعل على قيادتهم شيوخاً وأولاد شيوخ وهم كالآتي:
  - (٢٠٠) فارس من قبيلة أولاد علي[٣].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/١ ـ ٤٧.

(٢) ذكرت الوثيقة أن مجموع عدد فرسان البدو ألف فارس وفصلتهم، ولكن بجمع ما ذكرت نجد أن مجموعهم (٨٥٠) فارساً فقط.

(٣) قبيلة أولاد علي من عربان بر قطيا في سيناء ومن الشرقية والقليوبية شرق مصر، ويذكر أنهم جاؤوا من الغرب من الصحراء الليبية. ماكس أوبنهايم وآخرون، البدو، تحقيق ماجد شبر، لندن: دار الوراق، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢٤٠.

- (١٠٠) فارس من قبيلة جميعان[١].
- (٢٠٠) فارس من فوايد[٢].
- (١٥٠) فارساً من حرب[٣].
- (٢٠٠) فارس من جهينة[٤].
- (٤٠٠٠) من المشاة.

وذكر في هذه الوثيقة أنه بذلك يكون مجموع الفرسان (٣٠٠٠) آلاف[٥] والمشاة (٤٠٠٠) آلاف، وعليه يكون مجموع الجيش الذي خرج مع إبراهيم باشا (٧٠٠٠) آلاف جندي.

ويلحظ أن مجموع جنود الحملة الذي ذكرته الوثيقة وهو ٧ آلاف يوافق ما ذكره المؤرخ الفرنسي إنكيري[٦]، في حين يخالف مانجان هذا العدد، ويذكر أن عدد جنود الحملة (٥٠٠) فارس و(٢٠٠٠) من المشاة[٧]، ويوافق بوركهارت مانجان في عدد المشاة، ولكنه يخالفه في

---

(١) جميعان: فرع من قبيلة بني عطية الوائلية التي كانت تسكن مصر في القرن السادس عشر ميلادي، وقد انتقلت أجزاء كبيرة منها إلى شمال الحجاز. أوبنهايم، البدو، ج٢، ص٤٨٣ ـ ٤٨٨.

(٢) فوايد: فخذ من بطن بني موسى أحد فرعي جهينة، ومنازل جهينة في شمال الحجاز، ويبدو أن منهم من يقطن مصر أيضاً. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ت)،ج١، ص٢١٥.

(٣) ذكرت في الوثيقة (حرابي) وقد ذكر أوبنهايم أن هناك بعض القبائل في مصر تعود في أصلها إلى حرب الحجازية منها أولاد علي ومزينة. أوبنهايم، البدو، ج٢، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤) من قبائل مصر تقطن الشرقية والقليوبية وقنا. كحالة، معجم قبائل العرب، ج١، ص٢١٥.

(٥) ذكرت الوثيقة أن مجموع فرسان الحملة كان ثلاثة آلاف ولكن بجمع ما فصلته نجد أن مجموعهم (٢٧٥٠) فارساً.

(٦) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٦، اعتماداً على كتاب إنكيري.

(٧) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣.

عدد الفرسان فيذكر أنهم (١٥٠٠) فارس[١]، وقد أيد لوريمر رواية بوركهارت[٢]، أما سادلير فيذكر أن الجيش مؤلف من (٤٠٠) فارس و(٩٠٠) من المشاة، إضافة إلى قوة أوزون علي المؤلفة من (٤٠٠) فارس والموجودة في المدينة[٣]. وقد ذكر عبدالرحمن زكي عدداً مقارباً لما ذكر في الوثيقة وهو (٦٠٠٠) جندي بين مشاة وفرسان يضاف إليهم آلاف من العرب[٤]، ولم يحدد زكي مصدر معلومته[٥].

أما فيما يخص تركيبة هذا الجيش فقد اختلفت المصادر في الفئات التي دخلت تحت خدمته، ومن المؤكد أن الأتراك[٦] كانوا من بين الفئات الرئيسة فيه، ذلك لأن الجيوش التي كانت تحت إمرة محمد علي في مصر في تلك الحقبة في أغلبها تركية[٧].

ومن الفئات الأخرى المهمة التي كوَّنت جيش إبراهيم باشا الألبان (الأرناؤوط) وكانوا من الفصائل المهمة في جيش مصر في تلك المدة؛ لأن الدولة العثمانية أرسلت مجموعة كبيرة منهم في حملتها التي تصدت لحملة نابليون على مصر سنة ١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ (عام ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) وكان محمد علي أحد ضباطها[٨]، وكانوا كثيري الشغب. وقد ذكرنا

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٩.
(٢) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٧٠.
(٣) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠.
(٤) عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٦.
(٥) المصادر النجدية لم تعط أرقاماً لعدد جيش إبراهيم باشا حسب ما توافر لدي.
(٦) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٤، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ص٧٦.
(٧) إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة: المطبعة الميرية ببولاق، ١٣١٤هـ، ج٢، ص١٢٠.
(٨) سرهنك، حقائق الأخبار، ج١، ص٦٥٧، ج٢، ص١٢٠.

سابقاً أن محمد علي كان يرسل منهم مجموعات تلو أخرى في حروب بلاد العرب للتخلص من شغبهم في مصر.

وفي الوثائق العثمانية إشارات مختلفة لفئات متعددة، منها البدو العرب المشاركون في الحملة، وقد ذكرت الوثيقة السابقة[١] فئات منهم من عرب مصر. كما يذكر بوركهارت[٢] أن إبراهيم باشا قد جمع (١٥٠٠) فارس من البدو الليبيين، وقال: إنه اختارهم بنفسه من بين أكثر قبائل بادية الصعيد ولعاً بالحرب، وهذه العبارة تدل على أن من ضمن هذا الجيش مجموعة من الفرسان العرب من مصر، وقد أيد الحلواني في مختصر تاريخ ابن سند ذلك فذكر أن من بين عناصر جيش إبراهيم باشا فئات من عرب الهوارة من مصر[٣].

ومن الفئات الأخرى المشاركة في الحملة الفرسان المغاربة، وقد أشارت رسالة لإبراهيم باشا مرسلة إلى والده يشكو فيها إبراهيم من فرسان عرب المغاربة، ويرى أن لا قيمة لهم في الحرب، ويطلب إرسال عساكر تركية بدلاً منهم[٤]. ويذكر سادلير أن الحملة تتكون من (٢٠٠) فارس تركي و(٢٠٠) فارس بدوي مغربي[٥]، وهذا تأكيد آخر لوجود المغاربة بشكل قوي في هذه الحملة، وقد ذكر مانجان ما يؤيد ذلك أيضاً

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٧ (19588H.H) تاريخ ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ.

(٢) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٩.

(٣) عثمان ابن سند، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، اختصره أمين الحلواني، وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧١هـ، ص١٠٣.

(٤) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ.

(٥) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠.

فذكر أن هناك (٥٠٠) فارس من المغاربة كانوا فرقة مستقلة بقيادة حسن الكاشف[١].

أما ابن بشر فقد وصف جيش إبراهيم باشا بأنه مكون من عناصر مختلفة من «مصر والروم والغرب والشام والعراق»[٢]، والروم هنا المقصود بهم الأتراك، وهذا يوافق المصادر السابقة في وجود فئات من المصريين والأتراك والمغاربة، ولكنه ينفرد[٣] بذكر وجود عساكر من العراق والشام في هذه الحملة، وهما بطبيعة الحال منطقتان عثمانيتان، واحتمال خروج عساكر منهما في الحملة من مصر وارد بشكل كبير.

أما رواية إنكيري فتذكر أنهم سبعة آلاف بين مصريين وترك وشركس ومغاربة، وهي تؤكد ما ذكر سابقاً في فئة المصريين والترك والمغاربة، أما الشركس فقد انفرد إنكيري بذكرهم[٤].

من خلال ما سبق يمكن أن نستخلص تركيبة جيش حملة إبراهيم باشا على النحو الآتي:

- عثمانيون وهم أفراد الجيش الذين عرفوا بالباشيوزق وهم العساكر غير النظاميين[٥] الذين يتكونون في معظمهم من فئات مختلفة من ولايات الدولة العثمانية، لعل أهمهم في مصر الأتراك والألبان إضافة إلى بعض العناصر من المصريين، ويبدو أن هذه الحملة طُعّمت ببعض العناصر المحاربة من العراق والشام العثمانيتين.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٤.
(٣) حسب المصادر المتوافرة لدي.
(٤) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٧٦. اعتماداً على كتاب إنكيري.
(٥) سرهنك، حقائق الأخبار، ج٢، ص١٢٠.

- المغاربة[١]، وهم على ما يبدو من البدو، ومن المرجح أنهم جنود مرتزقة، ولعل هذا يفسر خوف إبراهيم باشا منهم في رسالته لوالده، من تغير إخلاصهم وعدم وجود دافع قوي لولائهم له[٢].

- الشركس، ولعلهم جزء من فرقة العساكر النظامية التي حاول محمد علي تأسيسها سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م)، فقد ورد أن محمد علي حاول تأسيس هذه الفرقة من بعض المماليك[٣]، وقد يكون هؤلاء المماليك من الشركس الذين ذكرهم إنكيري سابقاً.

- بدو القبائل العربية في مصر، وقد ذكرت فئات منهم سابقاً وقد انضمت إلى الحملة أعداد كبيرة أيضاً من بدو الحجاز ونجد بعد وصولها[٤]، وسنعرض لهم في أثناء سير الحملة لاحقاً.

- إضافة إلى فئة خاصة مهمة وإن كانت قليلة جداً من الأوربيين الذين صحبوا الحملة بصفتهم مستشارين وفنيين حربيين، ومن أهمهم ضابطان فرنسيان[٥] أحدهما ـ وهو الأهم ـ فيسيير (Vaissiere)،

---

(١) أشارت بعض المصادر المغربية أيضاً إلى وجود العناصر المغربية في حملات محمد علي باشا التي كان يرسلها إلى الجزيرة العربية في تلك المدة، ومنها كتاب محمد بن عبدالسلام الرباطي: تاريخ الضعيف الرباطي،تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ج٢، ص٦٧٥، ٧٠١.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) سرهنك، حقائق الأخبار، ج٢، ص٢٣٦.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٤.

(٥) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٩، ولوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، موسكو: دار التقدم، ١٩٧١م، ص١٠٦

وكان ممن شارك في حروب نابليون، وقد جاء إلى مصر عام ١٨١٥م للعمل في جيش محمد علي[١].

قادة الحملة:

كان من المفروض أن يخرج محمد علي على رأس هذه الحملة بناء على أوامر الباب العالي، ولكن محمد علي لم يستطع الخروج وتحجج لدى السلطان بأعذار تتعلق بصحته حسبما تذكر الوثائق العثمانية حيث أكد في رسالته للسلطان عجزه عن الخروج على رأس هذه الحملة وأنه اختار ابنه إبراهيم ليحل مكانه[٢]، ويبدو أن محمد علي كان يخشى الخروج من مصر خوفاً من أن يطمع أحد منافسيه في ولايته، ويستغل فرصة غيابه ويقنع السلطان العثماني بعزله. هذا فضلاً عن خوفه من حملات بريطانية أو فرنسية جديدة على مصر[٣].

بعد وفاة طوسون باشا القائد العام للحملات المصرية في الجزيرة العربية اختير إبراهيم باشا لقيادة الحملة الجديدة نتيجة ما يتميز به من صفات أهلته في نظر والده للقيام بهذه المهمة. فقد ذكر عنه ـ على الرغم من صغر سنه إذ لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره ـ أنه يتصف بالشجاعة والإقدام، وأنه كان صلب العود شديد البطش ومتفانياً في طاعة والده[٤]، خصوصاً مع ما أبداه من مقدرة وبراعة في حكم الصعيد.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠، وعبدالحميد البطريق، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م، ص١٢.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٧ (19588H.H) تاريخ ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ.

(٣) الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٨.

(٤) البطريق، ذكرى البطل، ص١١ ـ ١٢.

كما عين إلى جانبه عدداً من القادة على بعض الفرق التي تكون منها الجيش، ومن أهمها فرقة الفرسان المغاربة وكان على رأسها حسن الكاشف أو القبرصي[١]، وفرقة المدينة التي كان على رأسها أوزون علي[٢]. كما عين محمد علي بعض القادة الصغار ويسمون البكباشية وهم الذين يكونون على رأس (١٠٠) أو (١٥٠) من الجنود وهي رتبة عسكرية تركية، وقد ذكر محمد علي أنه عيَّن هؤلاء ليكونوا مع خيالة البدو مرافقين لهم ويكونوا مساعدين لهم من الخلف في حال غزوهم[٣]، ومن هؤلاء البكباشية: قاسم أغا، وبابا مصطفى، وإسماعيل أغا[٤]. فضلاً عن قادة الإمدادات التي كانت تصل تباعاً إلى الحملة طوال مدة بقائها في شبه الجزيرة العربية. كما كانت قيادة فصائل قبائل البدو المشاركة في الحملة تحت قيادة شيوخها أو أبنائهم[٥].

سير الحملة[٦]:

بعد أن استكملت الحملة جميع استعداداتها بدأت بالتحرك من مصر إلى شبه الجزيرة العربية لتحقيق هدفها بالقضاء على الدولة السعودية الأولى في الدرعية. وكان أول تحركات الحملة قوة مكونة من خمس

---

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣.
(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٧ (19588H.H) تاريخ ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ.
(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٧ (19588H.H) تاريخ ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ.
(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٥.
(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٤٧ (19588H.H) تاريخ ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ.
(٦) انظر الخريطة رقم (١).

مئة[١] فارس من المغاربة بقيادة حسن الكاشف، اتجهت براً إلى السويس ومنها إلى ينبع لتظل هناك في انتظار قدوم إبراهيم باشا مع بقية الحملة[٢]. في حين اتجهت قوة مكونة من ألفين من المشاة بقيادة البكباشية قاسم أغا وبابا مصطفى، وإسماعيل أغا في النيل إلى قنا في انتظار انضمام إبراهيم باشا إليهم[٣]، كما أمر محمد علي بنقل المؤن والذخائر والمعدات الحربية إلى قنا بالمراكب عبر النيل أيضاً[٤].

وفي ١٠ شوال سنة ١٢٣١هـ (٣ سبتمبر عام ١٨١٦م)[٥] غادر إبراهيم باشا القاهرة مبحراً عن طريق النيل إلى قنا حيث اجتمع بجنوده هناك[٦]، ثم انصرف من فوره إلى تدبير أمور شحن معدات الحملة حيث

(١) يذكر سادلير أنهم مئتا فارس فقط، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٥، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، الرياض: دار الزهراء، ١٤١٦هـ، ص١١٦.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٥.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢.

(٥) يذكر إدوارد جوان أن خروجها في ١٠ شوال سنة ١٢٣١هـ (٥ سبتمبر)، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١١، ونقل عنه ذلك عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٥، و البطريق، ذكرى البطل، ص١٢.

(٦) ذكر الدكتور عبدالرحيم في كتابه الدولة السعودية الأولى، ص٣٤٠، «أنه بعد أن استكمل جميع معدات الحملة اتجهت إلى ينبع لتبقى هناك إلى حين وصول القائد العام الذي أبحر صوب ينبع في ١ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٣ سبتمبر عام ١٨١٦م) فوصل إليها بعد ثلاثة أيام» وقد كان مرجعه في هذه المعلومات كتاب التاريخ الحربي للدكتور عبدالرحمن زكي، وفيلبي. وبالرجوع إلى هذه المراجع يتضح أن ما ذكره لا يطابق ما وجد فيهما إذ إن إبراهيم باشا خرج مع حملته من مصر ولم تسبقه سوى فرقة حسن الكاشف كما هو موضح أعلاه بناء على جميع المصادر المتوافرة التي لم يرجع إليها المرجع المذكور.

عمل على تدبير ستة آلاف جمل قدَّمها إليه عرب العبابدة لشحن الأمتعة إلى ميناء القصير على البحر الأحمر، في حين قطع المشاة هذه المسافة سيراً على الأقدام. وعندما وصل إبراهيم باشا إلى القصير مكث فيها بضعة أيام عمل خلالِها على تحميل السفن بمعدات الحملة، ثم غادرها مع قواته في أول ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٨١٦م. وبعد ستة أيام في ٧ من ذي القعدة / ٢٩ سبتمبر وصلت الحملة إلى ينبع[(١)].

كان على الحملة أن تختار أحد الطريقين الرئيسين المؤديين إلى نجد من الحجاز: أحدهما عن طريق ينبع ـ المدينة ـ القصيم مخترقاً شمال نجد إلى الدرعية، والآخر عن طريق جدة ـ مكة ـ الطائف ـ تربة مخترقاً غرب نجد إلى الدرعية.

اختارت الحملة الطريق الشمالي عن طريق ينبع ـ المدينة ـ القصيم للوصول إلى الدرعية بناء على توصيات من محمد علي[(٢)]، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١ ـ أن القبائل القاطنة شمال الحجاز وشمال عالية نجد كانت أقل تحمساً للدعوة والدولة السعودية من تلك الموجودة جنوبه. وكان نجاح الحملة متوقفاً على كسب ولاء القبائل التي ستخترق بلادها، فكان أسهل على إبراهيم باشا أن يكسب ولاء قبائل الشمال التي لم يكن من الصعب شراؤها أو تخويفها للخضوع له[(٣)].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣ ـ ١٢٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠ ـ ٥١١ ـ ٥١٣، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢، وبيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٢٨، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١١٧.

(٢) عمر الإسكندري و سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، ص١٣٢.

(٣) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٣٣.

٢ ـ أن السلطة العثمانية في المدينة كانت دائماً أقوى منها في مكة فلم يكن العثمانيون يثقون بالشريف الذي كان يرفض دائماً الخضوع لسلطتهم المباشرة.

٣ ـ مراسلات بعض أهل القصيم واتصالاتهم مع طوسون باشا ثم مع محمد علي بعد ذلك كما سبق أن ذكرنا.

٤ ـ إن هذه المنطقة مأهولة بكثافة، وهذا يعني أنه لابد من إخضاعها ومن ثم تحويلها إلى مراكز مهمة للتموين في الطريق إلى الدرعية.

٥ ـ وجود اضطرابات قوية في جنوب الحجاز في تلك المدة في بيشة ورنية وتربة(١)، وهذا سيعطل الحملة لو أنها سلكت ذلك الطريق في هذه المنطقة التي لم يستقر حكم محمد علي فيها، في حين كانت الأوضاع شمال الحجاز أكثر استقراراً.

٦ ـ أن اختيار هذا الطريق يمكن الحملة من الاحتفاظ بخط رجعتها، ووصول الإمداد إليها بسهولة؛ وذلك لسهولة طبوغرافية أراضي الطريق الشمالي، إضافة إلى توافر آبار المياه فيها على طول الطريق، إذ كان إبراهيم باشا يخشى من انقطاع طرق إمداده إذا سلك طريق تربة نتيجة قلة الآبار في تلك المنطقة(٢).

٧ ـ الطريق الشمالي أقرب إلى ولايات الدولة العثمانية في العراق(٣) والشام بحيث تكون الحملة على اتصال دائم بهما لوصول أي مساعدات منهما.

---

(١) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٧٠.

(٢) الفرج، الخبر والعيان، ص٢٩٢، وبيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٣٣، والإسكندري، تاريخ مصر، ص١٣٢.

(٣) محمد مرسي عبدالله، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨م، ص٢٥٢.

الحملة في ينبع:

اختير ميناء ينبع لرسو سفن الحملة[١] نتيجة لبعدها عن الحدود الغربية لنجد، ولأنها ذات أبراج حصينة، كما أن مواصلاتها سهلة مع القاهرة والإسكندرية بحيث يمكن للحملة أن تجلب كل ما يلزمها من مصر، كما أنها كانت منذ أن استولى عليها المصريون سنة ١٢٢٦هـ (عام ١٨١١م) مستودعاً لمعداتهم العسكرية، فضلاً عن أن هناك رأساً في الماء تشقها من وسطها، وأن الماء فيها عميق يكفي لرسو السفن الضخمة ووقايتها من الأمواج في هذه المنطقة. وبناء على ذلك اختيرت ينبع لتكون مرسى لسفن الحملة ومستودعاً أول لمعداتها[٢]، خصوصاً أن هذه الحملة قررت الوصول إلى الدرعية عن طريق القصيم من الشمال، وكان ميناء ينبع هو الأقرب والأفضل لذلك.

ألقت سفن الحملة مراسيها في ميناء ينبع في ٧ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٩ سبتمبر عام ١٨١٦م)، ونزل إبراهيم باشا مع كبار ضباطه في قصر حاكمها. وأُنزلت القوات والمعدات من السفن، حيث أمر إبراهيم باشا بإقامة معسكر للجنود خارج أسوار ينبع[٣]، في منطقة قريبة منها تسمى ميلقا[٤]. ثم أمر بإقامة مناورة عسكرية عرض فيها جيوشه،

---

(١) يذكر فريد بك المحامي في تاريخ الدولة العلية، ص٤٠٨ «أن إبراهيم باشا سار إلى بلاد العرب عن طريق قنا فالقصير فجدة» وفي الحقيقة لم أجد أي مصدر يشير إلى أن إبراهيم اتجه من القصير إلى جدة، بل إن كل المصادر المتوافرة لدي تشير إلى اتجاهه إلى ينبع مباشرة، ولا أعرف من أين أتى المؤلف ـ رحمه الله ـ بهذه المعلومة، وقد يكون ما ذكره فريد بك ناتجاً من شهرة ميناء جدة بصفته أكبر موانئ الحجاز فظن أن الحملة دخلت عن طريقه، أو لأن إبراهيم باشا كان والياً لجدة فظن أنه دخل عن طريقها.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٣.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٣، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٦، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١١٧.

(٤) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٣٩.

وقد ذهب بعضهم إلى أن إبراهيم باشا قام بهذه المناورة للوقوف على الإمكانيات والاستعدادات الفعلية لحملته، وتدريب قواته في المقام الأول[١].

ولعل إبراهيم باشا هدف أيضاً من وراء إجراء هذه المناورة إلى شيء آخر وهو ما يعرف بالحرب النفسية التي غالباً ما تسبق الحروب وهي أمر معروف منذ القدم، وذلك للتأثير في نفوس أهالي المنطقة وإرهابهم. كما يبدو أنه أراد أن تكون هذه المناورات رسائل تصل إلى الإمام عبدالله بن سعود ليدخل في روعه مسبقاً ضآلة حجم قوته أمام قوات الحملة، إذ لا يغيب عن الذهن أنه لا بد أن تكون هناك عيون للإمام عبدالله تتابع كل تحركات الجيش المصري وتنقل الأخبار إليه.

ويبدو أن سياسة إبراهيم باشا هذه قد آتت ثمارها، إذ إنه عندما أرسل إبراهيم باشا إلى القرى والقبائل المجاورة لتقديم وسائل النقل اللازمة للجيش، اضطر هؤلاء إلى تقديم خيولهم وإبلهم بأعداد كبيرة، وحضروا في وفود مختلفة لتقديم الولاء والطاعة له[٢].

وقد اختلفت المصادر المتوافرة في المدة التي بقيت فيها الحملة في ينبع، ففي حين يذكر مانجان أن الحملة تحركت إلى المدينة بعد عشرة أيام من وصولها إلى ينبع بعد أن توافرت لها الجمال اللازمة لنقلها[٣]. يذكر سادلير أن الحملة انتظرت في معسكرها قرب ينبع أربعين يوماً تترقب دعمها بالجمال من القبائل المجاورة[٤]. أما الوثائق العثمانية فلم تعط

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٤، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٦.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٤، والبطريق، ذكرى البطل، ص١٣.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٥.

(٤) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٣٩.

معلومات عن مدة بقاء الحملة أو تاريخ تحركها من ينبع، وإن كانت قد أشارت إلى الوقت الذي دخل فيه إبراهيم باشا المدينة وهو منتصف شهر ذي القعدة تقريباً، وهذا يجعل رواية مانجان هي الأقرب للصواب.

إبراهيم باشا في المدينة:

خرج إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة برفقة حرسه الخاص فقط[1] بعدما أمر جيشه بالتحرك باتجاه المدينة، وقد دخلها في ١٢ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٥ أكتوبر عام ١٨١٦م)[2] من الباب المصري حيث استقبل بطلقات البنادق، وكان في استقباله أغا الحرم ومعه ثمانون من حراس الحرم ووفد مؤلف من القاضي والسادات والشيوخ. ثم صلى في مسجد الرسول ﷺ وزار قبره الشريف[3].

ولما وصل خبر وجود إبراهيم باشا في المدينة إلى الإمام عبدالله بن

---

(١) قطع إبراهيم باشا الطريق إلى المدينة ماراً بقرية بريكة جنوب ينبع مجتازاً كثبان الرمال المتحركة إلى بدر ثم غادرها مجتازاً أودية عريضة ومتعرجة ماراً بقرية الجديدة ثم صعد إلى ثنية واسط متقدماً نحو الصفراء وهي سوق القبائل المجاورة، ثم الجديدة مقر قبائل حرب، ثم إلى بلدة الكيف فوادي مدك، وصعد بعد ذلك إلى الفريش والسلسلة، ثم هبط إلى وادي العقيق، ثم سار حتى دخل المدينة، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٥.

(٢) اختلفت المصادر في تاريخ دخول إبراهيم باشا المدينة حيث يذكر مانجان أن دخوله كان في ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٩ أكتوبر عام ١٨١٦م)، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٥، ويذكر إدوارد جوان أن وصوله كان في ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٦ أكتوبر عام ١٨١٦م)، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٤، ولكن هناك وثيقة من والي الشام إلى السلطان يذكر فيها وصوله إلى المدينة بصحبة حجاج الشام في ٢٣ من ذي القعدة، وأنه قابل إبراهيم باشا الذي وصل قبله إلى المدينة بأحد عشر يوماً أي في ١٢ من ذي القعدة، دارة الملك عبدالعزيز وثيقة ٤/١ - ١٨ (19651H.H) تاريخ ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٥، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٦.

سعود رأى أن من الحكمة مراسلته لتذكيره بشروط الصلح الذي عقده مع طوسون في محاولة لثنيه عن التقدم إلى الدرعية في الظاهر، أو محاولة تأخير تحرك الحملة إلى حين الاستعداد لها بالشكل المناسب. ويبدو أن هذه الرسائل لم تلق تجاوباً من إبراهيم باشا الذي سبق أن تلقى الأوامر من الباب العالي بعدم الرد على رسائل الإمام عبدالله بن سعود[١]، كما رفض السلطان السماح لوالي الشام في تلك المدة حافظ باشا بالرد على رسائل الإمام عبدالله للتوسط عند إبراهيم باشا لما قد تمثله هذه المراسلات من خطر على أهداف الباب العالي لو تم تفعيلها بين القوات السعودية والقوات المصرية الغازية[٢]. وفي رابع أيام عيد الأضحى غادر إبراهيم باشا المدينة المنورة[٣]، والتقى جيشه خارجها وأمره أن يعسكر في قرية الصويدرة[٤].

الحملة في الصويدرة:

اتخذت الحملة من هذه القرية مستودعاً مؤقتاً للمؤن والذخائر، وطالب الجيش المصري القبائل المجاورة لها بتقديم المساعدات اللازمة. ولكن شيوخ القبائل هناك رفضوا تقديم أي معونات للجيش المصري متمسكين بولائهم للإمام عبدالله بن سعود، وهذا جعل إبراهيم باشا يُسيِّر

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٦٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٤/١ ـ ١٨ (19651H.H) تاريخ ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٨.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٢٨. الصويدرة: بلدة عامرة تقع على وادي نجاز (ويسمى أيضاً وادي الصويدرة) على الطريق من المدينة إلى القصيم على بعد (٥٣) كيلاً من المدينة، سكانها من قبيلة حرب. البلادي، معالم الحجاز، ج٥، ص١٧١.

لهم ألفي رجل من المشاة والفرسان لمعاقبتهم، وقد التقت هذه القوات على مسيرة يومين من المعسكر بما يقارب المئة من رجال تلك القبائل فهاجمتهم، وتغلبت عليهم بعد مقاومة ضعيفة، فانهزموا راجعين إلى خيامهم فلحقهم أفراد الجيش المصري حتى بلغوها وأباحوها للنهب والسلب، ثم عادوا إلى المعسكر. وقد أسر منهم نحو مئة رجل، وكان معهم جمع من النساء والأطفال وقطعان الأغنام، إلا أن إبراهيم باشا رد النساء والأطفال إلى أهليهم[١]، ويبدو أنه فعل ذلك عملاً بسياسة استمالة البدو لضمان مساعدتهم. وقد كانت هذه هي أولى المواجهات العسكرية بين السعوديين وحملة إبراهيم باشا. وقد أقامت الحملة في الصويدرة نحو خمسة عشر يوماً تلقت بعدها الأمر بالسير نحو الحناكية[٢].

الحملة في الحناكية:

كان إبراهيم باشا قد أرسل قوة من الصويدرة قوامها (٤٠٠) فارس للاستيلاء على الحناكية. ولما كانت المدينة المنورة غير بعيدة، فقد عرج عليها إبراهيم باشا مع بعض ضباطه لأداء الصلاة في المسجد النبوي،وأقام فيها (١٥) يوماً إلى حين وصول جيشه إلى الحناكية وبناء الاستحكامات اللازمة والقلاع في الحناكية،ثم توجه إبراهيم باشا إليها بعد أن أصبح المعسكر جاهزاً[٣] في ٧ من المحرم سنة ١٢٣٢هـ[٤].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٩ ـ ١٣٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٢٨ ـ ٥٣٠، والرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٢، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٧ ـ ٦٨.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣١.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣١.

(٤) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ.

نشاط الحملة العسكري في الحناكية:

قبل الدخول في تفصيلات العمليات العسكرية التي قامت بها الحملة خلال وجودها في الحناكية، لا بد من دراسة الموقف العام لجميع الأطراف المتحاربة في المنطقة، وقد صنفت في ثلاث فئات رئيسة هي الحملة المصرية وعلى رأسها إبراهيم باشا، والقوات السعودية مع الإمام عبدالله بن سعود، والقبائل البدوية القاطنة في المنطقة بين المدينة والقصيم وجبل شمر.

فإبراهيم باشا المعسكر في الحناكية كان يرى وجوب إخضاع قبائل هذه المنطقة، ومواجهة الإمام عبدالله بن سعود في معركة حاسمة تمهد لدخوله إلى نجد، إذ إن عليه تأمين خطوط مواصلاته وقوافل إمداده حتى لا يحاصر داخل نجد ويقضى عليه بسهولة، وبذلك بدأ مواجهاته العسكرية على هذا الأساس. في حين يبدو أن الإمام عبدالله بن سعود في هذه المرحلة من صراعه مع إبراهيم باشا كان يرى أن أفضل طريقة لمواجهته هي الهجوم عليه في نقاط متقدمة قبل أن يدخل نجداً، لذلك خرج غازياً بجموع كبيرة لمنع إبراهيم باشا من التقدم إلى نجد، ولتأديب القبائل التي انحازت إلى إبراهيم باشا(١). ويبدو أن السعوديين قد وضعوا خطة محكمة لهذا الهجوم للقضاء على الحملة تتمثل في الآتي:

يتجه الإمام عبدالله بن سعود بما يقارب عشرة آلاف مقاتل إلى قرب الحناكية، ويعمل على مناوشة القوات المصرية واستدراجها إلى داخل الصحراء، في حين تتجه قوات أخرى قوامها ثلاثون ألفاً غالبها من البدو إلى المدينة للاستيلاء عليها، وضرب مؤخرة قوات إبراهيم في الحناكية بعد ذلك، ويزحف فيصل بن سعود إلى مكة وجدة وينبع بمساعدة أنصار

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٥، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٥.

الدعوة في عسير لقطع خطوط المواصلات مع مصر[١]، وسنعرض لنتيجة هذه الخطة من خلال المواجهات العسكرية التي حصلت في هذه المنطقة في مكانه من هذا الكتاب.

أما قبائل البدو في هذه المنطقة فقد اختلفت مواقفها بين مؤيد لإبراهيم باشا وباق على ولائه للإمام عبدالله بن سعود، وقد ذكرت سابقاً أن محمد علي قد عمل على مراسلة البدو لتأييد ابنه وتقديم المساعدة له، وعليه بدأ إبراهيم باشا يسعى إلى الحصول على هذه المساعدات متبعاً في سبيل ذلك مختلف أساليب الترغيب والترهيب، وقد كانت مواقف القبائل في هذه المنطقة مختلفة إزاء ذلك.

كانت القبائل التي تنتشر في الأراضي الواقعة بين القصيم والمدينة قد دخلت في معارك مع إبراهيم باشا[٢]. واختلفت مواقف بعض القبائل وتغيرت إما عن طريق القوة، وإما باستمالتها بالمال، وإما نتيجة لتحقيق مصالح سياسية أو شخصية. ويبدو أن هذه القبائل في بداية قدوم إبراهيم إلى المنطقة لم تعلن ولاءها مباشرة له، ولذلك عمل إبراهيم على مواجهتها عسكرياً، وكان لتلك المواجهات العسكرية نتائج مختلفة في التأثير في مواقف هذه القبائل سنعرض لها من خلال عرض هذه المواجهات.

قام إبراهيم باشا بالفعل بعدد من الغزوات استهدف بها القبائل القاطنة في المناطق المجاورة للحناكية. وقد اختلفت المصادر في تفصيلات هذه المعارك والغزوات، ففي حين أشارت الوثائق العثمانية إلى عدد من هذه

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٦، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٢، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٧١، وعبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣٤٣.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٣.

الغزوات، أشارت بعض المصادر الأجنبية إلى معارك أخرى مختلفة ـ وإن كانت قد اتفقت في بعضها مع ما ورد في الوثائق ـ وقد كانت هذه المعارك والغزوات على النحو الآتي:

ـ في اليوم التالي لوصول إبراهيم باشا إلى معسكره في الحناكية في ٨ من المحرم سنة ١٢٣٢هـ (٢٨ نوفمبر عام ١٨١٦م) بدأ نشاطه العسكري فخرج غازياً بأربع مئة وخمسين فارساً[١] إلى المنطقة الواقعة بين جبل شمر والرس، حيث وجد جموعاً من قبيلتي حرب[٢] ومطير في منطقة تدعى جبلة[٣]، وجموعاً أخرى من قبيلة عنزة من المحلف[٤] في منطقة مجاورة. وقد أرسل إبراهيم باشا فرقة استطلاعية مكونة من أربعين فارساً للتجسس على هذه الجموع، ولكن أفراد قبيلتي حرب ومطير فاجأتهم. وعندما سمع إبراهيم باشا ومن معه أصوات البنادق أسرعوا بالهجوم، فأدى هذا إلى انهزام هذه القبائل وقتل ثلاث مئة من أفرادها، وغنم إبراهيم باشا سبع مئة من الجمال وخمسة آلاف رأس من الأغنام و نهب كل أمتعتهم.

أما قبيلة المحلف من عنزة فقد لاذت بالفرار، وقد عجز إبراهيم باشا عن ملاحقتها نتيجة تعب الخيول، ونفاد قواها فعاد إلى الحناكية بعد

---

(١) في وثيقة أخرى ذكر أنهم (٤٠٠) فارس فقط، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ١/٥ ـ ٥٠ (19695H.H) بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) ذكر ابن بشر أن إبراهيم أغار على الرحلة من حرب عند أبانان الجبلان المعروفان في نجد، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٣) ذكرت في الوثيقة و(جبيلة) هي هضبة حمراء تقع في عالية نجد غرب عفيف في بلاد الروقة من عتيبة مما يلي بلاد مطير من بني عبدالله، سعد بن عبدالله الجنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، الرياض: شركة ألوان للطباعة، ١٤١٧هـ، ج١، ص٢٨٥.

(٤) من العمارات من عنزة الدهامشة، أوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٨٥.

غياب اثني عشر يوماً، ولكنه كان عازماً على الخروج فيما بعد لغزو هذه القبيلة[١]. ويبدو أن إبراهيم باشا قد خرج بالفعل بعد عدة أيام لملاقاة هذه الجموع من عنزة، إذ ورد في وثيقة مرسلة من محمد علي إلى وكيله في إستانبول يفصل أخبار حملة إبراهيم باشا، وذكر أن ابنه أخبره في تقريره أنه سيغزو هذه القبيلة، ومع أنه لم يرده أي خبر من إبراهيم عن هذه الغزوة إلا أنه وصلته أخبار من قبل ربان إحدى السفن القادمة من ينبع تنبئه بهجوم إبراهيم باشا على هذه القبيلة وانتصاره عليها، وأنه غنم منها غنائم كثيرة[٢].

ـ قام إبراهيم باشا عقب هذه الغارة بغارات أخرى أقوى للتوغل في نجد، ومواجهة جميع القبائل التي تنازعه في المنطقة، فخرج في ٧ صفر سنة ١٢٣٢هـ (٢٧ ديسمبر عام ١٨١٦م)[٣]في جيش مؤلف من (١٨٠٠) فارس مزودين بمؤن تكفي عشرين يوماً، وكان يرافقه شيخ قبيلة حرب غانم بن مضيان بخمس مئة رجل من قبيلته، ومع فرقة من البدو في الطليعة يعملون أدلاء، وقد هاجم مواقع القبائل الموالية للسعوديين واحدة تلو الأخرى، وهذا جعلهم ينسحبون إلى داخل البلاد. وفي ٢٩ صفر سنة

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، ووثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٠ (19695H.H) بتاريخ ٢٣ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم٥/١ ـ ١٥٧ (C19695H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٤.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز،الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٠ (19695H.H) بتاريخ ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) ذكر إبراهيم باشا في رسالة إلى والده بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ (٢٩ ديسمبر عام ١٨١٦م) أنه عازم على الخروج إلى الغزو بعد ثلاثة أيام من تاريخه أي في ١٢ صفر (١ يناير) وهو تاريخ مقارب لما ورد عند مانجان. ويبدو أن هذه هي الغزوة نفسها التي ذكرها إبراهيم باشا، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ.

١٢٣٢هـ (١٧ يناير عام ١٨١٧م) عاد إبراهيم باشا إلى معسكره في الحناكية بعد أن غنم (٨٠٠) جمل و(٤٠٠٠) رأس من الغنم ومقداراً كبيراً من مهمات الحرب، في حين لم تتجاوز خسائره عشرين قتيلاً وبعض الجرحى[١].

- ومن الغارات التي شنها إبراهيم باشا على القبائل البدوية غارته على قبيلة عتيبة حيث أرسل كتيبة تعقبتهم في الصحراء في إثر فرارهم من وجه الحملة مصطحبين معهم أموالهم وجمالهم وأغنامهم، ولكن القوات المصرية استطاعت أن تطال سبعين رجلاً منهم حيث أسرتهم وأرسلتهم إلى إبراهيم باشا الذي أمر بقتلهم، وقد عانى جنود الحملة في طريق عودتهم من هذه الغزوة بسبب نقص الماء والمؤن، إذ كانوا يتوقعون أن يحصلوا على كميات كبيرة منها بنهب خيام البدو الذين فروا من أمامهم وسبقوهم إلى الآبار وردموها وأتلفوا كل شيء لا يطيقون حمله[٢].

- كما خرج إبراهيم باشا بعد ذلك في ١١ربيع الآخر سنة ١٢٣٢هـ (٢٨ فبراير عام ١٨١٧م) من الحناكية متجهاً إلى جبل شمر، وقد كوَّن من أجل هذه الغارة كتيبة مؤلفة من ست مئة فارس من جيشه بقوا في المؤخرة يدفعون قوة قوامها ألف فارس و(٥٠٠٠) راكب من البدو[٣]. وقد وصل إلى جبل شمر بعد تسعة أيام من خروجه في ٢٠ ربيع الآخر (٨ مارس)، حيث تجمعت القبائل الموجودة هناك لمواجهته وتحركت نحو معسكر إبراهيم باشا الذي عمل على تقوية عزيمة جنوده لمهاجمة تجمع البدو، حيث استطاعوا تشتيت جمعهم مرتين، ولكنهم تجمعوا وكروا من جديد على جنود الباشا فحصلت معركة قوية استمرت من أربع إلى خمس

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٢، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٤.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٤١، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٧١.

ساعات، وكانت الغلبة بعدها لإبراهيم باشا ومن معه على الرغم من جلد هذه القبائل وقوتها. وقد غنمت الحملة منهم عشرة آلاف رأس من الغنم و(١٥٠٠) جمل، وقسمت الغنيمة بحيث أخذ البدو حصتهم، وقسم الباقي على العسكر، ثم عاد إبراهيم باشا ومن معه إلى الحناكية بعد غياب (٢٣) يوماً[١]. وكانت خسائر حملته في هذه المعركة لا تتعدى خمسة من القتلى وعشرة جرحى، حيث كانت أغلب الخسائر في قوات البدو الموالين له والذين كانوا في طليعة جيشه فبلغت خسائرهم مئتي قتيل وثلاث مئة جريح[٢].

ـ كما خرج إبراهيم باشا[٣] بألف وخمس مئة من رجاله وما يقارب ألف ومئتين من البدو من الحناكية، متوغلاً في الصحراء للقيام بهجوم مفاجئ على الرس. ولكن قاومته الظروف الطبيعية هذه المرة حيث هطلت الأمطار واشتدت عواصف الرمال، وتعطلت مسيرة الحملة، ولم يستطع الوصول إلى هدفه في الوقت الذي حدده وكادت المؤن تنفد، فاضطر إلى العودة إلى الحناكية. ولكنه في طريق العودة هجم على بعض القبائل وأخذ عدداً كبير من الأسرى، وغنم أعداداً كبيرة من الجمال. ولما كان الجنود

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٤٤ (A19697H.H) بتاريخ ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ١٩ (A19697H.H) بتاريخ ١١جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٤٤ (A19697H.H) بتاريخ ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٦٩ (19697H.H) بتاريخ ١ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٢ (19697H.H) بتاريخ ١ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١.

(٣) يذكر مانجان أن هذه الغزوة كانت في ٥ ربيع الآخر (٢٢ فبراير)، وهذا التاريخ يتعارض مع تاريخ معركة جبل شمر التي خرج لها إبراهيم باشا في ١١ ربيع الآخر كما تثبت الوثائق السابقة، وعليه تكون هذه في تاريخ لاحق للثاني من جمادى الأولى وهو تاريخ عودة إبراهيم إلى الحناكية بعد معركة جبل شمر.

الذين أنهكتهم هذه الغارة بحاجة إلى الراحة قرر الباشا قضاء الصيف في معسكر الحناكية، وأمر ببناء بيوت من الخشب لسكن الجيش[١]، وأخذ ينتظر وصول الدعم الذي طلبه من مصر[٢].

ونتيجة لغارات إبراهيم باشا في المنطقة ونجاحه في إخضاع القبائل البدوية لسلطته، قرر الإمام عبدالله بن سعود الخروج لمواجهته وتأديب القبائل التي خضعت له. فعمل على تجهيز الجيوش للقائه، فأمر أهل نواحي نجد في الوشم وسدير بإخراج فرق عسكرية انضمت إلى قوات القصيم وأمَّر على الجميع حجيلان بن حمد أمير القصيم، وأمر هذه القوات بإقامة معسكرها في منطقة الغميس[٣]، حيث رابطت في هذا الموضع أربعة أشهر[٤].

أما الإمام عبدالله بن سعود فقد عمل على تجهيز جيشه والخروج به من الدرعية. وبالفعل خرج من الدرعية في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ (٨ أبريل عام ١٨١٧م)، ونزل قرب الرس، وهناك استدعى حجيلان بن حمد وقواته، وتوجه بجميع من معه على طول وادي الرمة حتى وصل جبال العلم[٥]،وكان يريد أن يهاجم القبائل البدوية المحالفة لإبراهيم باشا الموجودة قريباً من هذه المنطقة، ولكنه وجد أن هذه القبائل

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٤ ـ ١٣٥، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٧.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز،الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٦٩ (19697H.H) بتاريخ ١جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٥، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٨.

(٣) الغميس، موضع بين الخبراء وبريدة في القصيم، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٥.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٥، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٥.

(٥) العلم: جبال سوداء كبيرة متصلة بعضها ببعض فيها أودية ومياه وهي من أكبر أعلام عالية نجد وأشهرها، الجنيدل، عالية نجد، ج٣، ص٩٨١.

قد علمت بوجوده ورحلت إلى الحناكية لتكون في حماية إبراهيم باشا، ولذا رجع الإمام عبدالله من العلم وعسكر في قرية مسكة[١]، وبعد عدة أيام سار منها إلى نجخ[٢] وأقام فيها أياماً يرقب تحركات إبراهيم باشا في المنطقة[٣].

أما إبراهيم باشا الذي كان يرقب أيضاً تحركات الإمام عبدالله بن سعود ضد القبائل البدوية الموالية له فقد خاف من تبدل مواقف بعض القبائل بعد خروج الإمام عبدالله إليها، فهب من فوره لقتال بعض القبائل التي كانت متخذة موقف الحياد ليعوق انضمامها إلى الإمام عبدالله، فقام بعدة معارك كانت الغلبة فيها للقوات المصرية، إذ قتلت أكثر من ثماني مئة رجل، وغنمت نحو ألفي جمل وأعداداً كبيرة من الأغنام[٤]. كما رأى إبراهيم باشا أن من الأفضل أن يستولي على موقع ماوية[٥] ليوفر لأتباعه الحماية اللازمة من تحركات الإمام عبدالله بن سعود، لذلك أرسل في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ (٢٦ أبريل عام ١٨١٧م) قوة بقيادة أوزون علي استولت على هذا الموقع دون قتال[٦]، على أن يظل إبراهيم باشا في

---

(١) مسكة: قرية بمنطقة ضرية من قرى القصيم، الجاسر، المعجم الجغرافي، ج٣، ص١٣٣٣.

(٢) نجخ: تقع في عالية نجد تابعة الآن لإمارة القصيم وفيها هجرة حديثة لمطير بني عبدالله، الجنيدل، عالية نجد، ج٣، ص١٢٥٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٥، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٦.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٥، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٨.

(٥) ماوية: اسم لماء يقع بين الحناكية والنقرة الواقعتين على الطريق المتجه من القصيم إلى المدينة المنورة، محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد القصيم، الرياض: دار اليمامة، ١٤١٠هـ، ج٦، ص ٢١٩٠ ـ ٢١٩٤.

(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٦، وسادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٦، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٠٦.

الحناكية ينتظر وصول التعزيزات العسكرية من والده. وفي أثناء ذلك وصلته رسالة من فيصل الدويش[(١)] شيخ قبيلة مطير يعرض فيها رغبته في التحالف معه ضد الإمام عبدالله بن سعود انتقاماً منه لقتله أخاه، وأنه سيوافيه إذا وصلت قواته إلى ماوية، وقد سُرَّ إبراهيم باشا بهذا الأمر ودفعه ذلك إلى التعجيل بالتحرك إلى ماوية، فغادر الحناكية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ (٣٠ إبريل عام ١٨١٧م) على رأس قوة مكونة من (٤٠٠) فارس وعدد كبير من المشاة مع قافلة من ثلاثة آلاف جمل تحمل ذخائر ومؤناً تكفي القوات المعسكرة في ماوية مدة شهر كامل، وبعد يومين من مسيره وصلته أخبار معركة ماوية بين قوات أوزون علي والإمام عبدالله بن سعود[(٢)].

معركة ماوية:

قبل الدخول في تفصيلات المعركة لا بد من وصف حالة الجيشين المتحاربين قبل ذلك، فالجيش السعودي يتكون من عشرة آلاف مقاتل[(٣)]

(١) فيصل بن وطبان الدويش تولى مشيخة مطير مدة طويلة، وقد تحالف مع القوات العثمانية المصرية، وكان دليلها للوصول إلى الدرعية،وقد استمر في تعاونه مع القوات المصرية التي قدمت إلى نجد بعد سقوط الدرعية، توفي سنة ١٢٤٨هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٤٦ ـ ٤٤٨ ـ ٤٦٤، ج٢، ص٢٧.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٧، وسادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٨، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١٢١. ويذكر صاحب لمع الشهاب أن إبراهيم باشا حضر هذه المعركة وانقض بمن معه على السعوديين. لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٦هـ، ص١٢٥، ولكن أغلب المصادر والوثائق تؤكد عدم حضوره إليها وأنه وصل إلى ماوية بعد انتهائها.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٢/ ٣ك ـ ١ (19534H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٠.

معسكرين في نجخ، مزودين بمؤنة تكفي خمسين يوماً، ومسلحين بالخناجر والسيوف والرماح والبنادق[١]،مع جهاز مدفعية مكون من ثلاثة مدافع[٢]،عليها رجال مدفعية من الأتراك[٣]، ومقسمين إلى فرق على كل منها أمير، وتتقدم كل فرقة الأعلام والبيارق فضلاً عن فرقة طليعة مؤلفة من أربعين فارساً، إضافة إلى فرقة حرس الشرف وهم الفرقة الوحيدة الدائمة في الجيش السعودي، وتتألف من (٣٠٠) فارس من خيرة الفرسان، وقد نظَّم الإمام عبدالله هذا الجيش، وعيّن مراكز الحرس ومراكز التربص الأمامية ونظم مناوبات عليها، وظل متربصاً لقوات إبراهيم باشا في هذه المنطقة[٤].في حين أن قوات أوزون علي كانت مؤلفة من ألف من المشاة، و(٤٠٠) فارس مع مدفع ميدان واحد[٥]، وترافقها قوة من البدو[٦] من حرب وغيرها[٧] بقيادة غانم بن مضيان[٨].

تقدمت جيوش الإمام عبدالله بن سعود إلى ماوية مفاجئةً قوات أوزون علي المعسكرة في المنطقة بالهجوم في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة

---

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٠.
(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٢/ ٣ك ـ ١ (19534H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ.
(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨.
(٤) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٠ ـ ٥٤١.
(٥) يذكر سادلير أن عدد المدافع مدفعان، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١.
(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٦، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٢.
(٧) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص١٠٦.
(٨) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٧.

سنة ١٢٣٢هـ[١] (٢ مايو عام ١٨١٧م)[٢] مع بداية النهار دون تنظيم أو تحضير، فتصدى لهم أوزون علي بإطلاق البنادق عليهم بشدة، ففروا وارتبكت صفوفهم، فما كان من الإمام عبدالله إلا أن جرَّد فرسانه وتقدم بنفسه نحو معسكر المصريين فرد أوزون علي بإطلاق المدفع على هذه الجموع المتقدمة، وهنا أمر الإمام عبدالله من معه بإلقاء أنفسهم على الأرض اتقاء لنيران المدفع، فاغتنم فرسان المصريين فرصة اضطرابهم وترددهم للانقضاض على صفوف السعوديين والإمساك بزمام الأمور في المعركة. وكان حلفاء الإمام عبدالله من البدو قد ولوا الأدبار، ثم تتابعت الهزيمة على جيش الإمام عبدالله بن سعود فانهزموا متراجعين إلى الخلف[٣] بعد معركة دامت قرابة ساعتين ونصف[٤].

خسر الجيش السعودي في هذه المعركة ثلاثة مدافع، وكميات كبيرة من الذخائر الحربية، و(٥٠٠) جمل، ونحو (٣٠٠) قتيل[٥] و(٢٠٠) أسير

---

(١) ذكر ابن بشر أن تاريخ المعركة في منتصف جمادى الآخرة دون تحديد اليوم. عنوان المجد، ج١، ص٣٨٦، وهذا جعل بعض الباحثين أمثال أحمد مرسي عباس في كتابه العسكرية السعودية ص١٢١، يذكر أن تاريخ المعركة هو ١٥ جمادى الآخرة، ولكن الصحيح ما ورد أعلاه كما تشير الوثائق العثمانية. والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٩٦ (19632H.H) بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ. والوثائق العثمانية، وثيقة رقم٢/ ٣ك ـ ١ (19534H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٢) يذكر سادلير أنها في ٢ كانون الأول (ديسمبر) ويبدو أن هناك خطأ في التاريخ، لأنه بعيد جداً عن التواريخ التي ذكرتها المصادر الأخرى، والتي كانت متقاربة جداً كما تم التوضيح. سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٦، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٧ ـ ١٣٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٤ ـ ٥٤٥.

(٤) الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٢/ ٣ك ـ ١ (19534H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ. ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨.

(٥) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، ومحفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢هـ، =

من بينهم بعض أقارب الإمام عبدالله[١]. وتذكر الوثائق العثمانية أن من بين القتلى عم الإمام عبدالله بن سعود، وابن عمه[٢]، وأحد أمراء القصيم الكبار[٣]، وكاتب الإمام عبدالله بن سعود واسمه جبر[٤]. أما خسائر

= ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٩ ـ ٣ (19674H.H) بتاريخ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ.

وقد ذكرت وثائق أخرى أن أعداد قتلى السعوديين في هذه المعركة بلغ (٨٠٠) قتيل، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ ـ ٣٤ (A19652H.H) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك ـ ٤٢ (A19652H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ. ويذكر ابن بشر أن مجمل الخسائر سواء القتلى أو الأسرى بلغ نحو (٢٠٠) رجل. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٦.

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(٢) في وثيقة أخرى ذكر أن ثلاثة من أقارب عبدالله إضافة إلى عمه قتلوا في هذه المعركة، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ ـ ٣٤ (A19652H.H) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ. والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك ـ ٤٢ (A19652H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٣) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٣٢هـ، ومحفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٣٢هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ ـ ٣٤ (A19652H.H) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك ـ ٤٢ (A19652H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

وقد أشارت هذه الوثائق إلى أنه حجيلان بن حمد، ومن الواضح أن هناك التباساً أو خطأً في الأمر؛ لأن حجيلان بن حمد لم يقتل في هذه المعركة، فقد أشار ابن بشر إلى وجوده في بريدة أميراً عليها عندما قدم إليها إبراهيم باشا في وقت لاحق، كما ذكر أن الباشا اصطحبه معه بعد سقوط الدرعية إلى المدينة سنة ١٢٣٤هـ حيث توفي هناك في السنة نفسها، كما أشارت الوثائق العثمانية نفسها إلى وجوده في بريدة لما قدمها إبراهيم باشا وسنعرض لذلك لاحقاً. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٠ ـ ٤٣٨.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك ـ ٤٢ (A19652H.H) بتاريخ ١٢٣٢هـ. جبر: لعل المقصود به جبر بن رشيد بن علي وقد ذكر ابن بشر أنه كان في الدرعية وقت الحصار ثم هرب منها بعد سقوطها إلى رأس الخيمة، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٥١.

الحملة المصرية فقد بلغت نحو (١٥٠) قتيلاً وجريحاً[١]، حسب ما ذكرت الوثائق العثمانية[٢] التي ذكرت أيضاً جرح وقتل بعض قادة السرايا وبعض شيوخ البدو الموالين لهم[٣]، ويبدو أن أحد المصابين منهم هو أخو غانم بن مضيان[٤].

من خلال ما سبق يتضح أن السعوديين تقدموا إلى هذه المعركة وهم معتمدون على تفوقهم العددي، وعلى معرفتهم بطبيعة الصحراء، وقدرتهم على تحمل أعباء القتال فيها، وعلى سرعة خيالتهم ومهارتهم في الكر والفر. في حين أن القوات المصرية كانت تعتمد على قوة تسليحها وجودته، وعلى تفوقهم الفني في أساليب القتال، وعلى ما كان منتظراً وقوعه من انشقاق بعض القبائل البدوية في أوساط القوات السعودية وانسحابهم بسهولة من ساحة المعركة. وهذا ما حصل بالفعل كما سبق أن ذكرنا، وكانت النتيجة هزيمة قوية للجيش السعودي أدت إلى عدم نجاح الخطة السعودية القاضية بالهجوم على قوات إبراهيم باشا وإلحاق الخسارة بها، ثم الالتفاف على قوات الحملة في الحناكية ومباغتتها من الخلف بعد

---

(١) ذكر مانجان أن أعداد القتلى في صفوف الحملة في هذه المعركة كان (١٢٠) قتيلاً و(١٦٨) جريحاً. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٣٢هـ، ومحفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٣٢هـ. الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٩٦ (19632H.H) بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٩٦ (19632H.H) بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٧.
أورد الجبرتي في تاريخه خبر معركة ماوية، ولكنه ذكر أن موقعها في الموتان، ويبدو أنه أخطأ في لفظ الاسم. الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٥٩، ومن الواضح أن زيني دحلان نقل عنه هذا الخبر بالخطأ نفسه. دحلان، خلاصة الكلام، ص٣٠١.

الاستيلاء على المدينة، وهجوم جيش سعودي آخر على مكة وجدة وينبع لقطع طرق مواصلات الإمداد إليه. ولو أن هذه الخطة نفذت لتغيرت أمور كثيرة، ولكن هزيمة الإمام عبدالله في ماوية كانت عاملاً مهماً في عدم نجاح هذه الخطة، وهذا جعله يعدل عنها ويأخذ بمشورة بعض رجاله الذين نصحوه بتحصين البلدان وانتظار مواجهة العدو فيها[١]، وعليه فقد جمع الإمام عبدالله من معه بعد هزيمة ماوية ورجع إلى نجخ ومنها إلى الخبراء ثم إلى عنيزة حيث استقر هناك بعض الوقت لتعزيز وسائل الدفاع في بلدان القصيم تحسباً لهجمات إبراهيم باشا المتوقعة عليها قبل عودته إلى الدرعية لتقوية دفاعاتها هي الأخرى[٢].

إبراهيم باشا في ماوية:

في اليوم التالي للمعركة وصل إبراهيم باشا إلى أرض المعركة وضبط المدافع والغنائم الأخرى[٣]، وأمر بقتل الأسرى[٤]، ثم استقدم من تبقى من الحملة في الحناكية إلى موقع ماوية، ما عدا أربعين رجلاً بقوا فيها لحمايتها، كما كتب إلى المدينة يطلب المؤن والذخائر الحربية، وأرسل إلى مكة يستقدم الفرسان الذين وصلوا إليها حديثاً من مصر، ومعهم

---

(١) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١٢٤.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (19537H.H.)، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٧ (19561H.H.) بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٢هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٦، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٧.

(٣) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، ومحفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣رمضان سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٩٦ (19632H.H) بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٨، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٨١.

مدفعان، وكان عددهم (١٢٠٠) فارس[١]. وعسكر في هذه المنطقة استعداداً للتقدم نحو القصيم، وقرر إمضاء شهر في هذا المعسكر حتى ترتاح القوات التي تجمعت إليه هناك بعد عناء المعارك والسفر[٢].

وقد كانت مدة الانتظار هذه مناسبة لإبراهيم باشا لغزو جبل شمر مرة ثانية حيث جهز كتيبة من قواته وترأسها دون أن يعلم أحد لمهاجمة جبل شمر في ٢٥ رجب سنة ١٢٣٢هـ، فدهم المنطقة وغنم كثيراً من الإبل والأغنام والأموال، وأسر أعداداً كبيرة من أبنائها، ثم عاد إلى ماوية ليتجهز للتقدم إلى القصيم[٣]. ويبدو أنه كان يهدف إلى تحقيق مكاسب مادية تدعم ميزانية حملته، إضافة إلى إرهاب القبائل القاطنة حول الجبل وإشعارهم بمدى قوة الجيش المصري ليتقدم إلى القصيم مأمون الظهر.

كانت هذه المعركة خاتمة للمرحلة الأولى من حملة إبراهيم باشا حيث قضى إبراهيم باشا منذ دخوله ينبع في ٧ من ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٩ سبتمبر عام ١٨١٦م) إلى خروجه إلى القصيم في ١٥ شعبان سنة ١٢٣٢هـ (١ يوليو عام ١٨١٧م) أكثر من تسعة أشهر، عمل خلالها على تدعيم مركز القوات المصرية في المنطقة وتقوية استحكاماتها قبل الدخول في مخاطرة التوغل في صحراء نجد، فقد كان على إبراهيم باشا ـ حسب

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٧. والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٨١.

(٢) لمع الشهاب، ص١٢٥، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (19537H.H.)، ودار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٣٧، بتاريخ ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٥٧ (19561H.H.) بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٧.

ما اتضح مما سبق ـ إنجاز عدة مهام قبل تحركه إلى الداخل، وهي كالآتي:

١ ـ إخضاع البدو في هذه المنطقة بشتى الطرائق، سواء بإغرائهم بالأموال، أم بإخضاع من قاومه منهم بالقوة، حيث أغار على جماعات مختلفة منهم كما سبق أن ذكرنا، أو عن طريق إرهابهم بإقامة مناورات عسكرية مختلفة لقواته، هدفها زعزعتهم وتخويفهم للانضمام إليه، ولتقديم المساعدات له والانخراط في جيشه لمحاربة الدولة السعودية من جهة، وليأمن شرهم من جهة أخرى.

٢ ـ تدريب جنوده وتهيئتهم لحروب الصحراء حيث كانت هذه المهمة من أهم الأمور التي ركّز فيها إبراهيم في هذه المرحلة، إذ إنه لم يرد المخاطرة بدخول جنوده إلى معترك الحياة في الصحراء وحروبها دون تدريبهم التدريب الكافي وتهيئتهم على التكيف مع ظروفها.

٣ ـ إقامة معسكرات واستحكامات لجيشه في هذه المنطقة التي تعد حداً فاصلاً بين نجد والحجاز، إذ إنها بوابة الحجاز التابع له من جهة الشمال، ووضع حاميات عسكرية فيها لتعمل على ضمان استمرار ولاء البدو للحملة، ولضمان سلامة طرق مواصلاته حتى يتقدم إلى نجد وهو مأمون الظهر.

كما عمل على إقامة مستودعات خاصة بالحملة، في مراكز مختلفة ابتداء من ينبع حتى الحناكية، وذلك لتخزين ذخائر الإمدادات ومؤنها التي من المتوقع استمرار وصولها من مصر بشكل متواصل طوال توغله في نجد، والتي كان يتوقع لها إبراهيم باشا أن تطول، فحاول لذلك تنظيم أمور التخزين والمواصلات لتسهيل وصول هذه الإمدادات إليه بشكل سريع وآمن.

٤ ـ توفير بعض احتياجات الحملة المادية لتخفيف نفقاتها على الحكومة

المصرية حيث كان نشاطه العسكري فرصة لكسب كل ما يحتاج إليه من البدو من مؤن وجمال للنقل، سواء بما كان يغنمه من غاراته أم بما يقدمه إليه البدو الموالون له.

٥ ـ إثارة الخوف من قوته في صفوف السعوديين، واستغلال البدو في إذاعة أخبار حملته وقوتها في البلاد لإضعاف روحهم المعنوية، ومحاربتهم نفسياً قبل الدخول في المواجهات العسكرية معهم، وقد كان إبراهيم باشا من الذكاء بحيث لجأ إلى بعض الخدع لعرض قوته بشكل أكبر. فقد ذكر مانجان أنه احتفل بعرض جنوده على مشايخ القبائل الذين قدموا إليه لإعلان ولائهم له حيث أمر عساكره بالاستعراض أمامهم حسب الأساليب الحديثة، وكان العساكر مقسمين إلى فرق متعددة فكانت الفرق تتوالى تباعاً على مرأى منهم، ثم تعود هذه الفرق تتابع الاستعراض ولكن بشكل فني مغاير، وكان هذا يعطي انطباعاً بأنهم فرق جديدة، فأوهم الحاضرين بأن أعداد جنوده أضعاف حقيقتهم(١). في حين نرى أن موقف الإمام عبدالله بن سعود قد تغير بنهاية هذه المرحلة، حيث لجأ بعد عدم نجاح خطته في الهجوم إلى سياسة الدفاع والتحصن داخل بلدانه، فعمل على البقاء في القصيم لتحصين بلدانه وتقوية عزيمة أهله(٢)، لمواجهة إبراهيم باشا قبل أن يقفل راجعاً إلى الدرعية لإتمام تحصيناتها استعداداً لأي هجوم عليها.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٣.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ١٣٢ و ٥/ ١ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ. يذكر صاحب لمع الشهاب أن حجيلان بن حمد طلب من الإمام عبدالله أن يبقى في القصيم في أثناء مواجهة إبراهيم باشا خوفاً من انقلاب العربان عليهم إذا سمعوا برجوع الإمام عبدالله إلى الدرعية. لمع الشهاب، ص١٢٦.

الحملة في القصيم:

بعد أن حقق إبراهيم باشا أهدافه من البقاء في الحناكية وجد أن الوقت قد أصبح مناسباً للتوغل في نجد، حيث أراد استغلال حماس جنوده بانتصارهم في ماوية في مقابل اهتزاز عدوه في إثر هزيمته فيها، كما أراد استغلال حماس فيصل الدويش ـ رئيس مطير ـ الذي انضم إليه ووعده بأنه سيوافيه في الرس[١]، فتحرك إبراهيم باشا أمام هذه الظروف بالفعل نحو القصيم بعد أن أخذ جيشه المدة الكافية من الراحة.

غادر إبراهيم باشا ماوية في الأيام الأولى من شهر يوليو عام ١٨١٧م[٢] منتصف شعبان سنة ١٢٣٢هـ[٣] على رأس أربعة آلاف من المشاة و(١٢٠٠) فارس غير البدو المصاحبين له[٤]، مع مئة من رجال سلاح المدفعية المزودين بثماني قطع مدفعية عادية ومدفع قاذف ومدفع هاون[٥]. وقد تعرض إبراهيم باشا في أثناء سيره لوعكة صحية أجبرته على التوقف في الطريق، ولزوم خيمته مدة ستة أيام، ولكنه طلب من أوزون علي أن يسبقه في طليعة مكونة من ألفي رجل ومصحوبة بثلاثة مدافع، وأبقى أكثرية

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(٣) ورد تاريخان مختلفان في الوثائق العثمانية لتحركه، ولكنهما متقاربان، فوثيقة تذكر أنه في ١٣ شعبان سنة ١٢٣٢هـ، ومكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.) وأخرى تذكر أنه في ١٥ شعبان سنة ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٣٢ و ٥/١ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٣٩ ـ ١٤٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٨. ولكن سادلير يذكر أن عدد قواته يبلغ (١٤٠٠) من المشاة و(٦٠٠) فارس. سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٢.

(٥) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٢.

الجيش معه حتى تماثل للشفاء، ونهض للسير في إثر هذه الطليعة وأدركها على بعد يومين من الرس[١].

كانت الحملة تتقدم بحذر شديد، وتعمل على اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لاتقاء المفاجآت، سواء بملاقاة السعوديين فجأة أم بانقطاع طرق مواصلاتها أم بالتعرض لمشكلة ندرة المياه. إلا أن الأمور سارت بشكل جيد خصوصاً بعد أن لاقى فيصل الدويش الحملة، ووفر المؤن ووسائل النقل اللازمة لها، وأصبحت قواته جزءاً من الجيش المصري[٢].

دخلت الحملة في أثناء تقدمها إلى الرس إلى بلدة الشنانة التي كانت خاوية تقريباً من سكانها بعد أن نقل الإمام عبدالله بن سعود القادرين من أهلها على حمل السلاح إلى الرس لتعزيز القوات الموجودة فيها، في حين نقل الشيوخ والنساء والأطفال والماشية إلى الوشم، وردم آبارها حتى لا تستفيد منها القوات المعادية. وكانت القوات المصرية قد أنهكت في أثناء سيرها، لذلك أقامت عدة أيام في هذه البلدة لأخذ قسط من الراحة قبل مواصلة السير إلى الرس[٣]. وبعد فترة الراحة في الشنانة تحركت الحملة يتقدمها إبراهيم باشا في خمس مئة فارس من رجاله، وقبيل وصولهم إلى الرس قام إبراهيم باشا بمن معه بعملية استطلاعية لمراقبة الوضع ومعرفة المكان قبل تقدم جيشه. ولكنه واجه مفرزة من جنود الحامية السعودية في الرس، واشتبك معها، وقد قتل اثنان من رجاله

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

وجرح خمسة، وفي اليوم التالي صدرت أوامره بالتحرك إلى الرس وضرب الحصار حولها[١].

حصار الرس وسقوطها:

كانت الرس من أكبر بلدان القصيم في تلك المدة ومن أقواها تحصيناً إذ كانت محصنة بقلعة حربية قوية، وأسوار منيعة مبنية بالأحجار الصغيرة والطين الأصفر ذي المتانة العالية والذي يجف بسرعة[٢]، وكانت أسوارها تتكون من ثلاثة جدران وبذلك يصعب اختراقها، كما حفر حول البلدة خندقاً عميقاً لحمايتها[٣]، وقد جمعت فيها قوات مختلفة من المناطق المجاورة[٤]، كما أرسل إليها الإمام عبدالله حامية عسكرية بقيادة حسن ابن مزروع، وتركي بن عبدالله الهزاني لتعزيز قواتها، هذا فضلاً عن اشتراك الأهالي في الدفاع عنها[٥].

وصلت حملة إبراهيم باشا إلى الرس في اليوم الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٢٣٢هـ[٦] (٩ يوليو عام ١٨١٧م)، وفي الحال أمر إبراهيم باشا عساكره بضرب الحصار حولها، فنصبت المدافع في أماكن متعددة[٧]

---

(١) المصدر السابق، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

(٣) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٩.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد، ص٣٨٧، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨٠. وهناك وثيقة تذكر أن بداية حصار الرس في يوم ٢٧ شعبان، ولكن الراجح هو يوم ٢٥ لاتفاق الوثيقة الأخرى مع المصادر النجدية. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ١٩٧ (19700H.H.) بتاريخ ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ.

(٧) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٩.

وبدأ على الفور إطلاق المدافع على هذه الأسوار بشكل كثيف ومتواصل لمدة خمسة أيام[(١)]. ويبدو أنهم استطاعوا هدم ثلاثة من أبراجها وقسم من سورها[(٢)]، ولكن أهالي الرس كانوا يبنون ما تهدم بشكل سريع[(٣)].

الهجوم الأول على الرس:

في اليوم السادس[(٤)] لحصار الرس أمر إبراهيم باشا عساكره بالهجوم على قلعتها في الساعة الثانية ليلاً[(٥)]، وكانت الإشارة المتفق عليها لهجوم المشاة هي طلقة من المدفع، وما إن أطلقت هذه الإشارة حتى تحركت قوات المشاة. في حين كانت بعض الوحدات تستكشف المناطق المجاورة حرصاً على ألا تفاجأ القوات المصرية بأي تدخل سعودي، وكان أوزون علي مع عساكره من المغاربة مكلفين بهجوم وهمي على موقع معين ليصرفوا أنظار الحامية السعودية إليه، في حين تتحرك قوات المشاة نحو الهدف المنشود[(٦)] حيث استولت على أحد الأبراج[(٧)]. ويبدو أن الحامية

---

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ١٣٢ و٥/ ١ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٩. ذكر سادلير أنها ثلاثة أيام. سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.).

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧.

(٤) يوافق هذا اليوم أول أيام رمضان المبارك، ولم يراع إبراهيم باشا حرمة هذا الشهر الفضيل، بل يبدو أنه استغل هذه الفرصة وتوقع إحراز نصر عليهم.

(٥) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

(٧) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ودارة =

السعودية قد استرشدت بدويّ المدافع لتعرف مكان الهجوم، فوقف العساكر على الأسوار يدافعون عن بلدتهم أربع ساعات[١] مستخدمين رماحهم وبنادقهم ومدفعين كانا معهم[٢]. وتذكر الوثائق العثمانية أن الحامية السعودية استطاعت إخراج العساكر المصريين الذين استولوا على البرج بعد أن وضعت جريد النخل تحت هذا البرج وأحرقوها فلم يتحمل من فيه دخان هذه النيران، فرموا بأنفسهم إلى الخندق الموجود في الخارج وقد كان عددهم (١٥٠) جندياً استطاعوا العودة إلى متاريسهم ناجين بأنفسهم من نيران الحامية السعودية[٣]. وقد بلغت الخسائر المصرية في هذا الهجوم ـ كما تشير الوثائق العثمانية ـ نحو أربعين قتيلاً وستين جريحاً[٤].

وقد أورد سادلير رواية أخرى لهذا الهجوم، فذكر أن إبراهيم باشا أمر بصنع حزم كبيرة من عيدان طويلة لفروع أشجار النخيل، وملأ عدداً من الأكياس بالقش، ثم انتقى ست مئة من المشاة من أجل الهجوم، رمى هؤلاء الرجال بأنفسهم في الخندق، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصعدوا إذ تبين أن حزم الفروع والأكياس لم تكن كافية، وهنا فتحت الحامية

= الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٣٢ و١/٥ ـ ٥٩ (1958 4H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ.

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٣٢ و١/٥ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.). ويذكر مانجان أن الخسائر المصرية بلغت (٨٠٠) رجل بين قتيل وجريح، وهذا الرقم مبالغ فيه جداً مقارنة بما ذكر في الوثائق. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١.

السعودية النيران على هؤلاء الجنود من فوق الأسوار، وهذا جعل جنود الحملة يحاولون الانسحاب إلى الخلف، ولكن الباشا وبمعاونة مماليكه أخذ يرمي بالرصاص كل جندي يحاول الانسحاب، وكانت النتيجة خسائر فادحة في هؤلاء الجنود المشاة بل إن إبراهيم باشا أصدر أمراً بحرمانهم من الدفن نتيجة غضبه من هذه الهزيمة[١].

بعد هذا الإخفاق أخذ إبراهيم باشا يعزز حصاره للرس، ويقيم عدداً من المتاريس مستمراً في ضرب أسوارها، وعلى الرغم من الخسائر التي تعرض جيشه لها سواء من الجرحى، أو ممن يمرضون ويموتون نتيجة سوء الأحوال الصحية و المناخية، فإن ذلك لم يفت في عزم إبراهيم باشا[٢] الذي طلب إمدادات جديدة من والده لمواصلة الهجمات. فأرسل إليه والده ما يقارب ألفي قذيفة، كما طلب إرسال عدد من الجنود المشاة حيث كان يحتاج إلى هذه الفئة من الجنود حتى يقتحم بهم القلعة، فأرسل له والده عدداً كبيراً منهم تحت قيادة كور سليمان أغا وسليمان الحاج علي أغا[٣]، كما طلب إبراهيم باشا من والده أن يمده بفرقة خاصة من الخبراء المختصين بزراعة الألغام نتيجة ما رآه من مناعة أسوار قلاع الرس[٤].

الهجوم الثاني على الرس:

ما إن وصلت الإمدادات إلى إبراهيم باشا حتى أخذ يفكر في هجوم آخر على الرس، وبالفعل توجهت قواته إلى أسوار البلدة، وكان إبراهيم

---

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٢، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

(٣) ذكر مانجان أنه وصلته قوة مكونة من (٩٠٠) جندي بقيادة البنباشي ياور علي. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٢.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٥٤..

قد أمر بقطع أشجار النخيل الكبيرة ليقيم بها متاريس مرتفعة، إذ بدا له أن سبب عدم نجاح هجومه الأول كان يرجع إلى قلة المرتفعات التي تمكن جنوده من ضبط مرمى المدافع، ولكن يبدو أن المهندس المصاحب للحملة لم يفهم مراده تماماً فبدلاً من أن يحتفظ بهذه الأشجار كاملة قطعها قطعاً صغيرة ورتبها أكواماً بدل أن يضعها بطولها لتسند ما سيوضع خلفها من التراب، لهذا السبب لم يبدأ إطلاق المدافع حتى أخذت هذه المتاريس تتراجع إلى الخلف، وتسقط الأخشاب من مكانها. وقد شجع هذا الأمر الحامية السعودية على إطلاق النار على المهاجمين، فاستطاعت أن تصد الخطوط الأمامية للجيش المصري[١]. وعند ذلك حاول إبراهيم باشا وضع ثلاثة ألغام حول السور، ولكن أهل الرس تنبهوا لذلك[٢] واستطاعوا إبطال هذه الألغام[٣] فلم ينجح هذا الهجوم أيضاً.

في هذه الأثناء كان الإمام عبدالله بن سعود قد كلف أخاه فيصلاً[٤] أن يخرج على رأس جيش يتجول في أطراف الرس ليحاول قطع خطوط مواصلات الإمداد المصرية، وبالفعل استطاعوا التصدي لإحدى قوافل الإمداد ونهبوا ما معها، وقد دفع ذلك إبراهيم باشا للخروج بنفسه[٥] في

---

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٢) يذكر أن امرأة سمعت الجنود وهم يحفرون لدفن الألغام، وكانت تطحن قمحاً فبلغت الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس، وكان قاضي الرس وهو المدير للحرب وقتها، فلما كان الليل فتح فتحة صغيرة على الخندق وأحضر قطاً وحزم في ذيله قبساً من النار وأدخله من الفتحة فلم يشعر إبراهيم وجنوده إلا والبارود يخرج عليهم. عبدالله محمد الرشيد، من ماضي الرس وحاضره، سلسلة هذه بلادنا (بدون)، ص٢٦.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥١.

(٤) المصدر السابق، ص١٤٢، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٢.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٣٢ و١/٥ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ.

ألف من رجاله[١] حيث اشتبك مع قوات فيصل وانتصر عليها. وسقط من رجال الحملة في هذا الاشتباك عدد من القتلى والجرحى في حين قتل من السعوديين (١٨٠) رجلاً، وأصيب بعض خيالتهم[٢]. ولم يتعقبهم إبراهيم باشا، وعاد من يومه إلى معسكره المحاصر للرس، وطلب إمدادات جديدة من والده[٣].

الهجوم الثالث على الرس:

عمل إبراهيم باشا على ترتيب هجوم جديد على الرس، وقد ذكر إبراهيم باشا في تقرير لوالده أن هذا الزحف كان برغبة عساكره، وقد تمكن (٢٥) جندياً من الدخول إلى القلعة، ولكنَّ المدافعين استطاعوا أن يقضوا عليهم، ولم يستطع أي جندي آخر أن يتقدم إلى قلعة الرس نتيجة فتح السعوديين النار عليهم برصاص البنادق من فوق الأسوار.

وقد حاول إبراهيم باشا التقدم بنفسه في أثناء هذا الهجوم، ولكن قادته وخازنداره منعوه من ذلك، فاضطر إلى السماح لجميع القادة الموجودين لديه بالتقدم، ولكن لم ينتج من ذلك فائدة تذكر؛ إذ ما زال إطلاق النار على أشده فاضطروا إلى الارتداد وإخفاق هجومهم. وقد كانت خسائر الجيش المصري في هذا الهجوم كبيرة إذ وصل عدد القتلى إلى (٥٠٠) جندي، كما جرح عدد من القادة منهم خازندار إبراهيم

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٣.

(٢) يذكر مانجان أن عدد قتلى السعوديين (٣٠٠) رجل. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٣.

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٣٢ و١/٥ ـ ٥٩ (19584H.H.) بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٣.

والحاج علي طه وإسماعيل أغا وجولاق أغا وحسين أغا الدرملي، كما جرح نحو خمسين من القادة الصغار[١].

من خلال ما سبق نجد أن إبراهيم باشا لم ينجح في جميع هجماته على الرس، وطالت مدة حصارها إلى ثلاثة أشهر ونصف[٢]، ولعل أهم أسباب هذا الإخفاق تعود إلى:

١ ـ المقاومة العنيفة وغير المتوقعة[٣] التي واجهتها قوات الحملة من الحامية العسكرية السعودية الموجودة في الرس، إضافة إلى تعاون الأهالي في صدِّ هذه الهجمات، فقد ذكر مانجان أن النساء والشيوخ كانوا يحرضون المدافعين من وراء الأسوار على الثبات والاستماتة[٤]، ويعاونون الجرحى ويداوونهم، وكانوا يضيئون ميدان

---

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (A - 19700H.H.) بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢١ (A - 19700H.H.) بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨٠، وسادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣.

(٣) يبدو أن إبراهيم باشا قد توقع أن يكون موقف الرس أسهل بكثير مما كان عليه، وذلك لأن هذه البلدة سبق أن انضمت إلى أخيه طوسون إبان توغله في القصيم. ولكن موقف البلدة تغير نتيجة لتغير قياداتها. ابن بشر، ج١، ص٣٨٢، كما أن أهالي القصيم عيروا أهل الرس بسبب هذا الموقف، ونسبوهم إلى الجبن والخور ولذلك اتخذوا هذا الموقف القوي. عبدالله الرشيد، من ماضي الرس، ص٢٥.

(٤) من ذلك قصيدة موضي الدهلاوية ابنة رئيس الرس السابق سعد بن عبدالله بن شارخ تحرض فيها أهالي الرس على الحرب:

هيه يا راكب حمرا ظهيره	تزعج الكور نابيه السنامي
سر وتلفى هل العوجا مسيره	ديرة الشيخ بلغها سلامي
ياهل الرس يا نعم الذخيره	وان لفاكم من الباشا كلامي
انخو الله لا تنخون غيره	واعرفوا ما من الميته سلامي
في يديكم فرنجي ذخيره	تقذفه مثل سيقان النعامي

عبدالله الرشيد، من ماضي الرس، ص٢٩، والحربي، دلال، نساء شهيرات من نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ، ص١٢٨.

القتال في الليل بإشعال سعف النخل الجاف المطلي بالصمغ لتيسير عمل المحاربين في القلعة[١].

٢ ـ قوة تحصينات الرس، فعلى الرغم من إطلاق كثير من القنابل على أسوار الرس إلا أن هذا القصف لم يحدث أضراراً كبيرة في تحصينات البلدة نتيجة لقوة بنائها وإتقانه. وقد أشارت الوثائق العثمانية إلى صعوبة اختراق قلعة الرس حيث ذكرت أن هذه القلعة قد بنيت من أحجار صغيرة مخلوطة بالطين، وكانت جدران أسوارها على ثلاث طبقات، ولا يمكن هدم أي طبقة ما لم يطلق عليها عدد كبير من القنابل[٢]، كما أن أي أضرار تقع في أسوار القلعة من جراء القصف يصلحها بشكل سريع أهالي الرس[٣] الذين كانوا حريصين أيضاً على إبطال مفعول أي ألغام تزرع حول قلعتهم بأسرع ما يمكن[٤].

٣ ـ تجول قوات سعودية في مناطق قريبة من الرس[٥] جعل القوات

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠. على الرغم من غرابة استخدام الصمغ لإشعال سعف النخيل للإضاءة، إلا أنه بسؤال بعض كبار السن في المنطقة ذكروا أن الصمغ مادة معروفة في كل الجزيرة وكان يؤخذ من شجر الطلح المنتشر بشكل كبير في شبه الجزيرة العربية، وذكروا أن هذه الممارسة كانت معروفة لديهم.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (C19541H.H.)، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢١ (A - 19700H.H.) بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧.

(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٢، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٢.

المصرية تفقد تركيزها، وتشتت قواها بين محاصرة الرس ومحاربة تلك القوات.

٤ ـ تمكُّن سريتين سعوديتين تحملان كميات كبيرة من المؤن من اختراق الحصار والدخول بسلام إلى الرس[١]، فخفف هذا من حدة الحصار وساعد على المقاومة أكثر.

٥ ـ عدم التخطيط الجيد للهجمات التي قام بها الجيش المصري، ففي الهجوم الأول لم يكن المهاجمون على استعداد جيد لاختراق أسوار البلدة، حيث تم الهجوم دون إحداث ثقب في الأسوار، أو توفير وسائل لتسلقها، أو عمل حفرة عميقة قريبة منها للدخول إلى قلعتها[٢]. وعندما حاول تفادي ذلك في الهجوم الثاني كانت أخطاء المهندسين المصاحبين للحملة في بناء المتاريس كارثة حقيقية على الجيش المصري كما رأينا سابقاً. أما الهجوم الثالث فيبدو أن جنود إبراهيم باشا كانوا يهاجمون دون تغطية من قوات المدفعية، وهذا جعلهم مكشوفين لرصاص قوات الحامية السعوديةالتي لم تسمح لهم بالتقدم وكان مصير من استطاع التقدم منهم الهلاك.

٦ ـ سوء الأحوال المناخية التي تعرض لها الجيش المصري المحاصر للرس كبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، فأدى هذا إلى تأزم موقف إبراهيم باشا في حصار الرس وطول مدة الحصار[٣].

٧ ـ تأخر وصول الإمدادات لقوات إبراهيم باشا؛ نتيجة لفتنة حصلت بين قائد المشاة في ينبع باشو الأرناؤوطي ومحافظ ينبع سليم أغا حيث

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.
(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤١.
(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٣، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٠.

قتل باشو محافظ ينبع وأحرق المؤن والذخائر الموجودة في مستودع ينبع[١]، ولكن إبراهيم باشا حاول بعد ذلك تلافي الوضع، وطلب إمدادات من محافظ مكة حسن باشا إلى أن تأتيه إمدادات جديدة من مصر، فأرسل إليه محافظ مكة (٤٠٠) جندي بقيادة رشوان أغا[٢].

تتفق أغلب المصادر في أحداث حصار الرس التي ذكرت سابقاً حتى الآن، ولكنها اختلفت في موقف الطرفين في نهاية هذا الحصار، حيث اختلفت رواية الوثائق العثمانية والمصادر المحلية المعاصرة عما ذكر في المصادر الأجنبية المعاصرة أيضاً.

فالوثائق العثمانية والمصادر المحلية تشير إلى أن عدم نجاح الهجمات التي قامت بها الحملة على الرس أدى إلى رد فعل قوي عند إبراهيم باشا الذي زاده هذا الإخفاق عناداً لمواجهة الموقف وأخذ يعمل على تشديد الحصار، ويطلب مزيداً من الذخائر والأموال والقوات للتصدي للمقاومة القوية التي واجهها في الرس. وبالفعل وصلته إمدادات ضخمة مع القائد مصطفى أغا جليك (الفولاذ) تقدر بنحو (١٢) ألف قنبلة مدفع، ومئة ألف ريال فرانسة[٣]، و(٨٠٠) جندي من المشاة موزعين في فرقتين كل منهما (٤٠٠) جندي بقيادة محمد علي أغا، وأحمد أغا أبو شنب[٤].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٤ بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٤ بتاريخ ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ٢ ـ ٣٧ و ٢/ ٢ ـ ٣٥ (19522H.H.) بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ. ذكر مانجان أنهم (٣٠٠) جندي. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٥٥.

(٣) عملة أجنبية وهي الريال الفضة النمساوي، ويسمى دولار ماريا تريزا، وهي عملة متداولة بشكل كبير في الدولة العثمانية في تلك الحقبة. عبدالرحمن فهمي، النقود المتداولة أيام الجبرتي، (د.ن.) ص٥٧٨.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢١ (A - 19700H.H.) بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

كما أن حلفاءه من البدو تحركوا لمساعدته، فقد قام فيصل الدويش وغانم بن مضيان بتحركات واسعة في المناطق المحيطة بالرس ضد البدو الموالين للإمام عبدالله، فكان لهما الفضل في إبقاء طرق مواصلات الحملة المصرية وراء الجيش آمنة في أغلب الأوقات تقريباً[(١)].

ومع وصول هذه الإمدادات أنشأ إبراهيم باشا برجاً قريباً من قلعة الرس يناظرها في العلو والمتانة، ووضع فيه المدافع الموجهة إلى سور القلعة وبدأ حرباً عنيفة بالمدافع والبنادق استمرت (٢٤) يوماً هُدِمت فيها أجزاء من قلعة الرس وضيَّق بشكل قوي على أهالي الرس حتى كانت حركتهم داخل البلد من أصعب ما يكون[(٢)]، واشتد الحصار حتى يوم عيد الأضحى في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ (٢١ أكتوبر عام ١٨١٧م)[(٣)] ويذكر ابن بشر أن أهالي الرس راسلوا الإمام عبدالله في عنيزة وناشدوه التدخل بشكل سريع لفك الحصار عنهم، أو أن يأذن لهم بالتفاوض مع إبراهيم باشا[(٤)]، وقد عجز الإمام عبدالله عن التدخل في هذا الوقت، في حين كانت الإمدادات تتدفق إلى إبراهيم باشا وتزيد موقفه قوة، وهنا علا صوت أهالي الرس الذين طاولهم الحصار وأنهكهم يطالبون بالصلح[(٥)]. فعُقد الصلح على إعطاء أهل الرس الأمان وعلى إخراج الحامية الموجودة

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٣.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) ذكر ابن بشر أنه في يوم ١٢ ذي الحجة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٦٥ (19592H.H.) بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨٠.

لديهم إلى الإمام عبدالله بن سعود[١]، وتضيف الوثائق العثمانية شرطاً آخر تمثل في إحضار ثلاثة من شيوخ الرس إلى إبراهيم باشا رهائن لديه يضمن بهم هذا الصلح[٢].

أما المصادر الأجنبية[٣] فتشير إلى أن عبدالله بن سعود بعد أن طال حصار إبراهيم باشا للرس لجأ إلى المفاوضات فأرسل اثنين من رجاله وهما الشيخ محمد الحنبلي، وعبدالعزيز بن محمد إلى إبراهيم باشا يعرضون عليه السلام بشرط أن يرفع الحصار عن الرس. ولكن إبراهيم باشا على الرغم من موقفه العسكري الضعيف رفض هذا الأمر، وأنذر قائد الحامية العسكرية فيها محمد بن مزروع[٤] بوجوب تسليم البلد له، ولكن رد محمد بن مزروع كان عبارة «تعال وخذها» واستمر الحصار.

ولكن الإمام عبدالله استغل حرج موقف إبراهيم باشا، واستمر في محاولة الصلح فدخل في مفاوضات جديدة، ولكن إبراهيم باشا في هذه

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٦٥ (1959 2H.H.) بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٦٥ (19592H.H.) بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) وقد اعتمد هذه الرواية أكثر من باحث، منهم الرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٤، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٠، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١٢٨.

(٤) أخطأ مانجان فذكر أن محمد بن مزروع كان أمير الرس وقتها، لأنه كان قائد السرية التي أرسلها عبدالله بن سعود، لكن الواقع أن أميرها منصور بن سيف بن عساف، وقد قتل في أثناء الحصار فتولى مكانه علي بن إبراهيم بن سليمان الشارخ، أما قيادة الحرب في الرس فكانت بيد الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس. الرشيد، الرس، ص٥٧.

المرة طلب بمطالب باهظة، فطلب منه أن يدفع نفقات الحرب ومتأخر رواتب الجند، وأن يقدم ألفي جواد وثلاثة آلاف جمل، ومؤناً تكفي الجيش مدة ستة أشهر، وأن يرسل اثنين من أبنائه رهائن لديه، فكان مصير هذه المطالب هو الرفض، وعندها لم يتوصل الطرفان إلى أي اتفاق[١].

استمر الحصار، وفي النهاية قرر أهالي الرس طلب هدنة على أن يتفق بعدها على تثبيت بنود اتفاق بين الطرفين، ولما كانت أوضاع الجيش المصري سيئة وافق إبراهيم باشا على شروط الاتفاق على الرغم من صعوبتها؛ وذلك بعد ثلاثة أشهر ونصف من الحصار حيث اتفق الطرفان على أن يرفع الحصار عن الرس، وأن يذهب إبراهيم مع جيشه حيث يشاء على ألا يدخلوا الرس، وأن الأهالي ليسوا مجبرين على أن يقدموا شيئاً للجيش، ولا يطلب منهم مؤناً ولا غرامات، وأن الرس لن تقيم فيها حامية مصرية إلا إذا استطاع إبراهيم باشا الاستيلاء على عنيزة، وأنه إذا لم يتمكن من ذلك فإن المعارك ستبدأ من جديد بين الطرفين[٢].

من خلال هاتين الروايتين يتضح أن الاختلاف بينهما ينصب بالدرجة الأولى على موقف الطرفين في نهاية الحصار، فنجد أن الوثائق العثمانية والمصادر المحلية تذكر أن موقف إبراهيم باشا كان يزداد قوة بوصول الإمدادات إليه في حين ضعف موقف أهل الرس الذين طال حصارهم مع عجز الإمام عبدالله عن تقديم مساعدات جديدة لهم، وهذا ما جعلهم يبادرون إلى طلب الصلح بشروط معقولة جداً هي انعكاس لموقف كل منهما.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٥، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٣ ـ ٥٥٤.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٦، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٤ ـ ٥٥٥.

أما المصادر الأجنبية فتشير إلى أن موقف إبراهيم باشا أصبح سيئاً جداً وقد طالت مدة الحصار، وأنه على الرغم من محاولاته أن يفرض شروط صلح توافق مصالحه فإنه عجز أمام قوة الرس فاضطر في نهاية الأمر إلى التنازل والتوقيع على شروط صعبة للانتهاء من هذا الحصار الذي طال أمده.

وفي الحقيقة لا يمكن إنكار مدى الخسائر والهزائم التي تعرض لها إبراهيم باشا أمام الرس، والمقاومة العنيفة التي واجهها حتى طالت مدة الحصار إلى ثلاثة أشهر ونصف، ولكن بالنظر إلى موقف كلا الطرفين نجد أن أهل الرس محاصرون داخل بلدتهم وقد طالت مدة حصارهم، ومؤنهم وذخائرهم في تناقص مستمر دون وصول أي مساعدات من خارجها إلا فيما ندر، ويبدو أنها في البداية فقط. وفي المقابل كانت إمدادات إبراهيم باشا مع مصر مفتوحة باستمرار وتصله بشكل دوري تقريباً لتعويض ما يخسره خاصة في نهاية الحصار، وبذلك فإن رواية الوثائق العثمانية والمصادر المحلية هي الأقرب إلى الصواب، ويبدو أن قبول إبراهيم باشا بالصلح هو ما جعل المؤرخين الأجانب يعتقدون بسوء وضعه إلى هذه الدرجة، ولكن موافقة إبراهيم على الصلح لم تكن لسوء وضعه كما فهم، فقد فسر إبراهيم باشا بنفسه لوالده سبب قبوله الصلح فذكر أنه أخطأ في مطاولة أهل الرس في الحصار مما جعله يخسر كثيراً من جهده ووقته وأنه كان من الأفضل أن يصالحهم منذ مدة مبكرة ليحتفظ بقوته ووقته لمواجهة الدرعية نفسها(١).

تكبد الجيش المصري في هذا الحصار خسائر فادحة، اختلفت المصادر في تقديرها، ففي حين يذكر مانجان أن الخسائر المصرية بلغت

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم ٥، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ.

نحو (٣٤٠٠) رجل مقابل (١٦٠) رجلاً من السعوديين[١]، يذكر سادلير أن قتلى الجيش المصري بلغ تسع مئة رجل، وجرح ألف آخرون. أما الجانب السعودي فقد قتل منهم خمسون رجلاً وجرح سبعون[٢]. ويذكر ابن بشر أن عدد القتلى المصريين نحو ست مئة رجل، أما السعوديون فقد بلغ عدد قتلاهم نحو سبعين رجلاً[٣]. وقد أعطت الوثائق العثمانية عدداً مقارباً لما ورد عند ابن بشر لخسائرها، فذكرت أن الجيش المصري خسر (٣٨٠) جندياً من مغاوير الإنكشارية، وأكثر من مئةجندي من المغاربة، وستين جندياً من حاشية إبراهيم، أي ما مجموعه أكثر من (٥٥٠) رجلاً، كما ذكرت انه وقع خلال هذا الحصار نحو (٤٠٠) جريح[٤].

سقوط الخبراء:

ما إن انتهى إبراهيم باشا من حصار الرس حتى وجَّه أنظاره إلى بلدة الخبراء القريبة منها[٥]، فقدأرسل فرقة من جيشه مع عدد من المدافع[٦] حاصرت هذه البلدة يوماً واحداً[٧]، تعرضت فيه لنيران المدافع بشكل

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٦.
يبدو أن مانجان مبالغ جداً في أعداد القتلى المصريين في هذا الحصار حيث قدر عددهم بنحو ثلاثة أرباع الجيش الذي ذكر مانجان نفسه أن عددهم نحو (٥٢٠٠) جندي.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٥) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٥٥.

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٧) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

قوي فاستسلم أهل الخبراء وطلبوا الأمان، فأرسل قادة هذه الفرقة إلى إبراهيم باشا بما حدث فأذن لهم بمنح الأمان وأخذ الرهائن منهم، وتم الاستيلاء على هذه البلدة.

واستسلمت بعض البلدان القريبة منها مثل البكيرية والهلالية، وعند ذلك تحرك إبراهيم باشا بمن معه من الرس ودخل الخبراء[١]، واستقرت فيها الحملة (١١) يوماً طلباً للراحة وتزويد الحملة بالمؤن والحاجات من أهالي هذه البلدة[٢].

وصلت الأنباء إلى إبراهيم باشا بأن الإمام عبدالله بن سعود خرج من عنيزة بعد أن وصلته أخبار سقوط الرس والخبراء واتجه إلى بريدة[٣] بعد أن جعل في قلعة عنيزة المعروفة بقصر الصفا حامية عسكرية بقيادة محمد ابن حسن بن مشاري بن سعود، وزودهم بكل ما يحتاجون إليه من المؤن والبارود والحطب[٤].

قرر إبراهيم باشا الاتجاه إلى بريدة فوراً لمواجهة الإمام عبدالله بن سعود، وعمل على الاستعداد لذلك فأرسل الفرقة العسكرية التي وصلته من مكة بقيادة رشوان أغا إلى عنيزة؛ وذلك لقطع أي اتصال بين الإمام عبدالله في بريدة وبين عنيزة حتى لا يتلقى أي مدد منها أو من حاميتها[٥]، ولكن الإمام عبدالله لم يمكث في بريدة طويلاً وخرج إلى

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٥٥.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H.H.) بتاريخ ١٩ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٤ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٢هـ.

الدرعية بعد أن ترك فيها حامية بقيادة إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود(١)، وعندما علم إبراهيم باشا بذلك غيَّر وجهته إلى عنيزة(٢).

سقوط عنيزة:

اقتربت قوات إبراهيم باشا من بلدة عنيزة التي كانت من أكبر بلدان القصيم في تلك الحقبة ومن أقواها تحصيناً(٣)، فضلاً عن الحامية العسكرية التي أبقاها الإمام عبدالله فيها، فكان ذلك عاملاً قوياً شجع أهالي عنيزة على حرب إبراهيم باشا، وعدم الاستسلام مباشرة كما توقع إبراهيم باشا الذي جر عليهم مدافعه وصوبها على أسوار البلدة القوية(٤).

على إثر هذا القصف استسلمت البلدة من أول يوم، ولكن الحامية العسكرية الموجودة في قصر الصفا قاومت بشدة، وهذا الأمر جعل إبراهيم باشا يشدد عليها القصف لمدة يومين بلياليهما(٥) حتى هدم أجزاء

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٨.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٣٣ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) يفسر بعض المؤرخين أن هذا هو سبب شرط أهل الرس في ألا يسمحوا بإقامة حامية مصرية في الرس إلا إذا سقطت عنيزة، وذلك اعتقاداً منهم أنها قوية وحصينة ويصعب سقوطها في أيدي إبراهيم باشا، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٩١.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٣٣ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.
في رسالة من القنصل الفرنسي في مصر إلى وزير الخارجية الفرنسي بباريس، ذكر أن فيسيير الضابط الفرنسي مستشار إبراهيم باشا هو من نظم حصار عنيزة والمعركة التي دارت حولها، حيث لم يستطع المقاتلون فيها المقاومة أكثر من ستة أيام فاستسلموا. العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٩١.

(٥) يذكر مانجان أنها ستة أيام، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧، في حين يذكر سادلير أنها خمسة أيام. رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

من جدران القصر، وضعف موقف الحامية التي فقدت وسائل دفاعها بعد أن وقعت قنبلة على مستودع البارود في القصر فأدى إلى إحداث انفجار قوي هدم ما حوله ومات بسببه رجلان[١]، فاضطرت الحامية نتيجة ذلك إلى طلب المصالحة والأمان من إبراهيم باشا الذي منحها الأمان واستولى على مدافعها وعتادها وأخذ منها الرهائن لضمان عدم تمردها في المستقبل[٢]، وسمح لها بالخروج إلى حيث تريد[٣]، في حين ألزم أهل البلدة بتزويد جيشه بما يحتاج إليه من الضروريات أو بدفع المال اللازم لشراء ذلك[٤].

وفي أثناء وجود إبراهيم باشا في عنيزة وصلته أخبار انتصار أتباعه على جماعة من أهل الجنوب وبعض البدو الذين أتوا لمساندة الإمام عبدالله في مواجهة قوات الحملة، ولكن إبراهيم باشا كان قد وجه إليهم قوات ـ على ما يبدو أنها من البدو الموالين له ـ حيث اشتبكت مع قبيلتين منهم في منطقة قريبة من الدرعية، واستطاعت ردهم من حيث أتوا، واستولت على ما معهم من ماشية وعتاد[٥].

---

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٩، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧، وابن ضويان، تاريخ ابن ضويان، ص٧١.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٣٣ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٦٦ (19592H.H.) بتاريخ ٢٧ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، ودار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٢٢، بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٩، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٨.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٣٣ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٤ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

سقوط بريدة:

بعد سقوط عنيزة أرسل حجيلان بن حمد أمير بريدة موفداً إلى إبراهيم باشا في ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ (٨ نوفمبر عام ١٨١٧م) يطلب الأمان، وقد وافق إبراهيم باشا على ذلك شريطة أن يرسل ابنه عبدالله رهينة لديه[١].

تحرك إبراهيم باشا في أول محرم سنة ١٢٣٣هـ (١١ نوفمبر عام ١٨١٧م) نحو بريدة لاستلامها، ولكن حجيلان غير رأيه في شأن الاستسلام، وقرر مواجهة إبراهيم باشا، فاستعدت الحامية العسكرية فيها لمواجهة إبراهيم باشا ومنعه من دخول البلدة، فسلطوا مدافعهم وبنادقهم على الجيش المصري الذي قدم مدافعه إلى قرب أسوار البلدة، ودارت حربٌ قوية بين الطرفين استطاع خلالها الجيش المصري أن يهدم جدران أربعة من أبراج بريدة، وأن يقتحمها ويقتل ستين رجلاً[٢] من مدافعيها، وهذا دفع المدافعين الموجودين في الأبراج الأخرى إلى الاستسلام. وبذلك لم يبق على إبراهيم باشا إلا الدخول إلى البلدة، ولكن حجيلان بن حمد لم يستسلم بعد فأعد ثلاثة مدافع ووجهها على بوابة البلدة لمنع دخول الجيش المصري إليها، وجرت بين الطرفين معركة استمرت يوماً وليلة، اضطر بعدها حجيلان إلى طلب الأمان فوافق إبراهيم باشا على أن يسلم له حجيلان مدافعه وعتاده، وأن يجعل ولده عبدالله رهينة لديه فوافق

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٣٣ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٤ (19592H.H.) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) تذكر وثيقة أخرى أنهم خمسون رجلاً، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٦، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ. في حين يذكر مانجان أنهم مئتا رجل، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٩.

حجيلان على ذلك وتم الصلح بينهما[1]. و يعد استسلام حجيلان بن حمد وخضوعه لإبراهيم باشا خضوعاً كاملاً لإقليم القصيم حيث أرسل أمراء بلدانه إلى إبراهيم باشا يعلنون خضوعهم[2].

استقر إبراهيم باشا في بريدة نحو شهرين؛ وذلك للعمل على ترتيب أمور الحملة بعد إخضاعها هذا الإقليم المهم في نجد والذي أخذ كثيراً من الوقت والجهد، وبتوغله في نجد بدأت المسافة بينه وبين مراكز تموينه في المدينة المنورة تطول نسبياً لذلك عمل على تأمين انتصاره في هذه المنطقة بما يأتي:

١ ـ تأمين خط الرجعة لجيشه خصوصاً أنه بعد اجتيازه القصيم سيكون في قلب نجد، ولتأمين ذلك اتخذ بعض الإجراءات المهمة، ومنها:

أ ـ تهديم قلاع وبروج بعض بلدان القصيم المهمة[3] لإضعاف قوتها وضمان عدم عودتها لقتاله.

ب ـ إقامة حامية عسكرية في عنيزة، حيث عمل على ترميم قلعتها وإقامة متاريس قوية لنصب المدافع فيها، وضرب سياج قوي لإقامة معسكر حصين بها[4]، وجعل فيها قوة عسكرية بقيادة

---

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (19592H.H.)، ودار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٦، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٥ (19560H.H.) بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٤٥ (19560H.H) بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٢٠٣ (19562H.H) بتاريخ ٢٧ صفر١٢٣٣هـ.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٩.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٥٧.

محمد أغا مع ثمانين فارساً، وترك معهم المشاة المرضى والجرحى لعلاجهم[١].

جـ ـ إعادة بعض الزعامات المحلية القديمة في القصيم التي أبعدتها القيادة السعودية عن حكم بعض البلدان، وذلك لضمان ولائهم له نتيجة نقمتهم على الحكم السعودي، وعين محمد أغا قائد الحامية حاكماً عاماً على القصيم ليضبط أموره[٢].

٢ ـ ترتيب أوضاع الجيش، والتفرغ لمحاربة فساد بعض القادة الصغار الذين استفحلت مشكلاتهم وسرقاتهم، إذ اعتادوا كلما جاء قبض مرتبات جنودهم على تقديم إحصاءات كاذبة عن أعدادهم تتجاوز العدد الصحيح، وكان هذا الاختلاس يمثل عبئاً كبيراً على ميزانية الحملة ويستنزف مواردها، وكانوا يثيرون الاضطرابات كل مرة تجري فيها محاولة لعد المقاتلين، لذلك فكر إبراهيم باشا في أثناء انتظاره في بريدة دون قتال في إقامة عرض لقواته لمعرفة عددها الصحيح[٣].

٣ ـ اتخاذ عدد من الإجراءات لتدعيم قواته وتأمين قوتها:

أ ـ جذب جماعات جديدة من البدو للانضمام إلى قواته[٤].

ب ـ طلب إمدادات جديدة من والده[٥]، وقد وصلته بالفعل هذه

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٥، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٥، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٠.

(٤) المصدر السابق، ص١٥٠.

(٥) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٥، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٩.

الإمدادات وكانت مؤلفة من (٨٠٠) جندي، ومدفعين للحصار، وعدد كبير من الجمال والمؤن والذخائر[١].

ج ـ العمل على إراحة قواته وتجديد نشاطها، وتدريب جنوده على بعض فنون القتال في الصحراء[٢].

اتخذ إبراهيم باشا بعد ذلك ترتيباته للتقدم إلى الوشم، فتحركت الحملة من بريدة في اليوم الثالث من شهر ربيع الأول[٣]. وكان جيشه مكوناً من أربعة آلاف جندي، إضافة إلى فرقة حسن الكاشف المكونة من (٥٠٠) فارس مغربي، وأعداد كبيرة من البدو الموالين للحملة من قبائل مطير وحرب وعتيبة وبني خالد وغيرهم، وكان يتبع الجيش عشرة آلاف جمل لنقل المؤن والأمتعة والذخائر. وكان الجيش يسير بضع ساعات في النهار سيراً بطيئاً ليجنب الجنود مشقة السير السريع. وبعد مسير أربعة أيام[٤] وصلت الحملة إلى أسوار المذنب فأرسل أهلها وفداً إلى إبراهيم باشا يطلب الاستسلام فقبل بذلك وتحرك متجهاً إلى الوشم[٥].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥١.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٥، وثيقة ٧٨، بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/١ ـ ٢٠٧ (19538H.H) بتاريخ ١جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٢.

الحملة المصرية في الوشم:

وصلت الحملة المصرية إلى الوشم في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول وأقام إبراهيم باشا معسكره في موقع بين قريتي الفرعة وأشيقر اللتين أذعنتا بالطاعة له[١].

حصار شقراء وسقوطها:

أ ـ استعدادات شقراء للحرب:

كانت شقراء قاعدة إقليم الوشم من أكبر البلدان النجدية التابعة للدولة السعودية الأولى، وكان على إبراهيم باشا أن يخضعها حتى يضمن خضوع إقليم الوشم بكامله فيسير إلى الدرعية مأمون الظهر.

بعد سقوط الرس خاف كثير من البلدان النجدية من تقدم إبراهيم باشا، ومن أهمها شقراء التي عملت على تعزيز تحصيناتها لمواجهة أي حصار محتمل من قوات إبراهيم باشا فقامت بما يأتي:

١ ـ إكمال حفر الخندق الذي بدأ به أهل شقراء وقت حملة طوسون باشا بعد تغلغله في نجد، ولما تصالح طوسون مع الإمام عبدالله في الرس تركوه حيث أمر حمد بن يحيى بن غيهب[٢] ـ أمير شقراء ـ بإعادة حفره في نهاية ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ (نوفمبر عام ١٨١٧م) فاشترك

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٢، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٢.

(٢) حمد بن يحيى بن غيهب: كان أميراً على الوشم في عهد الإمام سعود ثم في عهد الإمام عبدالله، و كان من المخلصين للدولة. و كان من رجال الإمام تركي بن عبدالله الذين حاربوا معه لاستعادة الحكم، وقد عينه الإمام تركي على سدير، ثم أرسله الإمام فيصل إلى ثغور عمان وقصورها ليضبطها سنة ١٢٥٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٩٥ ـ ٤٢٣، ج٢، ص ١٢٢ ـ ١٥٨.

أهل شقراء في حفره، فكان خندقاً عظيماً واسعاً وعميقاً، كما بنوا جداراً عليه من جهة السور[١].

٢ ـ تموين البلدة بكل ما تحتاج إليه من الطعام، وإلزام أغنيائها توفير مقادير معينة من القمح استعداداً لحصار قد يطول أمده[٢].

٣ ـ قطع عُسْبان النخيل لكي لا تحجب طلقات الرصاص فتسلم نخيلهم من القطع والتخريب، ولكي لا تحترق عند ضربها بالذخيرة[٣].

٤ ـ تجميع أعداد كبيرة من القوات في شقراء، إذ انضم للدفاع عنها كثير من أهالي القصيم الذين خرجوا من بلدانهم بعد سقوطها في يد إبراهيم باشا[٤]، كما انضمت إليهم الحامية العسكرية التي كانت في بريدة وعددها (٤٠٠) رجل[٥] والتي تكفلت بحماية قلعتها، وقد قدرت الوثائق العثمانية مجمل أعداد المدافعين داخل شقراء بنحو أربعة آلاف رجل[٦].

٥ ـ كانت شقراء محاطة بمزارع النخيل، وأغلب مزارعها في الجهة الشمالية والغربية[٧] ولها قلعتان: قلعة قديمة وسط مزارعها، وقلعة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٩.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٩.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٣٩٠.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٢٠٧ (19538H.H) بتاريخ ١جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(٥) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٢، بتاريخ ١٧ ربيع أول سنة ١٢٣٣هـ.

وقد انفردت وثيقة أخرى بتقدير عددهم بـ (٧٠٠) رجل، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٦) الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٢٠٧ (19538H.H) بتاريخ ١جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(٧) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٠.

أخرى داخلية بعد هذه المزارع[١]، يحيط بهذه القلعة الداخلية سور فيه (٢٧) برجاً[٢] للمراقبة والرماية، وهذا السور ذو بناء سميك من الطين المخلوط بالجبس، وبجدارين مزدوجين: أحدهما ملاصق للآخر وأسفلهما عريض جداً يتجاوز المترين عرضاً يأخذ في الضيق تدريجياً إلى أعلى، ولعلهم أرادوا بذلك صعوبة إحداث ثقب أسفل السور في حال قيام الحرب[٣].

٦ ـ زودت البلدة بجهاز مدفعية يتكون من خمسة مدافع[٤]، كان على رأسه خبير سلاح مدفعية من كركوك[٥]، وكان أحد الفارين من جيش طوسون، واستقر في شقراء للعمل[٦].

وقد توزعت القوات المحاربة في شقراء على شكل فرق انتشرت في مزارع النخيل وفي الأبراج والقلعة القديمة والداخلية مزودين بأسلحتهم الشخصية من بنادق وغيرها[٧].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول سنة ١٢٣٣هـ.

وتذكر الوثائق المصرية أن عدد الأبراج في هذا السور عشرون برجاً فقط، وهذا يخالف عددها الصحيح إذ تثبت الآثار المتبقية من هذا السور صحة عددها البالغ سبعة وعشرين برجاً. محمد الشويعر، شقراء، الرياض: دار الناصر، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٣٠٦.

(٣) الشويعر، شقراء، ص٥٣.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٣٣هـ.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٣٣هـ.

(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٣، ويفهم من رواية مانجان أن هناك عدداً من الجنود العثمانيين الذين فروا من جيش طوسون، ولعل هؤلاء هربوا إلى الجانب السعودي لما رأوا الحق، ولأنهم مقتنعون بمبادئ الدعوة السلفية الصحيحة.

(٧) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) =

ب ـ حصار شقراء:

وفي اليوم السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ (١٣ يناير عام ١٨١٨م) خرج إبراهيم باشا من معسكره قرب أشيقر بنفسه على رأس (٨٠٠) فارس[١] ومعه مدفع صغير[٢] ليستطلع الأوضاع في شقراء، ولاختيار المكان المناسب لإقامة معسكره، وليحدد مواقع نصب مدافعه لحصار البلدة[٣]. وفي أثناء خروجه هذا اشتبك مع حامية شقراء، وقُتل اثنان من رجاله، وجرح عدد منهم، ولكنه عاد في المساء إلى مقر قيادته قرب أشيقر وأمر القادة أن يكونوا على أهبة الاستعداد للخروج إلى شقراء وحصارها[٤].

وفي صباح اليوم التالي١٧ ربيع الأول (١٤ يناير) تحرك إبراهيم باشا بجميع قواته ومدافعه إلى شقراء، ووصل إلى أسوار البلدة فأقام معسكره في شمالها وشرقها[٥]. وعمل على إطلاق القنابل من موقعين رئيسين: أحدهما في شمال البلدة حيث نصب عدداً من المدافع تطل على برج المراقبة الخاص بالقلعة القديمة على الجبل الشمالي للبلدة، والآخر في شرق البلدة حيث نصب ثلاثة مدافع تطل على مزارع النخيل، وقد استمرت هذه المدافع في القصف يوماً وليلة، فهدمت محلاً في السور فاستطاعت قوات إبراهيم باشا أن تدخل إلى هذه المزارع من الناحية الشرقية، والتحمت وسط هذه المزارع بالقوات السعودية، وعلى الرغم من

= بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، ودار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٢.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩١.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٣٩١. ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٢.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٢.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩١.

المقاومة العنيفة فإن القوات المصرية انتصرت وقتلت مئتي رجل من المدافعين[١]، وجرح أمير شقراء حمد بن يحيى في هذا الاشتباك جرحاً بالغاً[٢] في حين قتل من الجانب المصري نحو أربعين رجلاً، وجرح خمسون آخرون[٣]. كانت نتيجة هذا الانتصار أن سقطت المناطق الخارجية من شقراء في يد إبراهيم باشا، وبدأت مرحلة أخرى من حصار شقراء حيث تراجع المدافعون إلى داخل القلعة الداخلية للبلد، وتقدمت قوات إبراهيم باشا، وضربت حصاراً محكماً حول هذه القلعة[٤]، وشيدت متاريس مقابل متاريس مدافع شقراء الخمسة لضرب دفاعاتها، ولما أنهت القوات أعمال الحصار بدأت على الفور المدفعيات بقصف البلدة قصفاً عنيفاً[٥] لمدة أربعة أيام بلياليها إلى أن انتهى الأمر بالصلح بين الطرفين[٦].

اختلفت المصادر في رواية كيفية هذا الصلح، فابن بشر يذكر أن

---

(١) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩١.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ. أعطى مانجان أعداداً مختلفة للقتلى والجرحى في كلا الطرفين فذكر أن عدد القتلى من السعوديين نحو (١٦٨) قتيلًا، وفي المصريين (٤٢) قتيلاً و(١٠٠) جريح وأسر رجلان. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٣.

(٤) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥ وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٣.

(٥) يذكر ابن بشر أنهم رموها في ليلة بثلاث مئة حمل من الرصاص. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩١.

(٦) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٤.

إبراهيم باشا عجز عن اجتياز الخندق الكبير الذي حفر حول القلعة الداخلية، وأنه ما فتئ ينادي أهل شقراء للمصالحة حتى استجابوا له. فخرج له رجلان منهم هما عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى وغيهب بن زيد فصالحا إبراهيم «على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلادهم» وعلى ألا يذهب أحد من مقاتليهم لمناصرة الدرعية[١]، ويضيف ابن بشر أنه بعد أيام من المصالحة وشى رجل عند إبراهيم باشا بأنه ارتحل من أهل شقراء عدة رجال إلى الدرعية، وأنهم يريدون أن ينقضوا العهد بعد أن يرحل الباشا عنهم فأفزع ذلك الباشا فدخل شقراء وهو غاضب يرفع بيده ورقة الصلح[٢] الذي نقضوه، وكاد يفتك بأهلها لولا حكمة الشيخ عبدالعزيز الحصين[٣] فعفا عنهم وخرج من البلد بعساكره[٤].

(١) لم يشر ابن بشر إلى هذا الشرط صراحة، ولكن يفهم من سياق كلامه لما ذكر غضب إبراهيم باشا عليهم بعد ذلك أنه كان يلوح لهم بورقة الصلح، ويذكر أنهم نقضوها بخروج بعض رجالهم إلى الدرعية، وهذا يدل على أن هذا الشرط كان من ضمن الشروط فعلاً.

(٢) من الواضح أن إبراهيم باشا كان يوثق عقود الصلح والأمان التي يقيمها مع البلدان النجدية في وثائق مكتوبة، ولكن لم نعثر على هذه العقود إن كانت موجودة بالفعل.

(٣) عبدالعزيز الحصين: من علماء الدعوة المعتبرين وقد أرسله الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مكة لمناظرة علمائها، كان قاضياً للوشم في عهد كل من الإمامين عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود، ثم في عهد الإمام عبدالله، وقد توفي في ١٢رجب سنة ١٢٣٧هـ، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٨٩ ـ ٣٤٦ ـ ٤٢٤ ـ ٤٦٤.
مما يتناقله المهتمون بشقراء تاريخياً من كبار السن أن الشيخ الحصين عندما رأى غضبة الباشا صار يردد: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ حتى هدأت نفس الباشا، ثم قال: عفونا يا عجوزه (إشارة إلى أن الشيخ عبدالعزيز كان طاعناً في السن) ثم سأله إبراهيم باشا قائلاً ماذا تراني فأجابه: أراك غاشية من عذاب الله، يصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء فقال: صدقت. الشويعر، شقراء، ص٢٧٦.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٢ ـ ٣٩٣.

أما الوثائق العثمانية فتشير. وأيدها في ذلك مانجان ـ إلى أن إبراهيم باشا شدد القصف على القلعة الداخلية، وضيَّق على أهلها بقطع أشجار النخيل ليجبرهم على الاستسلام[١]، وأنه نتيجة للقصف المستمر انهدم جزء من جدار القلعة فدفن الهدم جانباً من الخندق، فمر عليه جنود إبراهيم باشا وأصبحوا على أبواب القلعة وهنا علا صوت أهل شقراء طلباً للأمان[٢]، وتذكر الوثائق أنه خرج أحد مشايخهم ومعه القائم على مدفعيتهم[٣] للتفاوض مع إبراهيم باشا[٤]. في حين يشير مانجان إلى أن سكان شقراء أرسلوا في البداية رجلاً للتفاوض مع إبراهيم باشا فتوقف القتال لمدة ساعتين فقط، وحين لم يتفق الجانبان على شيء استؤنف القتال بضراوة أكثر، حتى صباح يوم ٢٤ ربيع الأول (٢١ يناير)، ثم أوفد أحد قادة الحامية إلى مقر القيادة العامة للجيش المصري ليفاوض إبراهيم باشا، وقد اتفق الجانبان هذه المرة على الصلح[٥].

وكانت أهم بنود هذا الصلح بين الطرفين كما تشير الوثائق العثمانية ومانجان كالآتي:

١ ـ أن يسلم أهل شقراء أسلحتهم كافة بما فيها مدافعهم الخمسة لإبراهيم باشا[٦].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٢٠٧ (19538H.H) بتاريخ ١ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) ذكرنا سابقاً أنه أحد الهاربين من جيش طوسون قبل رجوعه إلى مصر، ويبدو أنه يتقن اللغة التركية فلعل خروجه مع هذا الشيخ ليكون مترجماً له.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٤.

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) =

٢ ـ أن تخرج الحامية العسكرية من شقراء على ألا تعود إلى حرب إبراهيم باشا مرة ثانية[١].

٣ ـ بيع المؤن والذخائر للجيش المصري[٢].

٤ ـ تسليم عدد من الرهائن من جميع فئات المجتمع في شقراء[٣].

من خلال الروايتين السابقتين يتضح لنا أن الاختلاف كان في موقف كلا الطرفين. ففي حين يعلل ابن بشر لجوء الطرفين إلى الصلح بأنه بسبب قوة تحصينات شقراء ونجاح أسلوبها الدفاعي المميز المتمثل في حفر خندق كبير يحيط بقلعتها، وعجز إبراهيم باشا أمام هذا الدفاع القوي، وهذا جعله يدعوهم إلى الصلح، نجد أن الوثائق ومانجان يؤكدون قوة حصار إبراهيم باشا،وتشديده القصف على البلدة فجعل سكان شقراء يبادرون إلى طلب الصلح. فالروايتان تتعارضان في تقويم قوة كل طرف وإن كنت أجد أن موقف إبراهيم باشا كان الأقوى خصوصاً بعد استيلائه على المناطق الخارجية لشقراء والقصف المدفعي الهائل الذي اعترف به ابن بشر، ولكن هذا لا يمنع أيضاً أن يكون إبراهيم باشا هو من دعاهم للصلح أو بالأحرى للاستسلام، ولكن دعوته لهم كانت عن قوة وليست

= بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٥.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٥.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٥٣ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ. لم يذكر مانجان هذا الشرط.

عن ضعف على ما يبدو، لأنه لم يكن راغباً في إضاعة الوقت والجهد أمام أسوار شقراء وخندقها، كما حصل له في حصار الرس.

بلغت خسائر شقراء في هذه المعارك (١٧٠) قتيلاً و(٢٤٠) جريحاً منهم (٣٥) امرأة و (١٢) طفلاً، أما خسائر الحملة فبلغت (١٣٠) ما بين قتيل وجريح(١).

بقيت الحملة نحو شهر واحد في شقراء(٢) قام خلالها إبراهيم باشا بعدة أعمال:

١ ـ إخضاع الأقاليم المجاورة للوشم، ولكن إبراهيم باشا لم يكن بحاجة إلى تجهيز حملات عسكرية إلى هذه المناطق لإخضاعها فقد أتته مكاتبات ورسل أهالي سدير(٣) والمحمل وحريملاء وغيرها بطلب الأمان وإعلان الخضوع له(٤). لذلك اكتفى إبراهيم باشا بإرسال فرقة بقيادة رشوان أغا، غرضها تأكيد سلطته في تلك المناطق وجمع ما يمكن الإفادة منه لخدمة الجيش من طعام وذخائر وخيول وغيرها، حيث نزل رشوان أغا في جلاجل وبث ضباطه في جميع بلدان سدير يجمعون هذه المؤن والخيول(٥).

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٥، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٣، بينما يذكر سادلير انه بقي ٣ أشهر، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٤، وهذا وقت طويل مخالف لما عرف من تواريخ تحرك الحملة.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٦ (C19538H.H) بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٣.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٢.

٢ ـ القيام بغارات على بعض القبائل الموالية للإمام عبدالله بن سعود لإخضاعها أو تخويفها من جهة، والحصول على بعض ما يحتاج إليه الجيش من تموين ومواشٍ وجمال ومستلزمات إقامة مؤقتة من جهة أخرى[١].

٣ ـ هدم أسوار شقراء وردم خندقها، وذلك لضمان عدم نقضها عهدها معه[٢].

٤ ـ تموين جيشه بما يلزم من المؤن الضرورية، وتوفير الجمال للركوب[٣].

٥ ـ إقامة عيادة طبية في شقراء[٤] تحت إدارة الطبيب جنتلي Gentili لعلاج مرضى الجيش المصري الذين بلغ عددهم (٣٠٠) جريح؛ وذلك تفادياً لأي خسائر أخرى في الجيش. فأمر بإقامتهم في شقراء حتى يتماثلوا للشفاء، ومتى تم ذلك يعودون للالتحاق بالجيش[٥].

٦ ـ انتظار وصول إمدادات لتقوية جيشه الذي صار قاب قوسين أو أدنى من مواجهته مع الدرعية الهدف الأساس لحملته. وقد وصلته بالفعل إمدادات هائلة من الباب العالي هذه المرة إذ يبدو أن محمد علي اشتكى للسلطان من نفاد كمية الذخائر الموجودة لديه في ذلك الوقت، فأرسلت الآستانة خمسة آلاف قنبلة مدفع قبوس مع سداداتها

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٣ ـ ١٥٤.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٣.
(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٥.
(٤) يذكر ابن بشر أنه طلب من الأهالي إخلاء بعض البيوت للجرحى. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٣.
(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٦، وادوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٦.

وخمسة وعشرين ألف قنبلة مدفع هاون، وصلت إلى محمد علي في الإسكندرية وتكفل بنقلها إلى إبراهيم باشا في نجد[(١)].

بعد سقوط شقراء وخضوع بلدان الوشم وسدير والمحمل وغيرها لإبراهيم باشا توقع ألا يكون هناك قتال منتظر بعد ذلك إلا في الدرعية[(٢)] ولكن توقعاته هذه خابت عندما وصل إلى ضرما[(٣)].

سقوط ضرما:

كانت خضوع الوشم وسدير والمحمل لإبراهيم باشا يعني تقدمه المباشر إلى الدرعية، لذا فكر عبدالله بن سعود في إقامة نقطة دفاع متقدمة للدرعية في ضرما فأرسل إليها كلاً من سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود[(٤)] في عدد من رجال الدرعية، ومتعب بن إبراهيم بن عفيصان[(٥)]

---

(١) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٢٩، بتاريخ ١ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) يذكر أن إبراهيم باشا بعث إلى أهل ضرما وهو في طريقه إلى الدرعية يطلب منهم علفاً لخيله فردوا عليه بصرة فيها بارود وقذائف فقرر غزوها. ابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٩٥. أما ابن رشيد فيذكر أن إبراهيم باشا عندما مر على ضرما لم يكن ينوي غزوها، ولكن أهلها أخذوا يعيرونه ويلقون عليه الشتائم فغضب وقرر تدميرها. ابن رشيد، نبذة تاريخية، ص٦٥.

(٤) سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود: كان من قادة آل سعود حيث كان قائد فرقة من المدافعين عن الدرعية، وبعد سقوطها حاول الهرب ولكن جنود الباشا قبضوا عليه فأمر الباشا بقتله سنة ١٢٣٣هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٩ ـ ٤١٨.

(٥) متعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان من آل عائذ من قحطان، وقتل عام ١٢٣٤هـ بأمر من إبراهيم باشا على يد جوخ دار أغا الذي تولى أمر قتل آل عفيصان ومصادرة أموالهم. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨.

أمير الخرج في جماعة من أهل الخرج، ومحمد العميري[١] في عدد من رجال ثادق والمحمل[٢]. وكان وصول هذه القوات إلى ضرما حافزاً مشجعاً لأهلها على المقاومة. فلما وصلها إبراهيم باشا وجدها محصنة ومحاطة بسور كبير يتخلله عشرون برجاً، وعلى أهبة الاستعداد لمقاومته. فأرسل فرقة استطلاعية لدراسة أوضاع المنطقة وتحديد مراكز دفاعها، ثم تقدم في صباح يوم ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ (٢١ فبراير عام ١٨١٨م) وعسكر شرقها قرب قصور المزاحميات، ثم أقام متاريس لمدافعه قريباً من سورها الشمالي وبدأ هجومه على أسوارها. ولكنَّ المدافعين ردوا على الهجوم بكل ضراوة فخاض الطرفان معركة قوية كبد فيها السعوديون جيش إبراهيم باشا ست مئة قتيل. ونتيجة للقصف العنيف[٣] من قبل قوات إبراهيم باشا تهدمت أجزاء من السور فعمل الأهالي على إصلاحه وبناء بعض ما تهدم منه.

وعندما وجد إبراهيم باشا هذه المقاومة العنيفة فكر في إرسال قوات أخرى لمواجهة المدافعين من الجنوب، في حركة التفاف سريعة لتطويق البلدة وتضييق الحصار عليها، وتشتيت قوى الدفاع في أكثر من جبهة. كان متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج يتركزون في الجهة

---

(١) محمد العميري: كان من رجال الدولة المخلصين، وقد اشترك في الدفاع عن الدرعية إلى أن سقطت ثم عاد إلى بلده في المحمل إلى أن قامت الدولة السعودية الثانية. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٥، ج٢، ص٣٠،

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٤.

(٣) يذكر ابن بشر أنهم عدوا فيما بين المغرب والعشاء خمسة آلاف وسبع مئة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبرة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٥. وهذه الرواية تعطي دلالة على شدة القصف وإن كنت أرى أن هذا العدد في هذه المدة القصيرة جداً التي لا تتجاوز الساعتين مبالغ فيه بشكل كبير.

الجنوبية من البلدة، وقد تصدى لهذه الهجمة التي فاجأته من الجنوب بعساكر كثيرة لا قبل له بها[١].

بذلك اشتعلت الحرب في شمال البلد وجنوبها، وبعد قصف عنيف وحرب ضروس في ليلة شديدة البرودة والأمطار استطاعت قوات إبراهيم باشا دخول البلدة من جهة الجنوب في صباح يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ (٢٤ فبراير عام ١٨١٨م)، إذ يبدو أن قوات ابن عفيصان القليلة لم تستطع المقاومة فتوقفت عن القتال[٢].

وعندما وجد المدافعون في الشمال أن قوات إبراهيم باشا قد دخلت البلد من الجنوب خرجوا من مواقعهم إلى داخل البلد للدفاع عن ذويهم، فَكَرَّت خلفهم القوات المصرية التي كانت تواجههم في الشمال، وبذلك دخلت قوات إبراهيم باشا من كل الجهات إلى البلد. ولكن أهالي ضرما لم يستسلموا لذلك فقامت حرب شوارع بين الطرفين جاهد فيها أهل ضرما بكل قوة إلا أن عساكر الحملة استطاعوا هزيمتهم بخدعة، حيث لجؤوا إلى الحيلة للتغلب عليهم؛ وذلك بأن يتقدموا إلى البيوت أو الجماعات وينادون بالأمان، فإذا اطمأن الأهالي لهم أخذوا سلاحهم ثم

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٥.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦، هذا ما فهم من رواية ابن بشر للحدث على الرغم من أن الفاخري ذكر في تاريخه أنه قيل إن إبراهيم باشا استطاع الدخول عنوة إلى ضرما واستباحها بسبب خيانة من متعب بن عفيصان حيث كان هو وعمه بها معهم عدة رجال، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨٠. وفي الحقيقة لم أجد ما يؤيد ذلك في الوثائق أو المصادر الأخرى التي توافرت لدي، ويبدو أن موقف ابن عفيصان الضعيف وعدم قدرته على مواجهة قوات إبراهيم باشا فسرت على أنها سماح طوعي منه لدخولهم البلد ومن ثم يعد هذا خيانة منه، على كل حال لا أستطيع أن أؤيد هذا الرأي ـ الذي لم يؤكده الفاخري نفسه على الرغم من معاصرته للأحداث ـ لما عرف عن آل عفيصان من ولاء للدعوة والدولة السعودية الأولى واعتبارهم من رجال الدولة المخلصين الذين قدموا لها خدمات جليلة على مدى تاريخها.

قتلوهم، وقد سمح إبراهيم باشا لجنوده بنهب البلدة وسلبها[١].

خلال ذلك تمكنت فرقة محمد العميري من الهروب مخترقة صفوف إبراهيم باشا، في حين لجأ سعود بن عبدالله إلى إحدى القلاع ومعه أكثر من مئة رجل[٢] من أهل الدرعية الذين قدموا معه للدفاع عن ضرما. ولكنهم استسلموا بعد ذلك وفق شروط مشرفة حيث أُعطوا الأمان[٣] وسمح لهم إبراهيم باشا بمغادرة البلد إلى الدرعية بسلام[٤].

وقد هرب كثير من أهل ضرما إلى الصحراء ناجين بأنفسهم من القتل، ولم يتبق في البلد إلا الأطفال والنساء الذين جمعهم إبراهيم باشا أيضاً[٥] وكان عددهم نحو (٣٠٠٠) شخص، وأرسلهم إلى الدرعية حيث

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦.

(٢) يذكر سادلير أنهم نحو (٣٠٠) رجل. سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٥.

(٣) يشير مانجان إلى أن سبب إعطائهم الأمان أن إبراهيم باشا سمع بما يوجد في هذا القصر الذي تحصنوا فيه من أشياء ثمينة وأسلحة وخيول أصيلة ففكر أنه بدل القضاء عليهم أن يمنحهم العفو، ويستولي على ما يوجد في القصر من غنائم. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٩، وهذه وجهة نظر معقولة بعض الشيء ولكني أرجح أن إبراهيم باشا أعطاهم الأمان من باب سياسته التي اتخذها نهجاً منذ حصاره الرس وهي ألا يضيع الوقت والجهد حتى يصل إلى هدفه الأساس وهو الدرعية.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢، لم يورد ابن بشر شيئاً عن مصير ابن عفيصان وفرقته، ولعلهم هربوا بعد دخول إبراهيم باشا البلد مثلما فعل أكثر مقاتلي ضرما.

(٥) أشار ضاري الرشيد في كتابه (نبذة تاريخية عن نجد) إلى أن إبراهيم باشا رخص للعسكر في فعل المنكرات بالنساء في ضرما، وفي الحقيقة لم يرد مثل هذا القول في المصادر الأخرى، فرواية ابن بشر تشير إلى انه أرسلهم إلى الدرعية دون أي ذكر لما قاله ضاري، وإرساله هذا هو نفسه دليل على أنهم لم يتعرضوا للإيذاء و إلا كان أسرهم أو تركهم في البلدة. كما أن مانجان ذكر أنه لم يتعرض للنساء والأطفال في ضرما في حين نكل برجالها. ابن رشيد، نبذة تاريخية، ص١١٠، بل إن فيلبي ذكر أن إبراهيم باشا حرص على ألا يمسهم أذى، لذلك أرسل معهم فرقة من الجيش لتؤمن وصولهم إلى الدرعية، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢.

أكرم الإمام عبدالله بن سعود منزلهم[١].

استمرت حرب ضرما هذه نحز ثلاثة أيام فقط إلا أن أعداد القتلى فيها كانت هائلة فقد خسرت ضرما نحو ثلثي أهلها كما يصف ابن بشر الذي قدَّر أعداد القتلى بنحو (٨٠٠) رجل من إجمالي أهلها البالغ عددهم (١٢٠٠) رجل، كما قُتل خمسون رجلاً من رجال التعزيزات التي كانت تساعدهم[٢].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦. أما الوثائق العثمانية فتشير إلى أن أعداد قتلى ضرما بلغ (١٥٠٠) قتيل، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٩٤، بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٣٣هـ. وهذا العدد يتجاوز عدد رجالها كما ذكر ابن بشر، وقد يكون تقديرهم هذا مبالغاً فيه في محاولة من إبراهيم باشا ليظهر لوالده مدى تفوقه في المهمة التي وكلت إليه.

الفصل الثاني

تحصينات الدرعية

- إجراءات الدفاع الأولية.
- الاستعدادات الأخيرة لمواجهة الحصار.



تحصينات الدرعية:

تحدثت في الفصل الأول من هذا الكتاب عن خط سير حملة إبراهيم باشا وتمكنها من السيطرة على بلدان نجد، وزحفها شيئاً فشيئاً حتى وصلت أخيراً إلى الدرعية الهدف الرئيس لها. وفي هذا الفصل سيكون الحديث عن الدرعية، وتحصيناتها والقوة المدافعة عنها، والإجراءات الدفاعية التي اتخذتها لردع حملة إبراهيم باشا.

إجراءات الدفاع الأولية:

لقد بدأت إجراءات الدفاع عن الدرعية مبكرة منذ بداية العدوان العثماني المصري على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٢٦هـ (عام ١٨١١م). أما في هذه المرحلة من الصراع فقد استأنف الإمام عبدالله تجهيزات الدفاع عن بلاده مباشرة بعد عقد صلح الرس مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م)[1] الذي كان نهاية للمرحلة الأولى من هذا الصراع، إذ أيقن الإمام عبدالله أن هذا الصلح ما هو إلا هدنة مؤقتة يلتقط فيها كلا الطرفان الأنفاس لمعاودة القتال بجاهزية أكبر. وقد عدّ بعض المؤرخين قيام الإمام عبدالله بهذه الإجراءات الدفاعية لمواجهة حملة

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١١.

إبراهيم باشا خداعاً للسلطان العثماني ولمحمد علي، واتهموه بأنه لجأ إلى الحيلة لتسكين غضبهما بتأكيده لمحمد علي أنه تابع للسلطان، وتعهده بالقيام بما يأمر به[١]، في حين أنه كان يقوم بإجراءات واسعة النطاق لتحصين بلاده ويحرض أتباعه على مواجهة العدو[٢].

ولنا أن نتساءل عن لوم الإمام عبدالله في سعيه لتحصين بلاده والذود عنها، ولماذا يعدّ ذلك في نظر هؤلاء خداعاً وهو يراسل محمد علي ويؤكد تبعيته للسلطان، فذلك محاولة منه لدفع خطرهم عنه بطريقة دبلوماسية تجنبه مخاطر الحرب، خصوصاً أنه يدرك أنه أمام إحدى أكبر القوى في العالم في تلك الحقبة، ثم إنه من حق أي دولة أن يكون لها دفاع وطني عسكري عن أراضيها وممتلكاتها وشعبها ومعتقداتها الدينية والفكرية وفقاً للاعتبارات السياسية والعسكرية التي تراها، فهذا لا يكون خداعاً بل هو دفاع وطني مشروع دينياً وعرفياً.

وكانت أهم الإجراءات الدفاعية التي اتخذها الإمام عبدالله في ذلك الوقت على النحو الآتي:

١ ـ تغيير قيادات بعض البلدان النجدية التي كان يشك في إخلاصها، واستبدل بها من يثق في إخلاصهم، وجعل الزعماء السابقين تحت المراقبة في الدرعية[٣].

٢ ـ عمل الإمام عبدالله على جمع شيوخ البدو ليأخذ منهم عهداً بالإخلاص والمساعدة له، وحرص على وضع المخلصين منهم في

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة رقم ٣٣، بدون تاريخ ـ تقريباً ١٢٣٠هـ.

(٢) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٧.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١١ ـ ١١٨، ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٢.

الأمكنة الواقعة على الطريق الذي سيسلكه إبراهيم باشا إلى الدرعية[١].

٣ ـ تحصين الدرعية والبلدان الكبرى في نجد بمختلف الآلات الدفاعية المعروفة في تلك الحقبة[٢].

٤ ـ تخزين ذخائر الحرب والمؤن في البلدان المحصنة[٣].

٥ ـ حشد القوات من جميع المناطق التابعة للدولة السعودية الأولى وتنظيمها للوقوف في وجه تقدم إبراهيم باشا، معلناً بذلك حالة النفير العام في البلاد[٤].

٦ ـ حرض الإمام عبدالله المخلصين من زعماء الحجاز وعسير اللتين كانتا في هذا الوقت تحت الحكم العثماني المصري على الجهاد والمقاومة[٥]، لفتح جبهات متعددة على محمد علي ومحاولة تشتيت قواه بين الحجاز ونجد.

٧ ـ القيام بحملة إعلامية واسعة للحث على الدفاع عن الوطن، حيث ألقى أئمة المساجد الخطب المشجعة للحرب على منابر المساجد[٦]، كما انتشرت القصائد الحماسية لإذكاء نار الغيرة على الدين والوطن في نفوس النجديين وتشجيعهم على المقاومة والثبات. كما حرص

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٢.

(٢) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٩.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١١٨ ـ ١٢٢.

(٤) المصدر السابق، ص١١٨.

(٥) الأرشيف العثماني في إستانبول، وثيقة H.H.36070-E بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٥.

الإمام عبدالله على تشجيع جنوده المخلصين، ومكافأتهم بكرم على بسالتهم[١] لرفع روحهم المعنوية ولحفز الآخرين إلى أن يحذوا حذوهم.

من خلال ما سبق يلحظ أن استعدادات الإمام عبدالله للدفاع عن الدرعية كانت في مسارين متوازيين، يتمثلان في تحصين الدرعية نفسها ـ وسيتم تفصيل ذلك لاحقاً ـ وفي إجراءات الدفاع الأخرى التي اتخذها الإمام عبدالله خارج الدرعية بحيث مثلت تلك الإجراءات في البلدان النجدية التي كانت في طريق إبراهيم باشا خطوط دفاع متقدمة عن العاصمة الدرعية الهدف الأساسي للعدو.

كان على السعوديين ـ القوة المدافعة في هذه الحرب ـ اتخاذ إحدى الطرق المعروفة في الدفاع، إما الدفاع المتحرك بحيث يواجه العدو في مناطق مفتوحة، وتستدرج قواته إلى عمق مناطق الدفاع، ثم تحطم هذه القوات بضربات وهجمات معاكسة، ومن ثم يحبط الهجوم، وإما الدفاع المحصن بحيث تقوم بأعمال الدفاع قوات مستقرة (حاميات) في البلدان المحصنة والمجهزة مسبقاً بمنشآت دفاعية مستديمة من حصون وقلاع وخنادق ومستودعات للذخيرة والمؤن وغيرها استعداداً لحصار طويل الأمد.

وقد عقد الإمام عبدالله مجلساً عسكرياً للمشاورة في أمور الحرب، حيث أشار عليه أهل الرأي من مستشاريه باعتماد أسلوب الدفاع المحصن، فقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أنه «دار الرأي عند عبدالله بن سعود وأهل الرأي عنده يقولون: اضبط ديرتك واحتسب بالزهبة»[٢].

---

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٦.

(٢) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١٢٤، ويقصد حصن بلدتك واستعد بتموينها بالمؤن الغذائية والعسكرية. وقد أشار مانجان إلى رواية غريبة مضمونها أن من أشار =

ولكن يتضح من خلال سير حملة إبراهيم باشا أن السعوديين رأوا في البداية أن يتخذوا أسلوب الدفاع المتحرك، ويدل على ذلك توزيع الإمام عبدالله قواته إذ جعل جزءاً كبيراً منها أرتالاً متحركة في مناطق مفتوحة، وقد دللت مواجهتهم مع قوات إبراهيم باشا في ماوية على ذلك ـ كما سبق أن ذكرنا في الفصل الأول ـ ولكن يبدو أن هزيمة السعوديين في ماوية قد غيرت وجهة النظر هذه فاتخذوا الطريقة الأخرى في الدفاع المتمثلة في تحصين بلدانهم ومواجهة العدو فيها. وعليه عمد الإمام عبدالله إلى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتحصين البلدان النجدية عامة والدرعية خاصة.

وفيما يخص الدرعية ـ موضوع الدراسة ـ قام الإمام عبدالله بإجراءات مختلفة لتقوية دفاعاتها في جميع المجالات من خلال تعزيز المنشآت الدفاعية وتموينها وتسليحها وجمع القوات المدافعة عنها.

تسليح الدرعية:

يُعنى التسليح بتوفير جميع الأسلحة والمعدات القتالية والذخائر وتوزيعها وتخزينها وصناعتها أو إصلاحها. وبذلك يعد التسليح من أهم مقومات الدفاع العسكري لأي دولة.

وقد استخدم السعوديون في تلك الحقبة أنواعاً متعددة من الأسلحة استطاعوا توفيرها من مصادر مختلفة، ومن أهمها:

= على الإمام عبدالله بهذه الخطة الحربية جاسوس تركي كان يتظاهر باتباعه الدعوة السلفية، وأنه استطاع أن يصل إلى مكانة عالية عند الإمام حتى تمكن من تقديم النصائح له، وأنه كان يهدف من وراء هذه النصيحة أن يورط الإمام في حصار طويل من المتوقع أن ينتهي لمصلحة العثمانيين باعتبار المثل القائل: المدينة المحاصرة مدينة محتلة. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٩.

البنادق:

وهي السلاح الرئيس الذي كانت تتسلح به قوات الدولة السعودية الأولى[(١)]، وهي أسلحة نارية تسمى بأسماء مختلفة في تلك الحقبة منها التفق والبارودة، وقد وصف صاحب (لمع الشهاب) النوع المستخدم في نجد في ذلك الحين فذكر أنه دون خزنة وله فتيلة ومصنوع من الخشب والحديد، وكان جيد الصنع سريع الرمي خفيف الحمل ومتوسط الحجم[(٢)]، ولكن على الرغم من جودة هذا النوع فإنه لا يضاهي الأسلحة العثمانية المتطورة التي كانت تستخدم من قبل حملة إبراهيم باشا.

وقد تحدث صاحب كتاب (لمع الشهاب) عن صناعة البنادق في الدرعية وكيف تطورت صناعتها بعد قيام الدولة السعودية الأولى[(٣)]، وقد علق الدكتور عبدالله المطوع في دراسته عن مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى عن أن هذا التطور «يعد أمراً طبيعياً نتيجة لزيادة الطلب على السلاح، مما أدى إلى زيادة العاملين في هذه المهنة المربحة، وهذا ربما يساعد على تفسير سرعة توسع وقوة جيش تلك الدولة»[(٤)].

وعلى الرغم من ازدهار هذه الصناعة في الدرعية قليلاً، فإن من الثابت أن أهم مصادر توفير هذه الأسلحة كان استيرادها من بعض المناطق المجاورة مثل مسقط والكويت وقطر وغيرها من إمارات الخليج التي كانت تشتهر بتجارة الأسلحة المستوردة في الغالب من أوربا في تلك الحقبة[(٥)]، كما أشار صاحب كتاب (لمع الشهاب) إلى استيراد نجد

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص ٧ ـ ١٣ ـ ٥٣ ـ ٧٧.

(٢) لمع الشهاب، ص١٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٨٩.

(٤) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، الجمعية التاريخية السعودية، بحوث تاريخية، الإصدار الرابع عشر من المحرم سنة ١٤٢٤هـ، ص١٤٨.

(٥) رحيم كاظم محمد الهاشمي، تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨١ ـ ١٩١٤م، دمشق: دار علاء الدين، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٦٨ ـ ٦٩.

الأسلحة من مصر أيضاً[١]. ومن المحتمل أن بعض هذه الأسلحة المستوردة كان بحاجة إلى تعديل وتطوير ليلائم النمط المحلي المطلوب[٢].

السلاح الأبيض:

ومن أهم أنواعه المستخدمة في الدرعية السيوف والرماح والخناجر[٣]، وكانت الدرعية من أهم مراكز تصنيعها في نجد[٤]، فقد كان فيها سوق خاص لصناعة السيوف وغيرها[٥]، فضلاً عما كان يستورد من بغداد والبصرة[٦].

المدافع:

يعد المدفع من الأسلحة الثقيلة المهمة التي تتزود بها الجيوش في تلك الحقبة، وقد ملك السعوديون أعداداً كبيرة منها بلغت في عهد الإمام سعود الكبير ستين مدفعاً، منها ثلاثون مدفعاً كبيراً[٧]، ومن المرجح أن أغلب هذه المدافع حصل عليها السعوديون غنائم في الحروب التي

---

(١) لمع الشهاب، ص١٩٠.
(٢) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص١٤٩.
(٣) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٩ ـ ٢٣٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٥٤ـ ٢٦٥ ـ ٢٢٧ ـ ٣٩٦، وبوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص٧٦، ولمع الشهاب، ص١٩٢.
(٤) لمع الشهاب، ص١٨٨ ـ ١٩٢، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٢١١.
(٥) الصايغ، فتح الله، رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية، تحقيق يوسف شلحد، دمشق: دار طلاس، ١٩٩٠م، ص٢٥٨.
(٦) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٢١١.
(٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٥٢.

خاضوها مع أعدائهم من خارج نجد[١]، وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى مصادر أخرى لتوفير المدافع سواء عن طريق شرائها أو صناعتها محلياً، فإن ذلك لا يمنع شراء السعوديين مثل هذه المعدات، في حين أن أمر صناعتها في نجد مستبعد جداً.

والواقع أن استخدام المدافع لا يصلح في الحرب الصحراوية الخاطفة والسريعة التي كانت تغلب على حروب الدولة السعودية الأولى نتيجة لثقل حجمها، لذلك كان استخدام السعوديين لها قليلاً في حروبهم، ولم يستخدموها إلا في دك بعض القلاع في البلدان التي فتحوها خاصة في الأحساء[٢]. كما ورد أن جيش سعود الذي اتجه إلى الحجاز سنة ١٢١٨هـ (عام ١٨٠٣م) كان يحمل معه بعض المدافع، ولكن لم يرد استخدامها في معارك الحجاز[٣]. ومن المرجح أن المدافع التي ملكها السعوديون كانت تستخدم بشكل أكبر بغرض الدفاع وتحصين البلدان بحيث تزود الحصون والقلاع في بعض البلدان بعدد من المدافع، وقد اتضح ذلك من خلال حروبهم الدفاعية ضد حملات محمد علي[٤].

أما في حصار الدرعية فقد ورد في أحد تقارير إبراهيم باشا إلى والده أن الدرعية كانت مسلحة بـ (٢٥) مدفعاً ممتازاً إضافة إلى بعض المدافع الأخرى[٥].

---

(١) ورد أن السعوديون غنموا من سعدون بن عريعر عدداً من المدافع عندما هزم في هجومه على نجد سنة ١١٩٥هـ. ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١١٠، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٤٤. كما غنموا مدفعاً من الشريف غالب في معركة الجمانية سنة ١٢١٠هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢١٤. وغنموا سنة ١٢٢٥هـ عشرة مدافع من صاحب مسقط. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٤٥.

(٢) لمع الشهاب، ص ٧١ ـ ٧٤ ـ ٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٦.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٤ ـ ٣٩٨.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٣١ (9H.H .1957) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ.

كما أمدّت الدرعية بذخائر للأسلحة من الرصاص والقنابل وغيرها[١]، و كانت هذه الذخائر تجلب إلى نجد من بغداد والبصرة[٢] وتركيا[٣]. ويبدو أنها كانت تصنع محلياً أيضاً نتيجة استهلاكها بكميات كبيرة نظراً لكثرة حروب الدولة السعودية الأولى[٤].

أما البارود[٥] الذي كانت تثّور به هذه الذخائر فكان أهل نجد يصنعون أنواعاً جيدة منه، ولا يحتاجون إلى جلبه من مكان آخر، بل إن بارودهم كان يستخدم في كل الجزيرة العربية[٦]، وكانت هذه الذخائر تحفظ في مخازن خاصة تسمى (الجبخانة)[٧].

تموين الدرعية:

شملت استعدادات الإمام عبدالله لمواجهة الحصار تموين الدرعية بكل ما يلزمها من الأرزاق والأغذية المختلفة والأعلاف للماشية ورواحل القتال. وقد حرص الإمام عبدالله على جمع هذه المؤن من جميع المناطق التابعة له[٨]، وقد ساهم أغنياء الدرعية أيضاً في تموين الدرعية بكل ما يلزم[٩].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢١١

(٣) لمع الشهاب، ص ١٩١

(٤) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص ١٤٩.

(٥) هو مادة مركبة من ثلاث مواد هي: فحم خفيف وكبريت أصفر وملح خاص، بحيث تخلط هذه المواد وتدق في مهراس دقاً شديداً حتى تختلط تماماً ثم تنشف في العراء وتحبب. سعد بن عبدالله، الجنيدل، معجم التراث والسلاح، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز،١٤١٧هـ، ص٣٧.

(٦) لمع الشهاب، ص١٩٠.

(٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١١ ـ ٣٨٩، يبدو أن هذه المخازن يحفر لها في الأرض وتدفن.

(٨) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٤، فيسي، الدرعية، ص١٤٠.

(٩) المصدر السابق، ص ١١٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٥.

وفي إطار تنظيمات الإمام عبدالله لدفاعات الدرعية في ذلك الوقت عمل على تحويل أحد قصور سلوى إلى مستودع ضخم أودع فيه كثيراً من المؤن والذخائر المختلفة[١].

ومن المرجح أيضاً أن أهالي الدرعية أنفسهم قد عملوا على تخزين كميات من الأطعمة في منازلهم تحسباً لمطاولة الحصار لهم وخوفاً من ارتفاع الأسعار في أثناء الحرب.

كما كانت الدرعية خلال الحصار تتلقى بعض الإمدادات من الخارج حيث استطاعت بعض القوافل الصغيرة أن تتسلل إليها قادمة من الأحساء أو بعض البلدان النجدية المجاورة[٢]، وهذا يعني أن عمليات التموين ظلت مستمرة حتى بعد الحصار، ولو بشكل يسير ومتقطع.

قوات الدفاع:

لم يكن في الدرعية جيش نظامي دائم قبل تحالف الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١٥٧هـ (عام ١٧٤٤م)، شأنها في ذلك شأن البلدان النجدية الأخرى في تلك الحقبة، حيث تعتمد هذه البلدان في حروبها على مشاركة رجال البلد القادرين على حمل السلاح، إذ كانت طبيعة الحياة في نجد المعرضة باستمرار للأخطار بسبب فقدان الأمن وكثرة الغزوات تحتم على جميع أفراد البلد أن يكونوا مستعدين دائماً للقتال.

ولم يتغير الوضع بعد قيام الدولة السعودية الأولى، حيث اعتمدت على أتباعها بصفتهم قوات حربية تجمع بطريقة إلزامية أو تطوعية عندما

---

(١) فيسي، الدرعية، ص١٤٨.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٧ ـ ١٧١.

يريد الإمام القيام بغزو إحدى المناطق أو الإغارة على بعض القبائل، وتسمى هذه الطريقة بالنفير[١].

وتتلخص كيفية إعداد هذا الجيش بأن يصدر الإمام بصفته القائد العام للغزو أوامره إلى الأقاليم بأن يعد كل منهم عدداً محدداً من الجنود مزودين بالسلاح والعتاد والطعام للخروج معه[٢]. كما يرسل رجالاً (حواويش) من الدرعية إلى جميع البوادي حتى يجمعوا رجال القبائل للغزو، وكان الإمام يحدد للجميع ميعاداً ومكاناً محدداً عند مورد ماء معروف يجتمعون عنده للخروج إلى وجهتهم[٣]. وقد كانت هذه الطريقة في التجنيد تؤمن لهم أعداداً كبيرة دون أن تتكلف الدولة ميزانية ضخمة لجمعهم وتجهيزهم. وعلى ذلك نجد أن الدولة السعودية الأولى لم يكن لها جيش نظامي دائم على الرغم من اتساعها، وكانت جيوشها مؤقتة بحيث يعود المقاتلون إلى بلدانهم بعد انتهاء مهمتهم باستثناء بعض الحاميات العسكرية المرابطة في الحصون لحماية بعض المناطق وحفظ الأمن فيها[٤]، إضافة إلى بعض الحرس الخاص والدائم للحاكم في الدرعية[٥].

ولم يكن على الدولة أن تؤمن للمقاتلين السلاح أو الزاد، بل إن كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته وزاده، ولا يأخذون رواتب لقاء خدمتهم العسكرية، بل كانوا ينالون أربعة أخماس الغنائم التي يحصلون عليها،

---

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص٢٦٠، والعثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٧٦.

(٢) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٧٨، ولمع الشهاب، ص٥٦.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٤) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص١٢٧ ـ ١٨٥، ولمع الشهاب، ص٤٨، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٥٠ ـ ١٥٨ ـ ٢١٦ ـ ٢٦٣ ـ ٢٩٢، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٩٩.

(٥) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص٦٥ ـ ٧١.

كما في الشرع الإسلامي[١].

وفي مواجهة الإمام عبدالله بن سعود لحملة إبراهيم باشا، عمل الإمام على حشد قواته بنفس الطريقة من جميع المناطق التابعة للدولة حاضرةً وباديةً ونظَّمها، حيث قسمها إلى فرق مكونة من حاميات مختلفة رابطت بعضها في الدرعية وأخرى في البلدان النجدية الكبرى لتساعد أهلها في مقاومة أي هجوم مرتقب من إبراهيم باشا[٢]، وتكون نقاط دفاع متقدمة للدرعية، ونظَّم فرقاً أخرى كأرتال متحركة في أنحاء نجد تتدخل حين تظهر الحاجة لتدخلها[٣]. ولكن بعد سقوط القصيم وانسحاب الإمام عبدالله إلى الدرعية أذن لقواته بالرجوع إلى أوطانهم[٤]، ولعله قصد من ذلك إعطاءهم فرصة للراحة استعداداً لمرحلة جديدة في المواجهة إلى أن يجمعهم مرة أخرى للمعركة الحاسمة في الدرعية.

وقد قدر إبراهيم باشا أعداد القوات العسكرية التي كانت تدافع عن الدرعية في أثناء الحصار بنحو ثلاثة آلاف مقاتل[٥]، في حين ذكر سادلير أن أعدادها زهاء أربعة آلاف مقاتل[٦].

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص٧٨، ولمع الشهاب، ص٥٦، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٤٧.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٩٤.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٨.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد،ج١، ص٣٨٩. ولكن ذلك لم يمنعه من إرسال بعض الحاميات لضرما نتيجة مهاجمة إبراهيم باشا غير المتوقعة لها، انظر ص ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٥) كان إبراهيم باشا يعتقد أن أعداد قوات الدرعية تقدر بنحو خمسة آلاف إلا أنه استدرك ذلك في تقرير آخر حيث ثبت له أنهم نحو ثلاثة آلاف كما ذكر أعلاه، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٧ ورقم ٢/١ ـ ٤٦ (19604H.H.) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

(٦) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٧.

وبالنظر إلى عناصر القوات المدافعة عن الدرعية نجد أنها تنقسم إلى:

أ ـ المدافعين من غير أهل الدرعية:

وهم فرق وحاميات مختلفة تمثل عدداً من البلدان والقبائل التابعة للدولة السعودية الأولى، كانت في الأغلب بقيادة رؤسائهم، ومن أهم هذه الفرق ـ حسب ما ذكر ابن بشر:

- فرقة من أهل منفوحة بقيادة عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة[١].
- فرقة من أهل الحريق بقيادة عبدالله الهزاني صاحب الحريق[٢].
- فرقة من أهل سدير بقيادة عبدالله ابن قاضي سدير أحمد بن راشد العريني[٣].
- فرقة من أهل الوشم بقيادة محمد بن أحمد بن سدحان صاحب شقراء[٤].
- فرقة من أهل المحمل بقيادة محمد العميري[٥].
- فرقة من أهل الصفرة في المحمل بقيادة شديد اللوح[٦].

إضافة إلى فرق مختلفة من ثادق والحوطة وحريملاء والعيينة والأفلاج والقصيم وغيرها[٧].

كما شاركت قوات مختلفة من القبائل المخلصة للدولة في الدفاع عن

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٨.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٨.
(٤) المصدر السابق، ص٤٢١.
(٥) المصدر السابق، ص٤٠٥.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٠٥.
(٧) المصدر السابق، ص ٤٢٠.

الدرعية، ولعل أبرزها قوات غصاب العتيبي الذي كان يحتل منصباً عسكرياً قيادياً مهماً في قوات الدرعية إذ كان رئيساً لفرقة الخيالة(١).

كما قدمت للدرعية أعداد كبيرة من المتطوعين من مناطق مختلفة للمشاركة في الدفاع عن الدرعية، وكذلك اللاجئون الذين هربوا من المناطق التي احتلتها القوات العثمانية المصرية واتجهوا إلى الدرعية(٢) المعقل الأخير للدولة السعودية الأولى، والذين من المرجح اشتراكهم في الدفاع عنها.

ب ـ سكان الدرعية:

كانت الدرعية بصفتها عاصمة البلاد، وبما تهيأ لها من عوامل الجذب السكاني السياسية والعلمية والاقتصادية تضم أعداداً كبيرة من السكان، إذ تدفقت إليها موجات مختلفة من الهجرات من المناطق المجاورة منذ قيام الدولة السعودية الأولى فيها، وتطورت هذه الهجرات مع توسع الدولة جغرافياً وتطور مواردها الاقتصادية(٣)، وبذلك زادت أعداد سكانها بشكل كبير خلال ما يقرب من (٧٦) سنة هي عمر الدولة السعودية الأولى.

وقد اختلفت المصادر في تقدير عدد سكان الدرعية قبل حملة إبراهيم باشا، ولعل أقربها إلى الصحة تقدير جومار الذي ذكر أن عدد سكانها في هذا الوقت نحو (١٣) ألف نسمة(٤). كما ذكر فيسيير الضابط الفرنسي

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣ ـ ٤١٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٩٢، ٣٩٦، ٤١٠، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص٤٥.

(٣) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص ٨٥ ـ ٨٧.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٦١، ورجح الدكتور عبدالله المطوع في دراسته عن مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى هذا العدد تقريباً إذ فسر ذلك =

المشارك في جيش إبراهيم باشا أن عدد سكان الدرعية كان ثلاثين ألف نسمة[١]، ويبدو أنه كان يصف الدرعية في أثناء الحصار وكانت آنذاك تضم أعداداً كبيرة من اللاجئين الوافدين عليها من المناطق التي احتلتها قوات إبراهيم باشا إضافة إلى الجيش الذي حشده الإمام عبدالله بن سعود للدفاع عنها[٢].

لقد قام أهالي الدرعية بدور كبير في الدفاع عن بلدتهم، حيث انضم الرجال القادرون على حمل السلاح إلى القوات العسكرية التي قدمت الدرعية من كل أنحاء البلاد[٣]. كما اشترك الرجال غير القادرين على حمل السلاح من الشيوخ والمرضى وغيرهم أيضاً في الدفاع حيث وُزِّعوا على جهات لا تكون فيها شدة حرب لحفظها فقط[٤].

= بفرضيه علمية من خلال عملية حسابية اعتمد فيها على حساب أعداد سكان الدرعية من خلال أعداد مبانيها التي ذكر كورانسيه أنها تبلغ (٢٥٠٠) منزل وذلك بضرب هذا العدد في متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة الذي قدره بخمسة أشخاص، وكانت النتيجة (١٢٥٠٠) شخص وهو عدد مقارب جداً لما ذكره جومار. عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص٩٢.

(١) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ص١٣٠.

(٢) الذي أراه أنه على الرغم من ذلك فإن عدد سكان الدرعية لا يصل إلى هذا الرقم؛ لأن المصادر تذكر أن عدد جيش عبدالله الموجود في الدرعية (والمقصود به جميع الرجال المشاركين في القتال) يبلغ ما بين ٣ ـ ٤ آلاف مقاتل في أعلى تقدير، أما ما يخص اللاجئين فإنه لم يرد في المصادر تقدير محدد لهم ما عدا أهل ضرما، وهم حالة خاصة إذ إن إبراهيم باشا هجَّر النساء والأطفال إلى الدرعية وقد قدرهم ابن بشر بـ (٣٠٠٠) شخص، وإذا عرفنا أن إبراهيم باشا لم يتبع هذه السياسة إلا مع ضرما فقط فهذا يعني أن أعداد اللاجئين من المناطق الأخرى ليس بهذا الحجم، بل يبدو أن إبراهيم باشا كان يمنع خروج أحد من البلدان التي احتلها إلى الدرعية ويدل على ذلك موقفه في شقراء كما سبق أن ذكرنا.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٤) المصدر السابق، ص٣٩٨.

كما كان للنساء مشاركة فاعلة في الدفاع عن الدرعية بطرائق مختلفة، لعل أهمها تشجيع المدافعين وبث الحماس في نفوسهم، وخدمة المقاتلين المرابطين في مواقعهم العسكرية، وقد وصف مانجان شجاعة نساء الدرعية وكيف كن يقتحمن خط النار في أثناء المعارك وهن يحملن جرار الماء لإيصالها إلى المقاتلين[١].

وبذلك كوّن الأهالي قوات أخرى خلف صفوف المقاتلين، مشاركين معهم بكل ما يقدرون عليه دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم وأرضهم وعقيدتهم ضد المعتدين.

أثر أمراء آل سعود في الدفاع عن الدرعية:

جسد أمراء آل سعود في أثناء حصار الدرعية مثالاً حياً لتكاتف آل سعود وقوتهم، ومؤازرتهم بعضهم لبعض ووقوفهم صفاً واحداً من أجل المحافظة على كيان دولتهم التي اجتهد آباؤهم في تأسيسها وازدهارها، والإبقاء على دعوة الإصلاح الديني التي نهضت وقامت عليها دولتهم، ولم يتأخروا بتقديم كل غالٍ ونفيس في سبيل ذلك. وقد ذكر مانجان أن أفراد الأسرة الحاكمة كانوا يبيعون ممتلكاتهم لتغطية نفقات الحرب الباهظة مبرهنين بذلك عن مدى تعلقهم بدينهم ووطنهم[٢]. كما اشترك عدد كبير من الأمراء السعوديين في الدفاع عن الدرعية وكان لبعضهم أثر قيادي مهم في مواجهة المعارك، ولعل أبرزهم الأمير فيصل بن سعود الذي تولى قيادة جيوش أخيه الإمام عبدالله في أكثر من معركة حاسمة، أهمها معركة بسل سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م)[٣]. كما أنه تولى الدفاع عن

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧١.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٥.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٧٠.

أول المراكز الدفاعية في شمال الدرعية[١] وأكثرها خطراً لما له من الخبرة والمكانة العسكرية.

كما كان لعدد من إخوة الإمام عبدالله بن سعود الآخرين أثر فاعل في الدفاع عن الدرعية، وتولى معظمهم مراكز قيادية في نقاط الدفاع التي أقامها الإمام لمواجهة الحصار وهم إبراهيم وفهد وسعد وتركي ومشاري وعمر وحسن وعبدالرحمن[٢].

كما اشترك سعد ابن الإمام عبدالله بن سعود في معارك الدرعية واستطاع حماية قصر غصيبة أحد قصور الدرعية المهمة التي صمدت إلى نهاية الحصار، حتى اضطر إبراهيم باشا لعقد صلح منفرد معه[٣]، كما سنرى لاحقاً.

ومن الأمراء الآخرين الذين اشتركوا في معارك الدرعية، وكانوا على رأس القوات الموزعة لحماية أبراجها وحصونها عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وابنه فهد بن عبدالله، وتركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه سعود بن عبدالله، وابنه فهد بن تركي، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود، وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري[٤].

كما أشارت المصادر إلى عدد آخر من الأمراء السعوديين الذين اشتركوا في معارك الدرعية تحت قيادة إخوانهم من أبناء البيت السعودي وهم عمر بن عبدالعزيز بن محمد وأخوه عبدالرحمن، وزيد بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه محمد بن عبدالله، وابن أخيه فيصل بن تركي بن عبدالله، وإبراهيم بن حسن بن مشاري، وأخواه عبدالله وعبدالرحمن،

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧.
(٢) المصدر السابق، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٣) المصدر السابق، ص٤١٥ ـ ٤١٨.
(٤) المصدر السابق، ص٣٩٨ ـ ٣٩٩.

وإبراهيم بن عبدالله بن فرحان، وغيرهم[١]. وقد لاقى عدد كبير منهم حتفه شهيداً في أثناء الحصار، ذكر ابن بشر أن عددهم نحو واحد وعشرين رجلاً[٢].

أثر علماء الدعوة السلفية في الدفاع عن الدرعية:

اشترك عدد كبير من علماء الدعوة في الدفاع عن الدرعية[٣] بحماس من يحمل السلاح ليس فقط عن أرضه وعرضه وماله، وإنما بحماس من يدافع عن عقيدته التي عملوا جاهدين على نشرها وتثبيتها في نفوس الناس منذ ما يقارب قرناً من الزمان.

وقد قام هؤلاء العلماء أيضاً بجهد كبير في بث روح الحماس والجهاد بين المقاتلين في الدرعية وحثهم على الثبات والمجالدة في مقاومة العدو.

ولم يقتصر أثرهم على هذا العمل المعنوي فقط، بل اشتركوا فعلياً في القتال ضد العدو، وكان لبعضهم مواقف خالدة تنم على الشجاعة والإقدام، وكانت مدعاة لعامة الناس للثبات والصبر.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٩ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٤١٨.

(٣) كان لعدد كبير من علماء الدعوة أثر كبير في الجهاد ضد حملة إبراهيم باشا على طول خط سيرها قبل وصولها إلى الدرعية، وقد شهدت كتب التاريخ لعدد كبير منهم بذلك ومن أهمهم:

ـ الشيخ إبراهيم بن حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن مشرف حفيد الشيخ محمد ابن ابنته، وقد كان قاضياً في مرات، وقد خرج مع جيش الإمام عبدالله إلى ماوية، وشارك في القتال ضد قوات إبراهيم باشا، واستشهد في المعركة سنة ١٢٣٢هـ. عبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

ـ الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس وكان من الثابتين والمشجعين على مطاولة إبراهيم باشا في أثناء حصاره الرس سنة ١٢٣٢هـ حتى أذعن للصلح. عبدالله البسام، علماء نجد، ج٥، ص٤٢٠.

وقد كان على رأس هؤلاء العلماء علماء آل الشيخ وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب مفتي الدولة الذي لم يمنعه تقدمه في السن عن المرابطة في أحد المواقع الدفاعية عند باب البجيري للمشاركة الفعلية في القتال[١]، وقال حينها كلمته المشهورة «بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل»[٢].

كما كان لأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب الآخرين وأحفاده جهد بارز في الدفاع عن الدرعية، وممن ذكرتهم المصادر:

- الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب، وقد كان مسناً في تلك الحقبة، وقد قام بدور في أحداث سقوط الدرعية التي سترد لاحقاً، ونقل إلى مصر بعد ذلك[٣].
- الشيخ علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وكان ممن شارك في الدفاع عن الدرعية، وقتل على يد عساكر إبراهيم باشا[٤].
- الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، وكان من المجاهدين في الدرعية، وقد فر منها بعد سقوطها إلى جهات عمان[٥].
- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وقد كان ملازماً لجيش الإمام عبدالله بن سعود منذ بداية جهاده ضد الحملات العثمانية المصرية، حيث اشترك في معركة وادي الصفراء ضد قوات طوسون باشا سنة ١٢٢٦هـ (عام ١٨١١م)، واستمر معه حتى اشترك

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٤١٦، وعبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص١٧٦.

(٢) عبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص١٧٦، وعبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الرياض: دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ، ص٦٨.

(٣) عبدالله البسام، علماء نجد، ج٥، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق، ج٥، ص٢٤١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٢، وعبدالله البسام، علماء نجد، ج٥، ص١٧٥.

في الدفاع عن الدرعية إلى أن سقطت، وكان ممن نقلوا إلى القاهرة من آل الشيخ[١].

- الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وكان ممن قتل صبراً بعد سقوط الدرعية نتيجة لوشاية بعضهم عليه عند إبراهيم باشا حسبما تذكر رواية ابن بشر[٢]، ولعل المقصود بهذه الوشاية هو ما يتعلق بالجهد الذي قام به في أثناء الحصار من إذكاء الحماس بين الناس للدفاع عن الدرعية والدعوة السلفية.

ومن علماء الدعوة من غير آل الشيخ الذين اشتركوا في الدفاع عن الدرعية:

- الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد، وكان قاضياً للمدينة، ولما قربت جيوش إبراهيم باشا منها هرب إلى الدرعية، وكان ممن تردد بين آل سعود وإبراهيم باشا في الصلح، وقد حاول إبراهيم باشا إغراءه، ولكنه «أبى أن يفارق آل سعود فغضب منه إبراهيم باشا، ولما أخذ البلاد مسكه وعذبه» وقد نقل إلى مصر بعد ذلك[٣].
- الشيخ علي بن حمد العريني، وكان من أشد المدافعين عن الدرعية، وقدم إليها من الخرج حيث كان قاضياً هناك، وقتله إبراهيم باشا نتيجة حماسه في الدفاع عن الدرعية[٤].
- الشيخ محمد بن حمد البسام وكان من المجاهدين المخلصين مع

---

(١) عبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص١٨٢، وعبدالرحمن آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص٧٩ ـ ٨٠.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢٤، وعبدالله البسام، علماء نجد، ج٢، ص٣٤٩.

(٣) عبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص٤٦٠.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢١، وعبدالله البسام، علماء نجد، ج٥، ص١٧٩.

القوات السعودية في الدرعية، ولما سقطت خرج منها إلى ثادق[١].

- الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب بن مشرف، ابن أخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان من المقيمين بالدرعية منذ حياة عمه لطلب العلم، واستمر في الإقامة بها حتى سقطت، ثم خرج منها وعاد إلى حريملاء بعد ذلك[٢].
- الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف الذي كان من رجال العلم المقربين للإمام عبدالله، إذ أرسله في سفارة إلى محمد علي باشا سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م) لإقرار صلح الرس مع طوسون باشا، وقد لازم الدرعية للدفاع عنها إلى أن سقطت ثم ارتحل منها إلى عنيزة[٣].
- الشيخ عبدالله بن أحمد الوهيبي، أحد قضاة الدرعية، وقد شارك في الدفاع عنها إلى أن سقطت فخرج منها إلى رأس الخيمة[٤].
- الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمر أحد قضاة الدرعية، وكان من أشد المتحمسين للدعوة ومن علمائها البارزين، ولما سقطت الدرعية خرج إلى البحرين، وكان من أشد الناس حزناً وأسى على النكبة التي حلت بها وبالدعوة السلفية، وقد وصف شعوره هذا في كثير من قصائده التي كان يرسلها إلى زملائه الذين كانوا معه في الدرعية ونقلوا إلى مصر[٥].
- الشيخ فارس بن حمد بن رميح، وكان من طلبة العلم الذين كانوا يقيمون بالدرعية في تلك الحقبة، وقد بقي فيها في أثناء الحصار إلى

---

(١) عبدالله البسام، علماء نجد، ج٥، ص٥٠٦.
(٢) عبدالله البسام، علماء نجد، ج٣، ص٣٦٤.
(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٣٢١ ـ ٣٢٣.
(٤) المصدر السابق، ، ج٤، ص٣٥ ـ ٣٦.
(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٦ ـ ٣٤١.

أن سقطت، ثم عاد إلى بلده العطار في سدير[١].

- الشيخ رشيد السردي، من رجال الدعوة المخلصين، قدم من الحريق حيث كان قاضياً هناك، وكان من المتحمسين للدفاع عن الدرعية ولما علم الباشا منه هذه الصلابة بعد سقوط الدرعية أمر بقتله[٢].

الموقع الجغرافي للدرعية وأثره في المواجهة العسكرية:

كان لموقع الدرعية في وسط نجد أثر كبير في صد أي اعتداءات من خارج نجد، فقد كان لها موقع عسكري منيع؛ لأنه لا يوصل إليها سوى حلق ضيق من حلوق جبال طويق التي تقع في غربها. وكان لا يجرؤ على اجتياز هذا الممر أي جيش مهاجم لما فيه من الخطر. أما من الجهات الباقية فتحميها على مسافات بعيدة الصحارى الرملية التي لا ماء فيها[٣]، فضلاً عن البلدان التابعة للدرعية التي كانت تقع على طول الخط الموصل إليها والتي تعد نقاط دفاع متقدمة عنها كان لا بد من اجتيازها إما بالاستيلاء عليها، وإما بضمان تبعيتها للجيش الغازي حتى يتمكن من الوصول إلى الدرعية في قلب العارض، فضلاً عن طول المسافات التي كانت في أغلبها صحراء قاحلة.

وفيما يخص حملة إبراهيم باشا فقد استطاعت أن تجتاز هذه المصاعب للوصول إلى الدرعية، وقد كلفها ذلك أكثر من عام ونصف، فضلاً عن كمية الخسائر المادية والبشرية الهائلة التي تكبدتها الحملة. إلا أن الحملة على الرغم من تخطيها هذه المصاعب الجغرافية والعسكرية واجهت مصاعب جغرافية أخرى تتعلق بطبيعة الأرض في بلدة الدرعية نفسها.

---

(١) المصدر السابق، ج٥، ص٣٥٩.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٢١، عبدالله البسام،علماء نجد، ج٢، ص١٩١.

(٣) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٦٩.

تقع الدرعية في منتصف وادي حنيفة، على مسافة ١٨,٣٠ كيلاً شمال غرب الرياض[١] وتقع إلى الشمال منها على مجرى وادي حنيفة بلدتا العيينة والجبيلة[٢]، في حين تقع عرقة أسفل الوادي منها بنحو خمسة أكيال ناحية الجنوب.

ووادي حنيفة ينحدر من حافة جبال طويق في الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، متخذاً شكلاً متعرجاً تحفه الجبال من جانبيه، بحيث يشق مجراه فوق صخور الجير الجوراسية، وعندما يصل إلى موضع الدرعية يكون قد عمق مجراه بشكل كبير؛ وذلك لأن الصخور الجيرية التي يجري عليها قابلة للإذابة بالماء، ومع تكرار جريان الوادي عليها على مر العصور استطاع أن يكون وادياً عميقاً تحف به منحدرات صخرية وعرة[٣]. وقد بنيت الدرعية على مرتفعات هذا الوادي؛ وبذلك لا تكون مكشوفة للأعداء مثل بقية البلدان المجاورة لها والتي كانت مبنية في مناطق سهلية[٤].

ويمتاز وادي حنيفة في القسم الواقع منه ضمن أراضي الدرعية بميزتين مهمتين:

١ - اتساع الشرفات الرسوبية، إذ تُكوِّن الطبقات العميقة من رواسب الطمي التي راكمتها السيول على مر الزمن تربة خصبة في هذه المناطق بحيث قامت عليها بساتين الدرعية ونخيلها.

---

(١) صالح بن حمد الناصر، الدرعية وأحياؤها القديمة، الدرعية: بلدية الدرعية الفرعية، (د.ت.)، ص٥.

(٢) الجبيلة: تصغير جبلة هي بلدة صغيرة تشرف على وادي حنيفة من الجهة الجنوبية تقع إلى الشمال من الدرعية، ويجتازها طريق العيينة وسدوس والحيسية. ابن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص٢٦٤.

(٣) برنامج تطوير وادي حنيفة، الرياض: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، ص٦.

(٤) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص١١١.

٢ ـ أن سفوح الوادي في هذه المنطقة شديدة الانحدار فكوَّنت بوعورتها وارتفاعها حصناً منيعاً لقصور الدرعية ومبانيها، بحيث قامت أحياء الدرعية في أعلى هذه السفوح المنيعة على جانبي الوادي[١]. وهذا يعطي الدرعية حصانة طبيعية قوية ساعدت على حفظ الدرعية من غارات أعدائها في كثير من الأوقات.

ويمتاز وادي حنيفة بكثرة روافده ومنخفضاته. وفي منطقة الدرعية كانت هذه الروافد كثيرة[٢] بحيث كانت تفصل بين أراضي الدرعية، وهذا جعلها تكون وحدات متفرقة ومستقلة مثلت أحياء الدرعية[٣].

وعلى الرغم من إيجابيات موقع الدرعية وطبيعة أرضها في تحصينات الدرعية فإن هناك سلبيات تعد نقاط ضعف في هذه التحصينات، فكثرة روافد الوادي في الدرعية تعد نقطة ضعف في تحصيناتها؛ لأنها قد تمكن العدو من التسلل عن طريقها إلى الدرعية. ومما يوضح ذلك ما ذكره عبدالرحمن بن حسن عندما تحدث عن الدرعية «أنها شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء»[٤]، لذلك كان لا بد من الحرص على حراسة هذه الممرات والروافد وقت الخطر، وسنرى لاحقاً الإجراءات التي اتخذها الإمام عبدالله لسد هذه الثغرات.

---

(١) برنامج تطوير وادي حنيفة، ص٦، والشريف، عبدالرحمن، مدينة الرياض دراسة في جغرافية المدن، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، (د.ت)، ص٣٩.

(٢) أهم هذه الروافد من الناحية الغربية: شقير، وشقرا، والخسيف، والعلياني، والحريقة، وغبيراء، والبليدة، وكتلة، وصفار، والجريبا، والغاشمية، وسدير، وأم العبيد. أما أهم روافده من الناحية الشرقية منها: فهي دبوس، وغنيات، وقري قصير، وقليقل، وقري عمران، والشعيبة، وقريوه، وقميلان. ابن خميس، الدرعية، ص٤٠١.

(٣) انظر صورة رقم ١.

(٤) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص٩١.

الامتداد العمراني للدرعية وأثره في مواجهة الحصار:

تكونت الدرعية في بداية إنشائها من موضعين معروفين على وادي حنيفة ـ حسبما أشارت الروايات التاريخية ـ وهما المليبيد وغصيبة، حيث بُنيا وعمرا من قبل مانع المريدي وأبنائه من بعده[١]، ولكن المتتبع لتاريخ الدرعية يرى أنها توسعت في عمرانها خارج هذين الموضعين بمرور الوقت مع تطور الحكم فيها وازدياد عدد سكانها خصوصاً بعد أن أصبحت عاصمة الدولة السعودية الأولى بحيث امتدت امتداداً كبيراً على جانبي الوادي، سواء في مزارعها وبساتينها أم في بنيانها ومساكنها، وصارت تمتد من الملقى شمالاً إلى حدود عرقة جنوباً بمسافة تقدر بنحو عشرين كيلاً. كما دخل الامتداد العمراني إلى داخل روافد الوادي، وهذا أعطى اتساعاً للبلدة في الطول بشكل متعرج حسب اتساع الرافد وامتداده[٢]. وقد وصف عبدالرحمن بن حسن الدرعية بأنها بلد مطاول أي تمتد عمرانياً بالطول أكثر من العرض بشكل مستطيل[٣].

لم توافنا المصادر المحلية بوصف جيد لأحياء[٤] الدرعية ومناطقها سوى بعض الإشارات عند ابن بشر في أثناء حديثه عن معارك الحصار.

وفي حين نجد أن بعض المصادر الأجنبية حرصت على وصف الدرعية، إلا أنه يؤخذ عليها عدم دقتها في الوصف؛ ذلك لأن مؤلفيها لم

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص٨١ ـ ٨٢، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص٣٥.

(٢) ابن خميس، الدرعية، ص٤٠١.

(٣) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١٢٨، انظر خريطة رقم٢.

(٤) اختلفت المصادر في المصطلح الذي أطلق على أحياء الدرعية ففي حين يسمي ابن بشر الواحد منها «منزلة». ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٥، يطلق مانجان عليها اسم «مدن صغيرة». مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٠، كما أطلق عليها فيسي مصطلح «مستوطنات». فيسي، الدرعية، ص١٤٩.

يزوروا الدرعية أصلاً. ومن هذه الروايات ما ذكره كورانسيه في وصف الدرعية إذ قال: إنها تتكون من ضاحيتين هما الطريف في الغرب وهي مقر آل سعود، والبجيري إلى الشرق منه، وفيها مسكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١]. ويبدو أن كورانسيه تحدث عن هذين الحيين فقط لشهرتهما نتيجة ارتباطهما بأهم رموز الدرعية المتمثلة في آل سعود حكامها، وآل الشيخ أصحاب الدعوة القائمة على أساسها هذه الدولة، لكن هذا لا ينفي بالضرورة وجود أحياء أخرى في الدرعية في تلك الحقبة لم يذكرها كورانسيه.

ولعل أشهر الروايات التي وصفت الدرعية وأدقها ـ وإن كانت قد حملت بعض المغالطات ـ رواية مانجان التي ذكر فيها أن الدرعية تضم «خمس مدن صغيرة يحيط بكل منها سور»، وعلى الرغم من أنه ذكر أسماء أربعة منها فقط وهي غصيبة والطريف والسهل و(القصيرين)[٢]، وهذا الأخير غير معروف إلا إذا كان يقصد به قري قصير في شمال الدرعية، ويبدو أنه يقصده بالفعل؛ إذ إنه وصف هذا الحي بضعف تحصيناته وهجر أهله له إلى مناطق أخرى من الدرعية في أثناء حصارها[٣]. وبالفعل ففي أحداث الحصار بعد ذلك نرى الجيش المصري بعد عدة انتصارات حاسمة يتقدم إلى هذه المنطقة ويتخذها مقراً له نتيجة لخلوها من السكان. أما الحي الخامس فلم يذكر مانجان اسمه.

وعلى كل حال فإن أهم ما يوضح معالم الدرعية في تلك الحقبة هو واقع أرضها والآثار الباقية فيها، إضافة إلى ما يعرفه أهلها عنها. فقد امتد

---

(١) لويس دو كورانسيه، الوهابيون، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٧٩.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦١.

(٣) المصدر السابق، ص١٦١.

العمران في الدرعية في منطقتين متباينتين. بحيث قامت عدة مواقع سكنية وزراعية في بطن الوادي وروافده، ومن أهم هذه المناطق: العلب، وسمحة، وقري قصير، وغبيراء، والسليماني، ومشرفة، وقليقل، وكتلة، والرفايع، وخيس نصر الله، والسهل، والطوالع[١]. في حين قامت مناطق سكنية أخرى على جانبي الوادي في المرتفعات المجاورة، مثلت أهم أحياء الدرعية، وهي: الطريف، وغصيبة، وسمحان، والظهرة، وناظرة، والقرين. ويلحظ أن أغلب هذه الأحياء تقع في الجهة الشرقية للوادي وذلك لانبساط الأرض فيها. في حين أن المنطقة الغربية منه تحفها المرتفعات الجبلية وكثرة الروافد.

وسنتطرق بقليل من التفصيل لأهم أحياء الدرعية[٢]، وهي كالآتي:

ـ الطريف:

يقع على رأس جبل مثلث جنوب غرب الدرعية على الضفة الغربية لوادي حنيفة، وهو مقر مؤسسات الدولة، ففيه قصر الحكم وبيت المال إضافة إلى قصور آل سعود، وهو محاط بسور ضخم محكم التحصين وبجانبه حي الموالي أو «العبيد» الذي يقع إلى الغرب منه[٣].

ـ السهل:

أرى أن هذا المصطلح يحمل معنىً جغرافياً لمنطقة بطن الوادي الواقعة في جنوب الدرعية أكثر من كونه اسماً لحي مستقل في الدرعية، فقد ضمت هذه المنطقة عدة أحياء صغيرة هي المنازل التي ذكرها ابن بشر

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٤٠٢.

(٢) انظر الخريطة رقم ٣.

(٣) ابن خميس، الدرعية، ص٤٠٥، والناصر، أحياء الدرعية، ص٧، والأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٤٢ ـ ٤٣.

عندما أشار إلى أهل السهل في أثناء الحديث عن حروب الدرعية مشيراً إلى «أهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح»[١]، وقد أشار مانجان إلى هذه المنطقة بصفتها حياً من أحياء الدرعية الخمسة التي أشار إليها وذكرناها سابقاً، ولعل هذا يفسر عدم ذكره حي البجيري مع أنه من أشهر أحياء الدرعية؛ وذلك لأنه عدّه جزءاً من منطقة السهل.

ويقع حي البجيري أهم أحياء السهل في سفح الوادي على الضفة الشرقية من مجراه إلى الشرق من حي الطريف، وقد كان البجيري من أهم الأحياء في الدرعية كلها على الرغم من صغر مساحته؛ لأن فيه سكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجامعه وسكن أبنائه ومدارسهم التي تستقطب طلاب العلم من جميع الجهات، وهذا جعل حي البجيري أهم مراكز النشاط العلمي والديني في الدرعية[٢].

ـ غصيبة:

يقع هذا الحي على مرتفع شاهق من سفح وادي حنيفة في مثلث محصور بين وادي حنيفة من الغرب وشعيب قليقل من الجنوب الشرقي، ويحيط بهذا الحي سور كبير محصن، وهو مقر آل دغيثر[٣].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٥. وقد أيد ناصر بن عبدالله الدخيل ـ أحد كبار السن في الدرعية ـ وجهة نظري هذه مشيراً إلى أن السهل بالفعل مصطلح لمنطقة تضم عدداً من الأحياء، أهمها ما ذكره ابن بشر سابقاً. وذلك في مقابلة معه بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٥م.

(٢) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص٦٣، والأطلس التاريخي، ص٤٢ ـ ٤٣.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٤ ـ ١٨(H.H.19529-e) بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٣٣هـ، وابن خميس، «الدرعية معالم وأطلال»، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ، ص١٦ ـ ٢١، وابن خميس، الدرعية، ص٤٠٥، والأطلس التاريخي، ص٤٢ ـ ٤٣، وآل دغيثر أسرة من أعيان الدرعية من آل يزيد من بني حنيفة من وائل. حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر، ج١، ص٢٣٥.

- سمحان:

يقع إلى الجنوب من حي غصيبة، على مرتفع يطل على وادي حنيفة من الغرب وشعيب قليقل من الشمال وشعيب قري عمران من الجنوب، وهو محاط بسور ضخم ومحصن من جميع الجهات، ويعد أكبر أحياء الدرعية مساحةً؛ وذلك لامتداد الأرض في هذه المنطقة بين شعيبي قليقل وقري عمران[١].

- ظهرة سمحان:

يقع على مثلث جبل عند ملتقى مجرى الوادي الرئيس مع رافد قري عمران في أقصى الجنوب الغربي لسمحان، وهو محصن بسور مستقل وله بوابة ضخمة، وهو مقر سكنى بعض الأعيان، وقد سكنت فيه بعض الأسر القادمة من الشعراء، وسمي قصرها باسم الشعراء، وهو من القصور المشهورة في الدرعية[٢].

- حي الطرفية:

ويقع شمال ظهرة سمحان على الضفة الشرقية لوادي حنيفة، وهو حي أسرة آل سويلم المعروفة في الدرعية[٣].

- حي العودة:

يقع في الناحية الغربية لبطن الوادي مقابل حي غصيبة، وهو من أقدم أحياء الدرعية[٤].

---

(١) الأطلس التاريخي، ص٤٢ ـ ٤٣.

(٢) مقابلة مع ناصر بن عبدالله الدخيل ـ أحد كبار السن في الدرعية ـ بتاريخ ٢٦ من ربيع الأول سنة ١٤٢٧هـ، وقد ذكر انه أقيم بهذه المنطقة حي عرف باسم الشعراء نسب إلى من سكنه من أهل الشعراء. ابن خميس، الدرعية، ص٤٠٦، والأطلس التاريخي، ص٤٢ـ٤٣.

(٣) ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، ص١٩، والناصر، أحياء الدرعية، ص ٢١.

(٤) المصدر السابق، ص١٩.

وهناك بعض الأحياء الأخرى في الدرعية التي اندثرت، مثل: ملوي، والحويطة، والظويهرة، وغيرها[١].

من خلال ما سبق نجد أن الدرعية لم تكن وحدة مستقلة محاطة بسور كما هي العادة في بناء البلدان في تلك الحقبة، بل كانت تتكون من عدة وحدات مستقلة مسورة ومحصنة. وقد كان لهذا النمط من التخطيط العمراني الذي فرضته طبيعة الأرض في الدرعية أثر كبير في مواجهة الحصار؛ إذ كان من الصعب على الجيش الغازي أن يحكم حصاره حول كل هذه الأحياء المستقلة والمسورة خصوصاً أن البلدة مستطيلة يتخللها كثير من الشعاب والممرات، ولعل هذا يفسر طول مدة الحصار من جهة، وعدم سقوط الدرعية بصفتها وحدة كاملة من جهة أخرى، إذ نجد أن أحياءها أخذت تسقط واحدة تلو الأخرى، كما سنرى لاحقاً.

المنشآت الدفاعية في الدرعية:

ظهرت الحاجة إلى بناء التحصينات الدفاعية مع بداية استيطان الإنسان في المدن، وذلك حتى يستطيع سكانها الدفاع عن أنفسهم ومدنهم، وقد تطورت أحجام هذه التحصينات وأشكالها، كما تطورت مواد بنائها مع تطور الأسلحة والمعدات الحربية على مر العصور.

وقد تميزت نجد بتحصين بلدانها وقراها تحصيناً جيداً منذ القدم[٢]،

---

(١) ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، ص١٩.

(٢) أشارت عدة مصادر إلى مدى ما امتازت به نجد من بناء الأسوار والأبراج والحصون منذ القدم، ففي وصف الهمداني لعروض نجد كان يشير إلى مستوطناتها بصفة الحصن، وقد عدَّدها ونسبها إلى ساكنيها ومن أهمها حصون الهدار، وحصون بني قشير بالمذارع وحصون بني أبي سمرة من جعدة، وغيرها، كما أشار إلى متانة تحصيناتها وعلوها. فعلى سبيل المثال: تحصينات الهيصمية، حيث ذكر أنها «مدينة حصينة يركض على جدرها أربع من الخيل وجهد الغالي بالسهم أن ينال رأسها». الحسن بن أحمد بن =

وكانت الأسوار والأبراج والقصور والخنادق من أهم المنشآت الدفاعية التي انتشرت في المنطقة، وقد استمرت هذه السمة تغلب على البلدان النجدية حتى العصر الحديث نتيجة للتفكك السياسي والاضطرابات والغزوات التي تتعرض لها المنطقة، وقد وصف موسيل بلدان نجد عامة بأنها محاطة بأسوار عالية غالباً ما تتكون من سورين مزدوجين[(١)].

ومن المرجح أن الدرعية كانت محصنة مثل بقية البلدان النجدية قبل أن تصبح عاصمة للدولة السعودية الأولى، ولكن يبدو أن هذه التحصينات كانت متواضعة مقارنة بتحصيناتها بعد قيام الدولة السعودية فيها وازدهارها، وكانت تعتمد في أغلبها على تسوير المزارع الخاصة حرصاً على حمايتها من هجوم قبائل البدو التي كانت كثيراً ما تهاجم مزارع البلدان لتنهب منها ما تستطيع نهبه من مؤن وأطعمة[(٢)].

لم تؤكد الروايات التاريخية وجود سور عام يحمي البلدة بشكل كامل، ولعل رواية ابن بشر لحادثة غزو سعدون بن محمد بن غرير ـ أمير الأحساء الخالدي ـ العارض سنة ١١٣٣هـ (عام ١٧٢١م) وهجومه على الدرعية، ونهبه بعض البيوت في المناطق الشرقية منها في الظهرة وملوي والسريحة[(٣)] ـ ويبدو أن هذه المناطق كانت في تلك الحقبة مزارع وبساتين نخيل خارج الأحياء السكنية ـ دليل على عدم وجود سور يحيط بالدرعية بكاملها، أو أن هذه المناطق كانت خارج نطاق أسوار البلدة إن وجدت، وهذا يؤكد أن تشييد التحصينات الضخمة التي عرفت في الدرعية لم يتم قبل قيام الدولة السعودية الأولى فيها.

= يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(١) موسيل، آل سعود، ص٥٤.

(٢) أسوار وأبراج الدرعية القديمة، وكالة الآثار والمتاحف، (د.ت) ص١٦.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٣.

ويبدو أن وضع هذه التحصينات لم يتغير في الفترة المبكرة من قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية، إذ كان نشاط الدولة العسكري مقتصراً على البلدان النجدية المجاورة، وكانت أغلب معاركها هجومية بحيث لم تتعرض الدرعية لأي تهديد عسكري قوي يستدعي إنشاء تحصينات جديدة.

ولكن الأمور اختلفت بعد أن زادت إمكانيات الدولة المادية، بحيث تستطيع تحمل نفقات بناء وحراسة تحصينات جديدة. كما أن الدولة دخلت في صراعات مختلفة مع القوى الكبرى المجاورة لنجد فبدأت تكثف جهودها لبناء التحصينات اللازمة لحمايتها. فقد أدى نجاح الدرعية واتساع نفوذها خارج نجد إلى إثارة بني خالد في الأحساء الذين عدوا ذلك النجاح تهديداً لنفوذهم السياسي في نجد، فشنوا حملة كبيرة على الدرعية سنة ١١٧٢هـ (عام ١٧٥٨م) ونقلوا المدافع والمعدات إلى نجد لحصار الدرعية، وهذا دفع قادة الدرعية إلى إقامة تحصينات قوية وجديدة للدرعية في تلك السنة، فبنى الأمير عبدالعزيز بن محمد باستشارة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب سورين حول الدرعية مدعمين بالأبراج معتمداً على من في الدرعية من أنصار الدعوة[١].

ومع أنه لم يجر أي اختبار لكفاءة هذه الأسوار؛ لأن هجوم بني خالد توقف عند الجبيلة[٢]، ولم تتقدم قواتهم إلى الدرعية في تلك السنة، فإن تحصيناتها صمدت عندما قام بنو خالد بهجوم آخر سنة ١١٧٨هـ (عام ١٧٦٤م) ووصلوا فيه إلى الدرعية، ولكن بعد حصار متقطع لها أُجبر المهاجمون على التراجع دون أن يغنموا شيئاً[٣].

---

(١) ابن غنام، روضة الأفكار، ج٢، ص ٥٤ ـ ٥٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٨٢.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٤ ـ ٧١، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٩٣ ـ ٩٨.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤ ـ ٥٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٨٢.

لم تصل أي قوات معادية إلى أسوار الدرعية بعد هذه الحملة حتى جاءت حملة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ (عام ١٨١٨م). وخلال هذه المدة لم تذكر المصادر شيئاً عن أسوار الدرعية، إلا أنه مما لا شك فيه أن تلك المدة شهدت نمواً سكانياً وعمرانياً كبيراً للدرعية، التي أصبحت تمثل مركزاً سياسياً اقتصادياً ودينياً مهماً في المنطقة، وهذا النمو السياسي والاقتصادي الكبير يستدعي بالضرورة إقامة تحصينات قوية تحمي هذا الكيان أمنياً، سواء من ناحية اقتصادية لحماية أسواق البلد وممتلكات سكانها الذين عرفوا بالثراء في تلك الحقبة، أم من ناحية سياسية لحفظ عاصمة الدولة ضد أي اعتداء.

ومما لا شك فيه أن تعديلات كثيرة قد أدخلت على تحصينات الدرعية خلال تلك الحقبة التي تزيد على نصف قرن، سواء كانت هذه التعديلات نتيجة عوامل الطبيعة العادية، أم نتيجة السيل الجارف الذي هدم بعض مباني الدرعية سنة ١٢١٢هـ (عام ١٧٩٧م)[١]، أو نتيجة تأثر قادتها بما رأوه من تحصينات في البلدان غير النجدية التي استولوا عليها، وهجرة بعض المعماريين من تلك البلدان إليها بعد أن أصبحت قاعدة لدولة كبيرة[٢].

ويبدو أن أكثر هذه التحصينات القوية للدرعية قد بُنيت في عهد الإمام سعود، كما يتضح ذلك في رسالة من إبراهيم باشا إلى والده يصف فيها أعمال الإمام سعود في تحصين الدرعية فذكر «أن والد عبدالله قد بنى لكل واحد من أبنائه في وادي الدرعية البساتين والحصون... وأحاط الدرعية نفسها بسور منيع مما جعلها في متانة واستحكام عظيم»[٣]. ولكن

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٣٦.

(٢) أسوار وأبراج الدرعية القديمة، ص١٧.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٧ (H.H.19604) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٣٣هـ.

هذا لا يمنع أن يكون الإمام عبدالله قد عمل على بناء أسوار جديدة وتقوية القديم منها في إطار استعداداته لمواجهة حصار إبراهيم باشا، بل إنه استمر في بناء أسوار جديدة وحفر الخنادق وأقام المتاريس في أثناء الحصار أيضاً[(١)].

أما أهم المنشآت الدفاعية في الدرعية فهي:

١ ـ الأسوار:

تعد الأسوار من أهم أساليب الدفاع عن أي موقع، بحيث تكون ساتراً وقائياً من ضربات العدو، وحاجزاً معمارياً يمنع تقدمه إلى داخل البلد، هذا من ناحية الدفاع السلبي[(٢)]، أما ما يخص الدفاع الإيجابي[(٣)] فإن هذه الأسوار تشتمل على خط دفاعي أو أكثر مزود بأبراج ومرام للمدافع والبنادق وسقاطات، وهذا يجعل فرصة الدفاع الإيجابي فيها قوية وأساسية.

وتعد الأسوار أهم المنشآت الدفاعية التي أنشأها السعوديون في الدرعية، إذ يحيط بالدرعية سور عام يبلغ طوله نحو (١٣) كيلاً. ويصف ابن خميس هذا السور فيذكر أنه يمتد من أعلى جبل القرين في الجهة الجنوبية متجهاً نحو الشمال الشرقي فوق الجبل حتى يعترضه شعيب قريوه حيث يبرز منه جناح في طرفه برج لحماية هذا الشعيب، ثم يتجه السور

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٥، وفيسي، الدرعية، ص١٥٤.

(٢) تأمين وقاية البلد أو القوات العسكرية من أخطار العدو بطريقة سلبية أي دون استخدام الأسلحة ومعدات القتال ضده. طلاس، مصطفى، المعجم العسكري الموسوعي، دمشق: مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص٥٤٩.

(٣) تأمين وقاية البلد أو القوات العسكرية باستخدام الأسلحة والمعدات الحربية عن طريق أعمال هجومية محدودة في حال الدفاع لمنع العدو من الاستيلاء على المنطقة المتنازع عليها. طلاس، المعجم العسكري، ج١، ص٥٤٨.

شمالاً ماراً على الظهر المحاذي لحي السهل، ثم يقطع شعيب الشعيبة ويعلو على رأس واقع بين قري عمران والشعيبة، ويبرز منه أيضاً جناح يمتد شرقاً على أعلى جبل قري عمران حتى الرفايع، وفيه أبراج متقابلة شمالية وجنوبية لحماية هذا الشعيب، ثم يقطع السور قري عمران متجهاً شمالاً في محاذاة ظهرة سمحان، ثم يقطع شعيب قليقل ويتجه شمالاً بمحاذاة حي غصيبة والسلماني حتى قري قصير، ويمتد منه جناحان على حافتيه من أعلى الجبل وفيها أبراج لحماية هذا الشعيب، ثم يتجه شمالاً ويقطع الوادي بمحاذاة العودة إلى منطقة سمحة شمال الدرعية، ثم ينعطف غرباً ويقطع وادي حنيفة بمحاذاة شعيب الحريقة ثم يتجه مجنباً جاعلاً حي العودة يساره ماراً بقصر الغياضي، ثم ينحدر ماراً بأسفل شعيب غبيراء ويأخذ مع أسفل شعيب جرار، ويعلو الجبل من هنالك جاعلاً أم السلا والجابرية يساره قاطعاً أسفل شعيب البليدة متجهاً جنوباً جاعلاً شعيب كتلة يساره متجاوزاً شعيب السديرية جاعلاً حي الطريف يساره قاطعاً شعيب صفار إلى أعلى الجبل الذي بينه وبين وادي حنيفة قاطعاً الوادي آخذاً أعلى الجزع الذي يلي أسفل المليبيد، ثم يعلو الجبل الجنوبي، ويتجه شرقاً حتى يلتقي بالقرين[١].

وقد كانت أغلب أحياء الدرعية محاطة بأسوار خاصة، بحيث يصبح كل حي وحدة مستقلة بذاتها[٢]. فحي غصيبة يحيط به سور كبير، إذ يقع هذا الحي على مثلث جبل يفتح على الجانب الشمالي الشرقي منه على منطقة ناظرة، وهذه الجهة محاطة بسور له باب يتوسطه على شكل ملتوٍ بحيث لا يقابل ما هو خارج السور. كما يحيط بحي سمحان سور مستقل له أبراج محكمة ومنفصل عن بقية الأحياء. أما حي الطريف فمحاط بسور

(١) ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤. انظر الخريطة رقم٢.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٥، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٠.

ضخم يعد أضخم أسوار الدرعية ويبلغ طوله نحو كيل ونصف[١].

وقد استخدمت الحجارة والطوب في بناء هذه الأسوار حيث بني السور بكامل ارتفاعه بالحجر مع استخدام قطع الحجارة الصغيرة لاتزان الأحجار الكبيرة وتكسوه طبقة من اللياس طينية.

ويبلغ ارتفاع هذه الأسوار بين (٤ و٦,٥) أمتار في أقصى ارتفاعها، إذ يلحظ أن هذه الأسوار تختلف من حيث الارتفاع والمتانة من منطقة إلى أخرى حسب أهمية المنطقة وطبيعة الأرض فيها، إذ نجد أن سور الطريف كان أقوى هذه الأسوار وأكثرها متانة؛ لأنه يحمي منطقة الحكم في الدرعية[٢].

وقد زودت الأسوار بعدد من العناصر الإيجابية للدفاع، أهمها الأبراج التي تدعم السور من جهة، وتكوِّن مراكز دفاع وحماية للمدافعين من جهة أخرى. وسنتحدث لاحقاً بالتفصيل عن هذه الأبراج.

كما كانت الأسوار مزودة من الداخل بممشى يبلغ عرضه بين مترين ومترين ونصف على ارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار، ويُصعد إلى هذه الممرات بسلالم جانبية من داخل الأسوار، كما زودت هذه الأسوار بفتحات ومرامٍ متعددة للبنادق والمدافع[٣]، وهذا يجعل فرصة الدفاع في هذه الأسوار قوية وإيجابية.

ومن العناصر الإنشائية الأخرى التي عملت في السور لجعله مركز دفاع قوي أن الجزء الأسفل منه بني بطريقة مائلة ملساء يصعب تسلقها.

---

(١) ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٥.

(٢) انظر الصور رقم ٢ ـ ٤ ـ ٥.

(٣) أسوار وأبراج الدرعية القديمة، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ص١٢ ـ ١٣ ـ ٣٤ ـ ٤٢ ـ ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٦. انظر صورة رقم٤.

٢ ـ الأبراج:

البرج بناء مرتفع يمثل عنصراً دفاعياً ملحقاً بسور بلدة أو قلعة أو قصر بحيث يحتل أركانه أو على جانبي البوابات أو يعلو المداخل. ويبنى عادة في أعلى مراكز البناء ويبرز عنه، ويطل على المناطق المجاورة ليكشف الرؤية لمسافات بعيدة، وقد تكون الأبراج منفردة، ولها عدة أشكال ووظائف[١].

وتعد الأبراج من أهم المنشآت الدفاعية التي اهتم أهل الدرعية ببنائها لحماية بلدتهم، وكانت تستخدم في الدفاع الإيجابي بالإضافة إلى وظيفة المراقبة.

وقد قدر عدد الأبراج[٢] الموجودة في الدرعية بنحو ٧٨[٣] برجاً، جزء كبير منها موزع على أسوار الدرعية ويقدر بنحو (٧١) برجاً في حين كانت هناك سبعة أبراج منفردة، سواء داخل الأسوار أم خارجها، فضلاً عن الأبراج المرافقة للقصور والحصون[٤].

---

(١) طلاس، المعجم العسكري، ج٢، ص ١٥٤٧.

(٢) وصف الأبراج من خلال خريطة الدرعية في الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية الذي أعدته دارة الملك عبدالعزيز، وقد اعتمد فيه على مشاهدات وتقارير من وكالة الآثار والمتاحف. الأطلس التاريخي، ص ٩٠، ص ٩١، انظر الخريطة رقم٢، وكذلك مشاهدات شخصية بمساعدة بعض أهالي المنطقة.

(٣) لم تشر المصادر المحلية المعاصرة لأعداد هذه الأبراج، كما أن الوثائق العثمانية لم تعط أرقاماً محددة لعدد هذه الأبراج، ولكن إبراهيم باشا ذكر في تقرير لوالده أرسله في منتصف شهر شعبان أنه قد استولى حتى ذلك التاريخ على أكثر من (٤٠) برجاً في الدرعية، وهذا الرقم قد يدل على صحة وجود أبراج كثيرة في الدرعية، كما يدل العدد المذكور أعلاه. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٣٣هـ.

(٤) انظر الصور رقم٣ ـ ٦ ـ ٩ ـ ١٠.

ويلحظ في توزيع هذه الأبراج على السور أن أغلبها يتركز في الجهة الشرقية للوادي؛ وذلك لأن أغلب الأحياء السكنية تقع في هذه الجهة، في حين أن الجهة الغربية في أغلبها مزارع باستثناء حي الطريف الذي يقع في أقصى الجنوب الغربي، وفيه عدة أبراج لحمايته خصوصاً في المنطقة المفتوحة غربه حتى شعيب كتلة.

كما يلحظ تركز عدد من الأبراج في السور الجنوبي للدرعية الذي يعدّ مركز حماية متقدماً للطريف خلف الوادي. ولعل بناءها بكثرة في هذه المنطقة نتيجة لحروب الدرعية مع الرياض التي تقع جنوبها والتي استمرت قرابة (٣٠) عاماً.

كما يلحظ بشكل عام أن الأبراج تكثر في المناطق التي توجد فيها انكسارات والتفافات كثيرة في الأسوار، فكلما كان الجدار مستقيماً قلّت أبراجه؛ وذلك لتغطية المنطقة ومراقبتها بشكل جيد.

و كانت الأبراج تقام على نقاط مرتفعة على جانبي مجرى الروافد لسد ثغراتها إذ كان يصعب تسويرها وسد مجرى المياه فيها.

ومن الأبراج المعروفة في الدرعية والموجودة آثارها حتى الآن[١] ما يلي:

- مجموعة أبراج على طول السور من الجهة الشرقية من أقصى الشمال ونزولاً حتى جنوب الدرعية، ومن أشهرها:
  - برج سمحة ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية للسور بالقرب من مزرعة سمحة شمال الدرعية.

---

(١) من المعروف أن إبراهيم باشا هدم أجزاء كبيرة من الدرعية بعد سقوطها، إضافة إلى ما هدم أصلاً في أثناء الحصار والمعارك، فضلاً عما أصاب بعضها من هدم بسبب العوامل الطبيعية أو ما هدم بغرض التوسعة والبناء الحديث من بعض سكان الدرعية.

- ثم برج الرأس، ويقع في زاوية التقاء شعيبي المغيصيبي بالوادي على الضفة الشمالية للشعيب، وفيه عسكرت قوات سعد بن سعود.
- ثم برج سهلة ويقع على الضفة الجنوبية لهذا الشعيب، ثم يليه برج المعانية ثم برج الكليبة ثم برج إبراهيم بن سعود ثم برج عبدالله بن مزروع ثم برج العبقري ويقع في منتصف فتحة شعيب قري قصير.
- ثم برج الحسانية وهو برج منفرد للمراقبة على الضفة الغربية لشعيب قري قصير.
- ثم برج السهبلية وهو برج منفرد خارج أسوار الدرعية في شمال شعيب قري قصير وهو برج مراقبة أيضاً.
- وبرج شديد اللوح في ظهرة ناظرة وهو من الأبراج الكبيرة في هذه المنطقة.
- وبرج سمحان وهو برج كبير يقع في حي سمحان شرق الدرعية.

- مجموعة أبراج في الجهة الجنوبية للدرعية أهمها:
- أبراج القميرية بين شعيب الشعيبة وشعيب قريوه.
- برج العلاجية ويقع على السور في الجهة الجنوبية.
- برج سعود بن عبدالله وهو برج منفرد جنوب الدرعية وهو برج مراقبة.

- أما فيما يخص حي الطريف، فمن أشهر أبراجه:
- برج البريكي ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذا الحي.
- مربعة كبيرة تقع في الزاوية الشمالية الغربية لهذا الحي وتطل على الوادي.

- برج الفتيقة ويقع في الجانب الغربي للوادي حول مصلى العيد.
- برج فيصل ويقع في الجهة الشمالية الغربية للطريف، وقد شيد في موقع إستراتيجي مهم ليؤدي دوره الدفاعي بشكل جيد، وليتحكم في مراقبة كل أجزاء حي الطريف.

يلاحظ على أبراج الدرعية أن الأبراج الموجودة في الزوايا أكبر من الموجودة على امتداد الأسوار التي تكون في الأغلب للمراقبة وتقوية الأسوار، في حين أن الأبراج الموجودة في الزوايا والبوابات ومداخل البلد يكون عليها حمل مواجهة القتال أكثر، ولذلك تكون أكبر وأقوى حتى إن بعضها بجدار مزدوج زيادة في المتانة والقوة، مثل البرج الذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية للوادي وكان يرابط فيه عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد[1]. وقد زودت هذه الأبراج بكثير من العناصر الإنشائية الحربية التي تساعد على الدفاع، وكان المدافعون يستخدمون فيها وسائل دفاعية مختلفة من بنادق ومدافع وغيرها، فاشتملت هذه الأبراج على عدد من المرامي والفتحات (المزاغل) للرماية والمراقبة.

ولأبراج الدرعية عدة أشكال، فبعضها مربع مثل برج المعانية وبرج الكليبة ومربعة الطريف، وبعضها دائري مثل برج الرأس وبرج الرفايع، وبرج فيصل وغيرها، وبعضها مخروطي الشكل، وهو الأكثر شيوعاً، مثل: برج سهلة وبرج سمحة وبرج العلاجية وبرج البريكي وغيرها. وتنوع أشكالها هذا يعود إلى عدة أسباب، من أهمها: الأسباب الدفاعية؛ إذ نجد أن أكثرها مخروطي الشكل أو دائري حتى يصعب تسلقها على المهاجمين، كما أن هذه الأبراج بنيت في أزمنة مختلفة كان لكل منها طراز معماري مختلف في البناء، كما شارك في بناء هذه الأبراج عدة

---

(١) أسوار وأبراج الدرعية، ص ٧١.

معماريين كل منهم له أسلوبه في البناء الذي يريد أن يتميز به من الآخرين.

٣ ـ الحصون والقلاع والقصور:

الحصن في العربية يعني الموضع المنيع، ويعني أيضاً القلعة؛ فالقلعة هي الحصن المنيع، ويعني أيضاً القصر المنيع[١]، أي أن الحصن والقلعة والقصر مترادفات لاستحكام حربي هو بناء ضخم له سور في الأغلب ومزود بأبراج للمراقبة والدفاع، يبنى في الأغلب في مواقع إستراتيجية في البلد وخصوصاً على سفوح الجبال وفوق التلال إذ يراعى في اختيار مواضع الحصون عادة شروط أهمها العلو والإشراف على ما حولها وذلك للتحكم في الأراضي المحيطة بها[٢].

تميزت القصور في نجد في تلك الحقبة إضافة إلى كونها مقراً للسكن بأنها قلاع حربية، فيلحظ أن كثيراً من القصور كان محمياً بالأبراج ومزوداً بوسائل الدفاع المختلفة من مرام وسقاطات وغيرها[٣]. وقد بني في الدرعية عدد كبير من القلاع والقصور المنيعة من أهمها:

أولاً ـ قصور حي الطريف وقلاعه:

كان حي الطريف برمته أشبه بقلعة محصنة بشكل مستقل في الدرعية، وكانت قصور الطريف إضافة إلى كونها مقراً لسكن الأسرة الحاكمة، وفيها كل مراكز الدولة الإدارية من قصر الحكم وبيت المال وقصر الضيافة

(١) ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩م، مادة حصن، ج٣، ص٢٠٨.

(٢) طلاس، المعجم العسكري، ج٢، ص ١٥٦٥.

(٣) خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، منطقة نجد، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص ٦٧. انظر صورة ٩ ـ ١٠.

وغيرها، تعد من أقوى الحصون الموجودة في الدرعية لضخامة جدرانها وأبراجها[١].

ومن أهم قصور الطريف التي كانت مراكز دفاعية مهمة في أثناء الحصار:

١ ـ قصر سلوى: وهو مقر الحكم في الدرعية، ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية لحي الطريف، ويعد أكبر قصور الدرعية بل قصور نجد بصفة عامة في تلك الحقبة، وهو عدة قصور متصلة عثر على سبع وحدات منها إلى الآن ـ ولعل البحث والتنقيب يكشف عن وحدات أخرى ـ وقد شيد القصر بإتقان ومهارة ودقة في النسب المعمارية، وتعداد في الطوابق لم يكن مألوفاً في نجد في ذلك الوقت، وعلى أيدي فنيين مهرة من المتخصصين في مختلف المهن والحرف من أبناء المنطقة. وقد أكدت الدراسات الأثرية لقصر سلوى بما يحتويه من وحدات متعددة، وما له من ضخامة وعظمة في البناء أنه لم يبن في عهد أمير واحد، وإنما أنشئ على مراحل متعاقبة. وقد زودت هذه القصور بعدة أبراج لحمايتها، فكانت بذلك قلعة حصينة نتيجة متانة بنائها وتزويدها بوسائل الدفاع المختلفة[٢]. وقد جعل أحد قصور سلوى مستودعاً للمؤن والذخائر في أثناء الحصار[٣].

٢ ـ قصر الأمير تركي بن سعود بن عبدالعزيز: ويقع في وسط القصور الشرقية في حي الطريف، وقد دار حوله قتال شديد في أثناء حصار الدرعية في هذه الجهة.

---

(١) انظر الصور رقم ٧ ـ ١١ ـ ١٢.

(٢) امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود، حي الطريف، الدرعية، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ص ١٠ ـ ١١. انظر الصور رقم ٨ ـ ٩ ـ ١٠.

(٣) فيسي، الدرعية، ص ١٤٨.

٣ ـ قصر الأمير ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن: ويقع في الطرف الجنوبي من القصور الشرقية في حي الطريف ويطل على حافة شعيب البريكة، وكان القصر إبان الحصار أحد أهم المراكز الدفاعية في هذه الجهة.

٤ ـ قصر الأمير فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن: ويقع في الطرف الجنوبي الغربي من مجموعة القصور الغربية، ويشرف بواجهته الغربية على وادي حنيفة، ويتكون من دورين وفي أثناء الحصار حُوِّل الدور الأرضي إلى مستودع(١).

٥ ـ قلعة الدريشة: وتعد من أكبر قلاع الدرعية وتشرف على الوادي، وقد بنيت لحماية قصر الإمام عبدالله بن سعود، ويصل بينها وبين القصر ممر مدرج مرصوف بالحجارة يسمى درب فيصل(٢).

ثانياً ـ قصور وحصون متفرقة من الدرعية:

١ ـ قصر غصيبة: وهو قلعة حصينة بناه الإمام سعود بن عبدالعزيز، ويصفه ابن بشر فيذكر أن سعوداً حرص على تحصين هذا القصر فجعل له باباً من حديد(٣)، وقد عده مانجان من أكثر حصون الدرعية منعة وقوة، وأنه يحمي حي غصيبة والطريف ويقع على مرتفع إستراتيجي مهم في هذه المنطقة(٤).

---

(١) هذه المعلومات عن قصر تركي بن سعود وقصر ثنيان بن سعود وقصر فرحان بن سعود أخذت عن تقارير الأثريين عن قصور المنطقة وبالسؤال عن مصدر معلوماتهم ذكروا أن أغلبها روايات شفوية يتناقلها الأهالي في الدرعية.

(٢) ابن خميس، معالم وأطلال الدرعية، ص ١٨.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٥.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٠، ص ١٦١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٩.

ولا يعرف سبب لبناء الإمام سعود هذا القصر خارج حي الطريف، ولكن ربما اتخذه الإمام مسكناً آخر للراحة إبان ازدهار الدولة، أو ليجعل منه حصناً منيعاً يلتجئ إليه وقت المحن، وهذا ما فعله أحفاده من بعده في أثناء حصار الدرعية[١] كما سنرى لاحقاً. ويبدو أن هذا القصر كان كبير الحجم وكثير الغرف وجيد التهوية، لذلك قام إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية بنقل المرضى والجرحى من جيشه إليه[٢].

٢ ـ قصر الغياضي: وهو قصر الأمير ناصر بن سعود بن عبدالعزيز ويقع على ضفة الوادي الغربية بأعلى الجبل فوق حي العودة، وقد شهد هذا القصر معارك مهمة في حصار الدرعية[٣].

٣ ـ قصر البليدة: ويقع غرب الدرعية في شعيب البليدة، وتوجد فيه أبراج حصينة، وكانت هذه المنطقة مسرحاً لمعارك ضارية أيضاً بين أهل الدرعية وجيش إبراهيم باشا[٤].

- حصن الرفيعة: ويعد من أكبر الحصون التي تقع شرقي الدرعية على الضفة الشمالية لشعيب قري عمران، وحصلت حوله معارك كبيرة في أثناء الحصار[٥].

- حصن قري عمران: وهذا الحصن يلي حصن الرفيعة، وقد وقع عنده كثير من المعارك في أثناء الحصار أيضاً[٦].

---

(١) المطوع، مجتمع الدرعية، ص ٤٨.
(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨١.
(٣) ابن خميس، معالم وأطلال الدرعية، ص ١٩.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩.
(٥) العبداللطيف، عبدالرحمن بن صالح، من أصالة الماضي العريق والحاضر المجيد للدرعية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٥٠.
(٦) العبداللطيف، من أصالة الماضي، ص ٥٧.

- قصر الشعراء: يقع هذا القصر في الجنوب الغربي من ظهرة سمحان، ويشرف على بساتين ونخيل المنطقة من جهة الجنوب(١).

هذا ما كان عن المنشآت الدفاعية الدائمة، أما المنشآت الدفاعية المؤقتة، وهي المحاجي والمتاريس التي ذكرها ابن بشر(٢)، أو ما يسمى بالردوم وهي مواقع دفاعية متفرقة أقامها المدافعون؛ وذلك بتجميع التراب فيما يشبه التلال الصغيرة، أو بناء جدران من الحجارة للاتقاء بها من قذائف العدو. وقد ساعد أهل الدرعية على إقامة هذه المحاجي، حتى في أثناء الحصار والمعارك وتغير مراكز دفاعهم باستمرار، توافر كميات كبيرة من المحاجر التي تستخرج منها الحجارة اللازمة للبناء في الدرعية، وكان من الخصائص الجيولوجية لتلك المحاجر أنها تحتوي على رواسب شقفية أو طبقات من الحجارة بالمنحدرات الصخرية للوادي وكان هذا يسهل عملية النقل وتكوين الحجارة للبناء بسهولة(٣).

الاستعدادات الأخيرة لمواجهة الحصار:

وتتمثل في ترتيب قوات الدفاع التي قام بها الإمام عبدالله. ويعد ابن بشر المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذه الترتيبات، فذكر أن الإمام عبدالله قسَّم قوات الدرعية إلى عدة فرق، ووزعها في نقاط دفاعية مختلفة رأى أهميتها الإستراتيجية في مواجهة العدو(٤) على الشكل الآتي:

- القيادة العامة:

عسكر الإمام عبدالله ومعه آل الشيخ وعدد من الأعيان والرؤساء في

(١) ابن خميس، الدرعية، ص٤٠٦، والناصر، أحياء الدرعية، ص١٩.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.
(٣) سبالة موضي، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ص ١٦.
(٤) انظر خريطة رقم ٤.

المنطقة بين بابي سمحان وباب الظهرة شرق الوادي، وكان معهم عدد من المدافع الكبار[١].

- **قوات شمال الدرعية:**

- قوات من أهل الدرعية وغيرهم بقيادة فيصل بن سعود ومعه أخواه إبراهيم وفهد تركزت في بطن الوادي عند نخل سمحة، في مواجهة معسكر إبراهيم باشا، وكان لديهم ثلاثة مدافع.
- قوات من أهل الحريق وغيرهم بقيادة تركي بن عبدالله الهزاني، متقدمة في بطن الوادي خارج الأسوار بين معسكر إبراهيم باشا وقوات فيصل بن سعود.

- **قوات شرق الدرعية:**

- قوات من أهل الدرعية وغيرهم بقيادة سعد بن سعود وأخيه تركي، في الجانب الشمالي يمين الوادي على جانب شعيب المغيصيبي.
- قوات من أهل منفوحة، بقيادة عبدالله بن مزروع، شمال قوات سعد وتركي.
- قوات متفرقة بقيادة عدد من آل دغيثر وغيرهم موزعون في عدة أبراج داخل السور حتى باب سمحان وعندهم عدة مدافع.
- قوات من أهل الدرعية بقيادة فهد بن عبدالله، ومن أهل سدير بقيادة عبدالله بن أحمد العريني، متركزين في شعيب قري عمران عند نخل الرفيعة، وعندهم مدفع واحد.

- **قوات جنوب الدرعية:**

- عدد من أهل الدرعية من شيوخها وممن ليس لديهم شدة في القتال، متفرقون في عدة أبراج، وعند كل برج مدفع واحد.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٦.

- قوات من عدة بلدان نجدية بقيادة سعود بن عبدالله بن محمد، في بطن الوادي قرب القرين جنوب الدرعية.

- قوات غرب الدرعية:

- قوات من أهل الدرعية وأهل الوشم وغيرهم بقيادة عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد، في برج على الجهة اليسرى للوادي شمالاً بجانب قوات فيصل بن سعود عند نخل سمحة.
- قوات من أهل الدرعية وغيرهم، بقيادة عمر بن سعود، على جانب شعيب الحريقة.
- قوات من أهل الدرعية وغيرهم بقيادة حسن بن سعود، تتركز إلى الغرب من قوات عمر على جانب شعيب الحريقة.
- قوات من أهل الدرعية بقيادة تركي بن عبدالله بن محمد وأخيه زيد، في المنطقة بين شعيب الحريقة وشعيب غبيراء.
- قوات من المماليك وغيرهم بقيادة مملوك الإمام سعود فرج الحربي، في منطقة متوسطة بين شعيب الحريقة وشعيب غبيراء جنوب قوات تركي.
- قوات من أهل الدرعية بقيادة فهد بن تركي بن عبدالله ومحمد بن حسن بن مشاري، في فرع شعيب غبيراء.
- قوات من أهل الدرعية وغيرهم بقيادة مشاري بن سعود، عند مسجد العيد على رأس الجبل غرب الطريف[١].

من خلال توزيع القوات السابق يلحظ:

- أن أغلب القيادات التي كانت على رأس هذه الفرق هي من آل

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩.

سعود، إضافة إلى عدد من أشد المخلصين للدولة؛ وذلك لأنهم أحرص الناس على التفاني في الدفاع عن الدرعية.

- أن الإمام عبدالله أقام معسكره خارج حي الطريف في منطقة حصينة شرق الوادي، وذلك ليكون أقرب إلى مسرح العمليات العسكرية؛ لأن الطريف كان في أقصى الجنوب الغربي من الدرعية في منطقة بعيدة نسبياً.

- أن المصدر لم يعط أرقاماً محددة لأعداد المقاتلين في الفرق، ولكن من الواضح أن العدد الأكبر من القوات تركز في نقاط الدفاع الشمالية والشمالية الغربية نتيجة لتوقع هجوم إبراهيم باشا من جهة الشمال، وبالفعل ركز إبراهيم باشا هجومه في تلك المناطق كما سنرى لاحقاً.

- أن الإمام عبدالله وزع قواته بحيث أحاط جميع جهات الدرعية، مع أنه من المتوقع أن يكون هجوم إبراهيم باشا من الشمال، ولكنه وضع قوات في المناطق الجنوبية تحسباً لأي هجوم أو التفاف غير متوقع من إبراهيم باشا، أو أي هجوم من البلدان الواقعة جنوب الدرعية، وهذا ما يدل عليه ظاهر كلام ابن بشر بأنه لم يكن على القوات الموجودة أسفل الدرعية شدة قتال، وإنما عليهم حفظ المنطقة فقط[١]. وهذا ما دفعه إلى أن يجعل شيوخ الدرعية ومن ليس له قدرة كبيرة على القتال في تلك الجهات.

كما يلحظ في توزيع القوات أن جميع الفرق الموجودة كانت تضم عدداً من أهل الدرعية، حتى وإن كانت فرقاً من أهل البلدان النجدية

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٨.

الأخرى، وقد أراد الإمام من ذلك أن يفرق أعداداً من أهل الدرعية في كل جهة؛ لأنهم أعلم ببلدتهم وطرقها، ويستطيعون أن يساعدوا غيرهم من أهل البلدان الأخرى على تحركاتهم في حال اضطروا إلى الخروج من مواقعهم.



الفصل الثالث

معارك الدرعية وسقوطها

- حصار الدرعية.
- معارك الدرعية.
- سقوط الدرعية واتفاقيات الصلح.
- أوضاع الدرعية وقت الحصار.
- دور ولاة الدولة العثمانية في بغداد والشام والحجاز في حصار الدرعية.
- موقف حاضرة نجد وباديتها من حصار الدرعية.
- موقف القوى المجاورة لنجد من حصار الدرعية.
- موقف القوى العالمية من حصار الدرعية وسقوطها.
- عوامل سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى.
- نتائج سقوط الدرعية.



قُسمت حملة إبراهيم باشا في هذا الكتاب ـ كما ذكرنا سابقاً ـ إلى عدة مراحل، ابتداءً من استعداداتها ووصولها إلى شبه الجزيرة العربية واختراقها نجداً حتى وصولها إلى ضرما، وانتهاءً بحصارها الدرعية وسقوطها. وقد ناقش الفصل الأول المراحل الأولى لهذه الحملة، في حين ناقش الفصل الثاني تحصينات الدرعية وتجهيزاتها الدفاعية لمواجهة حملة إبراهيم باشا، وسيناقش هذا الفصل المرحلة النهائية لهذه الحملة والمتمثلة في حصار الدرعية وسقوطها.

وصول حملة إبراهيم باشا إلى الدرعية:

بقيت الحملة في ضرما بعد سقوطها في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ (٢٤ فبراير عام ١٨١٨م) مدة[1] تزودت خلالها بكثير من المؤن والذخائر

(١) حسب ما أورد مانجان من تواريخ تحرك الحملة أشار إلى أن الحملة تأخرت في ضرما ما يقارب الشهر ولم تتحرك إلا في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ (٢٢ مارس عام ١٨١٨م). مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٩، وهذا يخالف ما اتفقت عليه الوثائق العثمانية والمصادر المحلية المعاصرة التي تشير إلى أن مدة تحرك الحملة منذ انتهائها من ضرما حتى وصولها إلى الملقا على مشارف الدرعية لا تتجاوز أكثر من أسبوعين. دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٢٠٨ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ والوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧.

التي نهبتها من هذه البلدة[١]، ولم تتحرك مباشرة إلى الدرعية؛ وذلك لسوء الأحوال الجوية؛ إذ تعرضت المنطقة لعواصف وأمطار غزيرة عرقلت سير الحملة[٢].

بعد ذلك تحركت قوات إبراهيم باشا من ضرما باتجاه الدرعية، متخذة الطريق الشمالي عبر شعيب الحيسية حتى وصلت إلى وادي حنيفة. وقد كان من الطبيعي أن تأخذ الحملة هذا الطريق للدخول إلى الدرعية نتيجة لأن جبال طويق كانت تفصل بين ضرما والدرعية، وكان طريق الحيسية أكثر الطرق تمهيداً وأماناً؛ لأنه طريق مرور قوافل الحج القادمة من الشرق منذ القدم، ويقال: إن هذا الطريق هو الذي دخلت منه جيوش خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في حروب الردة لقتال مسيلمة الكذاب[٣].

وقد مرت الحملة في طريقها على بلدتي العيينة والجبيلة، ثم سارت على طول الوادي حتى وصلت في أول جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ (٩ مارس عام ١٨١٨م) إلى الملقا[٤] على بعد ساعة شمال الدرعية حيث عسكرت الحملة هناك[٥].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٦٨، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥، ج١، ص١١٨.

(٤) الملقا: هو اسم لمكان التقاء وادي حنيفة من الشمال ووادي العمارية من الغرب وقري الملقا من الشرق حيث تجتمع هذه الأودية الثلاثة مارةً بالعلب ثم العودة ثم الدرعية ثم عرقة فالرياض وهكذا، وكان فيه نخل لعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦، وابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٣٨٩.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٦، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢. ذكر مانجان أن إبراهيم باشا عسكر في العيينة. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٩، كما ذكر لوريمر مثل ذلك. الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٧٥، وبذلك =

وفي اليوم التالي خرج إبراهيم باشا بنفسه على رأس (٨٠٠) فارس ومعه مدفع واحد[١] في دورية استطلاعية، هدفها مسح المنطقة والحصول على معلومات عن تحصينات العدو وطبيعة الأرض، فضلاً عن الاستطلاع الهندسي الهادف إلى الحصول على معلومات عن توافر المواد المحلية التي يمكن استعمالها لتأمين النشاط القتالي للقوات من بناء المتاريس والمعاقل وإعداد المخيمات وغيرها، كما هدفت هذه الدورية الاستطلاعية إلى اختيار المكان المناسب لإقامة المعسكر العام للحملة وأماكن توزيع القوات. وقد اقتربت هذه الدورية من المواقع الأمامية لدفاعات الدرعية حيث اشتبكت مع القوات السعودية المرابطة فيها، وقد قتل عدة رجال من الطرفين، ثم رجعت قوات إبراهيم باشا إلى معسكرها في الملقا[٢].

كانت تلك أولى معارك الدرعية مع حملة إبراهيم باشا، ويبدو أنه قصد من وراء هذه المناوشات الأولية مع قوات الدرعية جس نبض هذه القوات ومدى استعدادها لقتاله، ومعرفة نقاط تركزها واستحكاماتها الأمامية استعداداً لإقامة مراكز هجومه في مقابلها.

حصار الدرعية:

وجد إبراهيم باشا نفسه أمام خيارين عسكريين بعد وصوله الدرعية، فإما أن يقوم بعملية اقتحام مباشر للبلدة وإما أن يحاصرها ويُضيِّق على أهلها؟

= انفردا بذكر هذا الخبر الذي لم تشر إليه الوثائق العثمانية أو المصادر المحلية التي كانت أقرب إلى الأحداث، وذكرت فقط مروره على العيينة وإقامة معسكره الأول بالملقا.

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٦٨.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٠، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٦٨.

لقد رأينا سابقاً حجم الاستعدادات والتحصينات التي أقامها الإمام عبدالله للدفاع عن الدرعية، وهذا جعلها قلعة حصينة من الصعب اختراقها إلا بجيوش كبيرة تفوق قوات إبراهيم باشا بكثير، لذلك لجأ إبراهيم باشا إلى اتخاذ أسلوب الحصار لتحقيق هدفه في السيطرة على الدرعية. وقد أوضح إبراهيم باشا ذلك في إحدى رسائله لوالده بعد أن شرح بشكل مفصل تحصينات الدرعية، ثم قال: « لذلك رأينا أنه إذا ما اتجهنا إليهم مباشرة فلن تحدث الفائدة المرجوة، ولذلك حاصرتهم وضيَّقت عليهم من كل جانب، وهكذا ما إن يصل المدد بفضله تعالى حتى نقوم كلنا دفعة واحدة بالهجوم العام »(١).

تحرك إبراهيم باشا بجميع قواته من الملقا في اليوم الثالث من جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ (١١ مارس عام ١٨١٨م)(٢) بعد أن أعد الخطط العسكرية المناسبة لحصار الدرعية مستعيناً في ذلك بمستشاره الفرنسي فيسيير(٣)، وعندما وصل إلى منطقة العلب(٤) اتخذها مقراً عاماً لقيادته، وبدأ بتنفيذ خططه العسكرية(٥).

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ ـ ٢٧ (H.H.19604) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) ذكر مانجان أن تقدم إبراهيم باشا إلى الدرعية كان في ٢٩ جمادى الأولى (٦ إبريل). مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٠، وهو تاريخ متأخر عما ذكرته الوثائق العثمانية والمصادر المحلية التي كانت أقرب إلى الصواب لاتفاقها واتصالها المباشر بالحملة.

(٣) فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، ص٤٠٩، والرافعي،عصر محمد علي، ص١٤٧، والبطريق، ذكرى البطل، ص١٦.

(٤) العلب، منطقة من مناطق الدرعية تقع في شمالها وفيها نخل لفيصل بن سعود بن عبدالعزيز. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧، وابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص١٧٣.

(٥) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى =

وكانت خطط إبراهيم باشا العسكرية لضرب الحصار تتركز في محورين رئيسين هما:

١ ـ إقامة المنشآت العسكرية اللازمة لضرب الحصار:

ويعد هذا المحور من التجهيزات العسكرية من ضروريات عملية الحصار، و قد وكل إبراهيم باشا هذه المهمة إلى المهندس فيسيير الضابط الفرنسي المرافق لحملته[١] الذي عمل على إنشاء منظومة من المنشآت الهندسية والحواجز الخاصة لضرب الحصار، فأنشأ متاريس دفاعية في عدة مواضع متسلسلة لتتركز فيها القوات، وحفر خنادق دفاعية لتكون ملاجئ لحماية الجنود في حال القصف المضاد من قوات الدرعية، أو لتكون ملاجئ لآلات القتال ومعداته، إضافة إلى إقامة معاقل خاصة لمراكز القيادة، كما أقام مرابض لنصب بطاريات المدافع استعداداً لبدء الهجوم على أسوار الدرعية، فضلاً عن إقامة مستودعات خاصة للذخيرة والمعدات[٢].

٢ ـ توزيع القوات[٣]:

كانت الدرعية بلدة محصنة بشكل جيد، ومقسمة عدة أقسام يحيط

= الأولى سنة ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٥/ ١ ـ ٢٠٨ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٥/ ١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢.

(١) الرافعي، عصر محمد علي، ص١٤٧، والبطريق، ذكرى البطل، ص١٦.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم٥/ ١ ـ ٢٠٨ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة رقم٥/ ١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٢.

(٣) انظر الخريطة رقم ٥.

بكل منها سور خاص، وكانت البلدة متسعة الأرجاء مستطيلة بحيث يزيد محيطها على (١٢) كيلاً، وقد قدر إبراهيم باشا بعد أن اقترب منها ضخامة القوة التي يحتاج إليها لإحكام الحصار عليها، وقد قدرها بعضهم بما يقارب (٢٥٠٠٠) مقاتل[١] أي ما يعادل أربعة إلى خمسة أضعاف العدد الفعلي لجيش إبراهيم باشا.

في ظل هذه الظروف عمد إبراهيم باشا إلى اتخاذ إستراتيجية مختلفة في الحصار تقوم على أساس شق طريقه عبر الوادي بحيث يستولي على أحياء الدرعية القائمة على جانبيه الواحدة تلو الأخرى إلى أن تسقط البلدة جميعها في يده[٢]. وبناء على هذه الخطة عمل على تقسيم قواته إلى ثلاثة أقسام رئيسة: قوة مركزية بقيادته تتقدم في بطن الوادي، وجناحان على جانبي الوادي لضرب تحصينات المدافعين[٣].

وقد نشر هذه القوات أرتالاً متفرقة في مقابل عدد من قوات الدرعية المتركزة في نقاط إستراتيجية دفاعية داخل أسوار الدرعية وخارجها، وهي مرتبة كالآتي:

أ ـ قوات الوسط: حيث عسكر إبراهيم باشا وحرسه الخاص وعدد من عساكره في بطن الوادي، في مقابل قوات فيصل بن سعود وأخويه إبراهيم وفهد، إضافة إلى قوة تركي الهزاني المتقدمة في الوادي أمام قوات الباشا الرئيسة[٤]. ويبدو أن مهمة هذه القوات ـ التي تتكون في الأغلب من حرس إبراهيم باشا الخاص (الخاصكية) ـ

---

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٠، والبطريق، ذكرى البطل، ص١٦.

(٢) فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٤٠٩، وفيسي، الدرعية، ص١٥٢.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧، وفيسي، الدرعية، ص١٥٢.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

حراسة مجرى الوادي حتى لا يتسلل أحد عن طريقه بصفته الطريق الرئيس للبلدة[١].

ب ـ الجناح الأيمن شرق الوادي: كانت قوات هذا الجناح تحت قيادة أوزون علي[٢]، وقد وزعت في هذه الجهة على الشكل الآتي:

- في الجانب الشمالي شرق الوادي في المرتفعات الشرقية تركزت عدة فرق عسكرية في مواجهة قوات سعد بن سعود وأخيه تركي، وأخرى في مواجهة قوات عبدالله بن مزروع.

- قوات متفرقة على طول المرتفعات الشرقية، ابتداء من شعيب المغيصيبي إلى باب سمحان في مواجهة قوات الدرعية المتفرقة في تلك المنطقة في عدة نقاط دفاعية، وكانت بقيادة عدد من كبار الدرعية من آل دغيثر وغيرهم.

- قوات في مواجهة قوات فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز المتركزة في قري عمران عند نخيل الرفيعة في أسفل الدرعية من جهة الشرق[٣].

جـ ـ الجناح الأيسر غرب الوادي: كانت قوات هذا الجناح بقيادة رشوان أغا، وتتكون من الفرسان المغاربة والبدو المصريين في الأغلب، وكانت مهمتها الاستيلاء على تخوم الصحراء المجاورة ومنع مجموعات المدافعين الموزعة في هذه المنطقة من الهرب أو القيام بمناورات غير متوقعة تقع فيها قوات إبراهيم باشا بين نارين[٤]. وهي موزعة وفق الآتي:

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٢.
(٢) فيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٧.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٨.
(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

- قوات متفرقة على الضفة الشمالية لشعيب الحريقة في مواجهة قوات عمر بن سعود وقوات حسن بن سعود.
- قوات متفرقة في المنطقة بين شعيب الحريقة وشعيب غبيراء، في مواجهة قوات تركي بن عبدالله وأخيه زيد، وقوات فرج الحربي.
- فرقة في مواجهة قوات فهد بن تركي بن عبدالله ومحمد بن حسن ابن مشاري، في فرع شعيب غبيراء[١].

أما معسكر الإمام عبدالله عند باب سمحان فلم تكن أمامه قوات عثمانية؛ لأنه داخل البلد ومحاط بسور داخلي وخارجي.

ويلحظ من خلال التوزيع السابق أن الدرعية لم تُحط بالعساكر العثمانية من جميع الجهات بحيث لم تحاصر عدة جهات هي:

- الجهة الجنوبية الغربية من الدرعية، ولكن بالنظر إلى طبيعة الأرض في هذه المنطقة يتضح أن وعورة الأرض كانت سبباً في عدم تركز قوات في هذه المنطقة؛ لأنها محمية بشكل طبيعي، وهذا جعل إبراهيم باشا يتجنب محاصرتها لصعوبة اختراق هذه المنطقة، فضلاً عن السور الذي يحمي أطراف البلد من هذه الجهة.
- الجهة الجنوبية من الدرعية، على الرغم من وجود قوات سعودية فيها فإنها لم تُحاصر؛ وذلك لأن قوات إبراهيم باشا كانت أقل بكثير من أن تطوق الدرعية برمتها.

معارك الدرعية:

استمر حصار إبراهيم باشا للدرعية ستة أشهر وخمسة أيام[٢] حصل

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٩.

(٢) من ٣ جمادى الأولى إلى ٨ من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (من ١١ مارس إلى ٩ سبتمبر عام ١٨١٨م).

فيها عدد من المعارك والمناوشات العسكرية حتى قيل: إن إطلاق النار لم يتوقف بين الطرفين يوماً واحداً[١].

وقد مر هذا الحصار بعدة مراحل يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل رئيسة وذلك للمتغيرات أو النتائج التي حققتها كل مرحلة بصفتها نقطة فاصلة في أحداث الحصار[٢]، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى[٣] (٣جمادى الأولى ـ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ (١١مارس ـ ١٣ أبريل عام ١٨١٨م):

وتبدأ هذه المرحلة من تركز إبراهيم باشا في العلب حتى تقدمه إلى قري قصير، فقد بدأت المناوشات العسكرية بين الطرفين في اليوم الرابع من جمادى الأولى عند وصول قوات إبراهيم باشا إلى الدرعية،إذ بدأ السعوديون بإطلاق النيران مباشرة على هذه القوات في أثناء تجهيزهم متاريسهم ودفاعاتهم مستخدمين ثمانية إلى عشرة مدافع في محاولة لعرقلة تعسكرهم. وقد استمرت هذه الهجمات نحو خمسة أيام، ولكن هذه المحاولة لم تنجح، واستطاعت قوات إبراهيم باشا أن تنتشر وتقيم الحصار حول الدرعية[٤].

ويذكر مانجان أن فيصل بن سعود هو من خرج لعرقلة قوات إبراهيم باشا ومعه زهاء ألفي رجل، وأنه استولى على بعض المناطق الإستراتيجية

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٧.
(٢) انظر الخريطة رقم١٢.
(٣) انظر الخريطة رقم ٦.
(٤) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥،وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ. الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢(19587H.H) بتاريخ ١٢٣٣هـ.

المهمة ليمنع الأتراك من التركز فيها[١].

ما إن تمكن إبراهيم باشا من نشر قواته حتى بادر هذه المرة إلى الهجوم على دفاعات الدرعية الشمالية مستخدماً المدافع والبنادق، وكانت قوات الدرعية ترد عليهم بالمثل فكانت الحرب سجالاً في هذا الوقت[٢]، وقد استمر هذا الهجوم خمسة أيام أخرى[٣].

وقد قام بين الطرفين خلال هذه المرحلة عدد من المعارك المختلفة بين معارك صغيرة وأخرى كبيرة، ومعارك فاصلة وحاسمة لمصلحة أحد الطرفين، وأخرى كانت سجالاً بينهما[٤]، ومن أشهر هذه المعارك ما يأتي:

ـ معركة المغيصيبي:

جرت هذه الوقعة في اليوم العاشر من وصول إبراهيم باشا إلى العلب في ١٣جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ (٢١ مارس عام ١٨١٨م)، في شعيب المغيصيبي في الجهة الشمالية الشرقية للوادي. وفيها شنت قوات الدرعية الموجودة في هذه المنطقة بقيادة سعد بن سعود هجوماً قوياً على قوات

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٢.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥ وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ. وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٠٨ (H.H19587X) بتاريخ ١٢٣٣هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٠.

(٤) فصلت المصادر بعض أحداث هذه المعارك وعددتها بالاسم، ولعل ابن بشر هو أفضل من فصل في هذه الأحداث إضافة إلى الوثائق العثمانية، وإن لم تكن هذه الوثائق تذكر أسماء لهذه الوقعات، إلا أن تشابه الأحداث مع بعض أحداث المعارك المذكورة عند ابن بشر قد يدل على أسمائها.

إبراهيم باشا المحاصرة لهم، وحصل بينهم قتال عنيف قتل فيه عدة جنود من الطرفين[١].

- معركة الحريقة:

بعد معركة المغيصيبي حصل اشتباك آخر على الضفة الأخرى للوادي في شعيب الحريقة، وقد قتل فيه أيضاً عدد من القتلى بين الطرفين[٢].

- معركة غبيراء:

بعد معركتي المغيصيبي والحريقة حصلت عدة اشتباكات أخرى صغيرة بين الطرفين، وعلى إثر هذه الاشتباكات قرر إبراهيم باشا إيقاف القتال بهذا الأسلوب، والتوجه مباشرة لمهاجمة التحصينات الدفاعية للدرعية، ومحاولة اختراق أسوار البلدة لتحقيق نتائج أكثر سرعة.

ولتحقيق ذلك كان عليه تخطي القوات السعودية المتركزة خارج البلدة في المنطقة بين شعيب الحريقة وشعيب غبيراء، فكانت معركة غبيراء المشهورة في حصار الدرعية.

كانت خطة إبراهيم باشا في هذه المعركة تقضي أن يعزز قواته المرابطة في مواجهة متاريس الدرعية في تلك المنطقة لشن هجوم مكثف على تلك المتاريس، إضافة إلى فرقة الخيالة بقيادة رشوان أغا التي كانت تعد كميناً من الليل في وسط شعيب غبيراء لمفاجأة القوات السعودية من الخلف ومنعها من الهرب في حال انهزامها[٣].

وبالفعل نفذت هذه الخطة بحيث بدأ الهجوم على القوات السعودية في غبيراء عند الفجر، ودفع بعدد من التعزيزات لشغل المدافعين بها،

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص٤٠٠.

(٣) المصدر السابق، ص٤٠٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٢.

وفي تلك الأثناء خرجت القوات التي أبقاها إبراهيم باشا في الشعيب من الخلف ففاجأ ذلك الهجوم القوات السعودية، فتقهقرت بشكل غير منظم إلى أسفل الوادي(١) تاركة مدفعين وكثيراً من الذخائر والمؤن ومستلزمات الإقامة(٢).

وقد نتج من هذه المعركة قتل نحو مئة رجل(٣) من القوات السعودية، منهم عدد من قادة المتاريس من آل سعود وغيرهم، ومنهم: فهد بن تركي ابن عبدالله، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود، وحسن الهزاني وغيرهم(٤).

كما أسفرت هذه الهزيمة عن انشقاق بعض أهل النواحي التابعين للدرعية الذين أثرت هذه الهزيمة في معنوياتهم، ويبدو أنهم خافوا على أنفسهم من بطش إبراهيم باشا فهربوا إليه من الدرعية وزوّدوه ببعض المعلومات عن أوضاع الدرعية(٥).

ـ معركة سمحة:

بانتصار إبراهيم باشا في موقعة غبيراء يكون قد تخطى القوات السعودية التي كانت تمثل خط الدفاع الأمامي للدرعية في المنطقة الشمالية الغربية، إلا أن هناك برجين أقيما في موقعين إستراتيجيين حيث أقيما على

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٠.
(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٣.
(٣) تذكر الوثائق العثمانية أن القتلى زهاء (١٥٠) رجلاً وهو في المجمل عدد مقارب لما ذكره ابن بشر. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/١ ـ ٧٢ (19587H.H) بتاريخ ٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ.
(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٠ ـ ٤٠١، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٦.
(٥) المصدر السابق، ص٤٠١، وفيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٦.

مرتفعين يطلان على الوادي، وقد نصب فيهما مدفعان[١]، ووضعت فيهما قوتان مرابطتان: إحداهما بقيادة عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد، والأخرى بقيادة عمر بن سعود بن عبدالعزيز[٢]، وقد كان هذان الموضعان مصدر قلق لإبراهيم باشا فقرر أن يقضي على القوات الموجودة فيهما ويهدم برجيهما[٣] حتى يتمكن من اقتحام أسوار البلدة والدخول إلى نطاقها. وفي إطار تحقيق ذلك عمل إبراهيم باشا على:

- جمع بعض المشاة حيث سحب من كل موقع عدداً من العساكر وأرسلهم مع فرقة الخيالة بقيادة رشوان أغا إلى أوزون علي على الضفة اليسرى للوادي[٤].

- أمر القوات الموجودة في المواقع الشمالية الشرقية أن يُصعِّدوا الهجمات على مواقع القوات السعودية المواجهة لهم، وقد عمد إلى هذا التكتيك العسكري لفتح عدة جبهات للقتال على السعوديين لتحقيق أحد هدفين: فإما أن تنحاز بعض القوات الموجودة في المواقع الرئيسة المستهدفة للهجوم في هذا الوقت إلى القوات الشمالية الشرقية، وهذا يقلل من أعداد القوات فيها[٥]، وإما أن يمنع ذلك سحب أي مجموعة من عساكر تلك المناطق لإسناد الهدف الرئيس في الهجوم[٦].

- تحرك إبراهيم باشا بنفسه مع بطن الوادي وأخذ يشن الهجوم بالمدافع

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٩.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٣.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٤.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠١.

(٦) فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٧.

على المواقع العسكرية السعودية على يمين الوادي ويساره[١] حيث هدم بعض الأبراج وجزءاً من الأسوار في هذه المنطقة[٢].

عندما وصل إبراهيم باشا إلى برج عبدالله بن عبدالعزيز ومن معه[٣]، فتح نيران مدافعه عليهم وعلى المناطق المجاورة إلى أن حوَّل معظم التحصينات هناك إلى أنقاض، وعليه وجد عبدالله بن عبدالعزيز نفسه مضطراً إلى الانسحاب والتراجع إلى الخط الخلفي المعزز بالخنادق، في حين تقدمت قوات إبراهيم باشا واحتلت موضعه[٤].

وفي هذه الأثناء كانت قوات أوزون علي تهاجم برج عمر بن سعود الذي تصدى لهم بكل قوة، وقامت بينهم اشتباكات ميدانية بالسيوف والبنادق، ثم لجأت قوات أوزون علي في إثر هذه المقاومة العنيفة إلى استخدام المدافع وفتح نيرانها بشكل مكثف على هذا البرج، إلا أن مقاومة عمر بن سعود ومن معه استمرت قوية، ولكن انهزام عمه عبدالله ابن عبدالعزيز وخروج قوات إبراهيم باشا الموجودة في موقعه من خلف برج عمر ومساندتها قوات أوزون علي المهاجمة له أدت إلى هزيمته فاضطر إلى التراجع بمن معه وترك موقعه[٥].

بعد هذه الأحداث وجد فيصل بن سعود الذي كان يعسكر في بطن الوادي نفسه معرضاً للخطر في تحصيناته التي لم تعد محمية بأي أبراج،

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠١، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠١، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٠٨ (H.H19587X) بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) كان معه أخواه عمر وعبدالرحمن وعدد من أهل الدرعية وغيرهم. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠١.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٧.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٢.

فغادر موقعه وتراجع إلى وسط البساتين حيث أصبح محمياً باستحكامات أخرى[١]. وقد انضمت إليه قوات عمر التي كانت قد منيت هي الأخرى بهزيمة قوية في مواقعها الدفاعية[٢].

وقد عمل إبراهيم باشا على التقدم بعساكره مع بطن الوادي وشن هجوماً مكثفاً على فيصل بن سعود وأخويه عند نخيل سمحة، وقد قاوم فيصل هذا الهجوم بضراوة.

وفي هذه الأثناء كان أوزون علي قد أمر قوات الفرسان والمشاة التي وضعها إبراهيم باشا تحت تصرفه بالمسير وقت الفجر في فرقتين عبر شعيب الحريقة وشعيب غبيراء باتجاه الوادي حتى وصلوا إلى نخل الغياضي، واحتلوا مقصورته وعسكرت فيها بعض القوات، في حين كمنت بعضها في موقع قريب منها، وعندما اشتد القتال مع فيصل تحركت هذه القوة إلى خلف مواقع فيصل فطوقت مع قوات إبراهيم باشا الرئيسة هذه المناطق، وتمكنت بعد قتال شرس مع القوات السعودية من الانتصار ودحر قوات فيصل جنوباً[٣].

وفي هذه الأثناء كانت الاشتباكات مستمرة أيضاً في المواقع الشمالية الشرقية بين قوات إبراهيم باشا والقوات السعودية هناك، وقد انهزمت فيها القوات السعودية التي اضطرت هي الأخرى إلى الانسحاب جنوباً[٤].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٤.

(٢) فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٧.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٢، فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٧.

(٤) المصدر السابق، ذكرت الوثائق العثمانية أحداثاً مشابهة بشكل عام لموقعة سمحة، وهذا يؤيد رواية ابن بشر التي اعتمد عليها بشكل كبير في المتن أعلاه حيث ذكرت بعض الوثائق أن قوات إبراهيم باشا بعد هزيمة السعوديين في موقعة أعتقد أنها موقعة غبيراء لتشابه أحداثها مع ما ورد عنها في المصادر الأخرى، «التجأت إلى المتاريس التي وراءهم والقريبة من القلعة الأصلية (أي أسوار البلدة بشكل عام) فوضع خدامكم=

وقد خسرت القوات السعودية في هذه المعارك نحو أربع مئة رجل وأربعة مدافع من النحاس[(١)]، في حين خسرت القوات المصرية أعداداً من القتلى لم تحدد المصادر أعدادهم إلا أنها ذكرت بعض أسماء الشخصيات المهمة من القادة الذين قتلوا خلال هذه المعارك، ومن أهمهم سليم أغا ـ خازن إبراهيم باشا[(٢)].

كما نتج من هذه الهزيمة خروج عدد من قوات المناطق التابعة للدرعية وعودتها إلى بلدانها[(٣)]؛ إذ يبدو أن هذه الهزائم أضعفت روحهم المعنوية فخافوا من شدة القتال فيئسوا وعادوا إلى بلدانهم.

معركة السلماني:

لم يتوقف تقهقر القوات السعودية في إثر انسحابها من سمحة حتى

= الموحدين من الجنود في المحل المحتل وجرى إعمار الطوابي المتينة للمدافع اللازمة، وهدمنا أحد أبراج قلعتهم وجزءاً من أسوارها بالمدافع، وقد نبهت على عبدكم بهرام بالهجوم على الأبراج المهدمة، ونحن على وشك الدخول في الأبراج المذكورة والاستيلاء عليها.. إذ الوهابيون الموجودون في جهة شمالنا خرجوا في منابرهم وهجموا على متاريسنا في تلك المناطق ولكنهم انهزموا... ثم أخرجت جميع الفرسان والمشاة وتقدمنا في مضيق الدرعية وهجمنا على متاريسهم ودخلنا عليهم في الأسوار واستولينا على محلاتهم هناك. دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥ وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(١) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٠٨ (H.H19587X) بتاريخ ١٢٣٣هـ، وقد أشار ابن بشر إلى أن السعوديين على إثر هزيمتهم وتراجعهم إلى الداخل تركوا أكثر مدافعهم وأسلحتهم. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٢.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٤، ودار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٠٨ (H.H19587X) بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٦.

تمكن فيصل بن سعود وأخوه سعد من تجميع قواتهما للتصدي لقوات إبراهيم باشا التي كانت تطاردهم، وقد نجحوا في التصدي لها عند نخل السلماني وردوها على أعقابها، وقتلوا منهم عدة قتلى[١].

استغرقت معارك هذه المرحلة قرابة (٢٢) يوماً حسب تاريخ رسائل إبراهيم باشا إلى والده؛ إذ أرخت رسالته التي وردت فيها أخبار هذه المرحلة بـ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ[٢]، وهذا يعني أن معارك هذه المرحلة كانت خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من هذا الشهر.

وقد تقدمت قوات إبراهيم باشا خلال هذه المرحلة مسافة تبلغ ما بين (٣ و٥) أكيال من معسكرها تجاه الدرعية، وهي مسافة معقولة بعض الشيء خصوصاً أن هذه المنطقة في أغلبها خارج النطاق العمراني للدرعية، فقد كانت تلك المسافة في الأغلب منطقة خالية أو منطقة مزارع وبساتين، ولعل هذا يفسر اختراق قوات إبراهيم باشا السريع لها، إضافة إلى أسباب أخرى لعل أهمها الأساليب والخطط العسكرية التي اتبعها إبراهيم باشا وكانت مفاجئة للسعوديين الذين اعتادوا القتال في المعارك المفتوحة، فضلاً عن وهن بعض ضعاف النفوس في الدرعية وخروجهم إلى إبراهيم باشا مع أول هزيمة وإعطائه معلومات مهمة عن مداخل الدرعية وثغراتها[٣]، وقد استطاع إبراهيم باشا استغلالها جيداً لتحقيق أهدافه، واحتل من خلالها جزءاً من الدرعية.

وقد أرسل إبراهيم باشا إلى والده بأخبار انتصاراته هذه حيث احتفل فيها في مصر بعد وصول البشارة باستيلائه على جزء من الدرعية في ٢٩

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٣، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٨.

(٢) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠١.

جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ، وأطلقوا المدافع ابتهاجاً بهذا النصر[١].

توقف القتال بين القوات السعودية وقوات إبراهيم باشا عند نخل السلماني بانتصار السعوديين الذين استطاعوا إيقاف تقدم قوات إبراهيم باشا السريع، ولكن يؤخذ على القوات السعودية عدم استغلالها هذه الانتصارات في محاولة إخراج القوات المعادية من المناطق التي استولت عليها واستعادة مواقع دفاعها، بل نجدها تتركز في المواقع التي توقفت عندها، وبدأت بإقامة خط دفاعي جديد بامتداد عرض الوادي في تلك المنطقة في وسط الدرعية، وإعادة تعزيز مواقعهم بالفرق العسكرية التي كانت موجودة في المناطق الشمالية من الدرعية، وتقهقرت بعد سقوط هذه المناطق في يد القوات المصرية العثمانية.

وقد بنى السعوديون في إطار إقامة خط دفاعي جديد تحصينات جديدة وقوية من الحجارة[٢]. وإعادة توزيع للقوات على النحو الآتي[٣]:

- تركز كل من فيصل بن سعود وتركي بن سعود وفهد بن سعود وعبدالله ابن عبدالعزيز وعمر بن عبدالعزيز بمن معهم من أهل الدرعية وغيرهم في بطن الوادي.

أما فيما يخص الجهة الغربية فقد أعيد توزيع قواتها على النحو الآتي:

- إبراهيم بن سعود ومعه قوات متفرقة من أهل البجيري والمريح وغيرهم على ضفة الوادي الغربية داخل الأسوار جنوب قوات فيصل ابن سعود ومن معه.
- سعد بن عبدالله بن سعود مع جمع من أهل الدرعية شمال إبراهيم بن سعود في رأس جبل يطل على الوادي ومعه مدفع.

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٥٧٩.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٠٣، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٦٥.
(٣) انظر الخريطة رقم ٧.

- تركي بن عبدالله بن محمد وابنه فيصل مع جمع من أهل الدرعية وغيرهم على جانب شعيب غبيراء الجنوبي.

وعلى الجانب الشمالي لشعيب البليدة تركز كل من عمر بن سعود ومعه جمع من أهل الدرعية وغيرهم، ويليه حسن بن سعود ومع جمع آخر من أهل الدرعية، ويليه فرج الحربي بفرقة من المماليك.

- تركز عبدالرحمن بن سعود وعدد من أهل الدرعية بين شعيب البليدة وشعيب كتلة.
- بقي مشاري بن سعود في موقعه عند مسجد العيد في الطريف.

وأما الجهة الشرقية فقد وزعت القوات فيها على النحو الآتي:

- في السلماني على يمين الوادي تركز عبدالله بن مزروع ومعه قوات من أهل الدرعية ومنفوحة وغيرهم.
- عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود ومعه قوات من أهل الدرعية، ومحمد العميري على رأس أهل المحمل يعسكرون في ناظرة.
- شديد اللوح ومعه عدة رجال من أهل الصفرة وأهل الدرعية في رأس ذروة جبل ناظرة في برج كبير محكم البناء.
- سعد بن سعود مع جمع من أهل الدرعية بين شعيب قليقل وناظرة.
- حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي ومعهما جمع من أهل الدرعية في شعيب قليقل.

أما معسكر الإمام عبدالله بن سعود فقد ظل كما هو في موقعه بين بابي سمحان والظهرة، وظلت القوات الجنوبية على ترتيبها السابق[(١)].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٦، والأطلس التاريخي، ص ٩٤ ـ ٩٥.

إزاء هذه المتغيرات في خطة الدفاع وسير المعارك عمل إبراهيم باشا على إعادة ترتيب قواته فنقل مقر قيادته العليا من العلب في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ (١٣ إبريل عام ١٨١٨م)[١] إلى قري قصير[٢] في الجهة الشمالية الشرقية للدرعية، وقد اختار إبراهيم باشا هذا المكان لمعسكره ليكون قريباً من مسرح العمليات العسكرية في الجهة الشرقية من الدرعية التي شهدت ضراوة القتال وكانت تحت قيادته الشخصية، في حين وكل إلى أوزون علي مهمة قيادة المعارك في الجهة الغربية حيث عسكر أوزون علي بين شعيبي غبيراء والبليدة ووزع قواته مقابل القوات السعودية المتفرقة في تلك الجهات[٣].

المرحلة الثانية[٤] (٦جمادى الآخرة ـ ١ رمضان سنة ١٢٣٣هـ (١٣ أبريل ـ ٥ يوليو عام ١٨١٨م):

في بداية هذه المرحلة وصلت إمدادات ضخمة إلى إبراهيم باشا من البصرة، فقد أرسل حاكمها بكر أغا قافلة مؤلفة من ألف وخمس مئة جمل محملة بالمؤن[٥]، كما وصلت فرقة من المغاربة ورجال المدفعية ومعهم مستلزمات ومعدات حربية كثيرة من مصر، والتحق بالجيش أيضاً خلال هذه المدة الجرحى الذين تركهم إبراهيم باشا في شقراء للاستشفاء بعد أن تماثلوا للشفاء ومعهم الطبيب جنتلي الذي كان يشرف على علاجهم، كما

(١) أحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١٤٨.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٦، وقد أصبح هذا الشعيب يسمى بقري الروم نسبة إلى استقرار إبراهيم باشا به، وكان أهل الدرعية يسمون الأتراك في تلك الحقبة بالروم.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٧.
(٤) انظر الخريطة رقم ٨.
(٥) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٤.

وصلت قوافل متعددة من المدينة المنورة وعنيزة تحمل المؤن والذخائر[١].

وقد أدى وصول هذه الإمدادات من مصر والعراق والحجاز والقصيم إلى تشجيع إبراهيم باشا على مواصلة هجماته وتكثيفها على تحصينات الدرعية، فاستؤنف القتال مرة أخرى بعد إعادة توزيع القوات من قبل الطرفين، حيث اشتعلت المعارك في جميع جبهات القتال وفي كل وقت. وقد وصف ابن بشر هذه المعارك بقوله: «فثار بينهم الحرب الهائل الذي لم ينقل مثله عن الأواخر والأوائل، وصار في كل يوم ووقت قتال... وتضاربوا في المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين[٢]، وتطايرت القبوس والقنابر في الجو كأنها رجوم الشياطين... فصبر أهل الدرعية ونزل عليهم الثبات، وقاتلوا الروم حتى ملؤوا فجاجها من الأموات، فمرة يحملون على الروم في محاجيهم، ومرة يحملون الروم عليهم بالسيف ونار الحرب مشتعلة دائماً في وسط المحاجي وجنوبها وشمالها، وفي كثير جهات البلد، فإذا رأيت في موضع حرباً رأيت مثله في الموضع الثاني ومثله في الآخر»[٣].

وقد بدأ القتال في هذه المرحلة في الجبهة الغربية والجنوبية الغربية، وكان أوزون علي قائد القوات العثمانية المصرية في هذه المنطقة، وحصلت بين الطرفين عدة معارك هي على النحو الآتي:

- في البداية حاول أوزون علي منع قوات الدرعية في تلك المنطقة من

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٤، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧١.

(٢) لم أجد تعريفاً موثوقاً لمعنى هذه الكلمة ولكن بوضعها في سياق الجمل التي وردت بها عند ابن بشر يتضح أن المقصود فيها نوع من الأسلحة المستخدمة في حملة إبراهيم باشا، ويبدو أنه نوع من الأسلحة الشخصية كالبنادق والمسدسات.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٧.

إكمال بناء تحصيناتها ومتاريسها فحصلت معركة قوية استمرت من العصر إلى ما بعد العشاء، ولكن قوات الدرعية استبسلت في صد هذا الهجوم فردت قوات أوزون علي على أعقابها[١].

معركة شعيب البليدة الأولى:

تركزت أغلب المعارك في تلك الجهة في هذا الشعيب، وقد حصلت فيه معركة قوية إلا أن قوات الدرعية المتفرقة على الشاطئ الشمالي لهذا الشعيب بقيادة عمر بن سعود وحسن بن سعود وفرج الحربي استطاعت صد هجوم قوات أوزون علي، وقد نتج من هذه المعركة سقوط عدد من القتلى في كلا الجانبين[٢].

معركة شعيب البليدة الثانية:

وقد هجمت فيها قوات أوزون علي على متاريس الدرعية في هذا الشعيب، واستولت عليها، ولكن القوات السعودية استطاعت بعد قتال شديد استمر من بعد الظهر إلى ما بعد العصر إخراجهم من الأبراج التي استولوا عليها، وقتلوا منهم عدة قتلى[٣].

أما الجبهة الشرقية فقد حصلت فيها عدة معارك خلال هذه المرحلة، وكانت قوات شديد اللوح في هذه الجهة من أهم القوات التي واجهت هجوم إبراهيم باشا على هذه المنطقة. وقد نال شديد اللوح بفضل قوته في ردع القوات العثمانية المصرية في كثير من المعارك شهرة واسعة في هذه الحرب[٤].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٩.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٩.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩.
(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

ومن المعارك الشهيرة التي قامت في هذه الجبهة خلال المرحلة الثانية:

معركة شعيب قليقل:

وفيها هجمت قوات إبراهيم باشا على القوات السعودية المدافعة عن هذا الشعيب، ولكن هذه القوات ثبتت بقيادة حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخيه علي، وتمكنت من هزيمة قوات إبراهيم باشا، ووقع خلال هذه المعركة عدة قتلى من الطرفين[١].

معركة غصيبة:

يذكر مانجان أن إبراهيم باشا عزم على تركيز القتال والقصف في استحكامات غصيبة[٢] في المنطقة الشرقية من الدرعية، فأمر بإقامة متاريس يقصف منها البرج[٣] الذي يطل على البساتين من جهة، وعلى استحكامات غصيبة من جهة أخرى. ووكل أمر تنفيذ هذه المهمة إلى المهندس فيسيير، واشتبك الطرفان في قتال عنيف، ولكن نيران المهاجمين كانت مركزة فاستطاعوا أن يزحزحوا السعوديين من مواقعهم، وأحدثوا فتحة في جدار البرج، وكانت الظروف ملائمة للهجوم على هذا البرج إلا أن الضباط أبوا القيام به متذرعين بأن الجنود يمتنعون عن الانقياد لأوامرهم، ولكن العساكر كذبوهم إذ صاحوا بأعلى أصواتهم أن رؤساءهم هم الممتنعون لا هم. ويبدو أن هذا التمرد كان بدافع الحصول

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠.

(٢) تقع غصيبة على رأس مثلث بين شعيب قليقل وبطن الوادي، وهي محاطة بسور خاص (انظر خريطة رقم ٣) ولعله يقصد المنطقة بين شعيب قليقل والوادي بشكل عام بما فيها ناظرة، وشهدت هذه المنطقة بالفعل شدة قتال خلال هذه المرحلة، كما سبق أن ذكرنا من خلال رواية ابن بشر.

(٣) لعله يقصد البرج الذي ترابط فيه قوات عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود.

على مستحقات مالية لهم متأخرة على إبراهيم باشا، ولكنه لما رأى أن لا أحد ينقاد لأوامره طلب من رماته وقف إطلاق النار، وعاد إلى معسكره وكتب إلى والده بما حدث، وطلب منه إرسال إمدادات جديدة، وبالفعل قرر والده إرسال قوات ضخمة تقدر بنحو ثلاثة آلاف جندي بقيادة خليل باشا لمساندة إبراهيم باشا، وبدأ بتجهيزها[١].

إزاء هذا الموقف والتراجع من إبراهيم باشا قامت قوات الدرعية بعدة هجمات على معسكره، فقامت بينهم عدة معارك قتل فيها عدد من عساكره[٢].

كانت أوضاع الحصار قبيل منتصف شهر شعبان سنة ١٢٣٣هـ (٢٠ يونيو عام ١٨١٨م) تعطي دلالة واضحة على سوء أوضاع قوات إبراهيم باشا على الرغم من أنه قد حقق انتصارات لا بأس بها خلال المرحلة الأولى، وأنه استولى على أكثر من (٤٠) برجاً من أبراج الدرعية الشمالية، كما ذكر في إحدى رسائله لوالده[٣]. فقد كان لدفاع السعوديين المستميت عن معاقلهم، ونشاطهم المتزايد في مضايقة القوات المحاصرة أثر كبير في إحراج موقف هذه القوات، خصوصاً أن إبراهيم باشا لم يكن قادراً على إحكام الحصار حول الدرعية فقد كانت الإمدادات تصل إليها عن طريق الأحساء وغيرها دون انقطاع[٤].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٥، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٢، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٦.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٦، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٣، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٦.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٢، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٦.

إزاء هذا الموقف كان على إبراهيم باشا أن يتحرك لسد هذه الثغرات في حصاره، فيذكر مانجان أن إبراهيم باشا هجم على القرى القريبة من الدرعية بتحريض من فيصل الدويش الذي أخبره أن عدداً من القرى على اتصال بالدرعية، وأنها تحمل المؤن إليها بشكل يومي، وأنه عاجز عن منعهم عن ذلك، لذلك حزم إبراهيم باشا أمره على الخروج لإخضاع هذه القرى(١).

ـ الهجوم الأول على عرقة ١٥ شعبان سنة ١٢٣٣هـ (٢٠ يونيو عام ١٨١٨م):

هاجم إبراهيم باشا عرقة؛ لأنها تقع جنوب الدرعية، وهذه المنطقة لم تكن محاصرة من قبل قوات إبراهيم باشا، كما أن عرقة من البلدان التي بقيت على ولائها للدرعية، في حين أن بعض البلدان الأخرى في جنوب الدرعية دخلت في طاعة إبراهيم باشا مثل الرياض ومنفوحة والخرج وغيرها(٢)، فكان على إبراهيم باشا أن يخضع هذه البلدة حتى يتم له تطويق الدرعية من جهة الجنوب من دون إحاطتها بقوات عسكرية إذ كان يعاني من نقص في أعداد الجنود لديه منذ بداية الحصار. وقد استطاع إبراهيم باشا بالفعل إخضاع بلدة عرقة. فيذكر ابن بشر أنه أرسل فرقة من فرسانه هجمت على عرقة، وقتلت نحو ثلاثين رجلاً من أهلها، واستولت عليها، ثم تركتها بعدما أحرقتها(٣).

ولكن الوثائق العثمانية تذكر أن إبراهيم باشا خرج بنفسه إليها في ١٥ شعبان سنة ١٢٣٣هـ (٢٠ يونيو عام ١٨١٨م)، ويرافقه كل من رشوان أغا ـ رئيس الفرسان ـ والقائد الحاج داود ـ أحد رؤساء الأدلاء في جيشه ـ

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧١.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٤١٠.

كما تذكر هذه الوثائق أن الإمام عبدالله بن سعود استغل فرصة خروج إبراهيم باشا إلى عرقة فخرج من خلف أسوار الدرعية وهجم على متاريس إبراهيم باشا المحاصرة للدرعية، ولكن إسماعيل أغا(١) الذي أنابه إبراهيم باشا على معسكره استطاع رد الهجوم، فعاد الإمام عبدالله دون أن يحقق نتائج تذكر، وقد أصيب إسماعيل أغا في هذا الهجوم بجراح متعددة نتيجة استبساله في رده(٢).

ـ حريق مستودع الذخيرة:

شهدت هذه المرحلة من الحصار حادثاً مهماً حصل لقوات إبراهيم باشا المحاصرة للدرعية كاد يغير مجرى الأحداث في هذا الحصار لو أنه استغل بطريقة سليمة. فقد تعرض مستودع الذخيرة الخاص بجيش إبراهيم باشا لحريق أودى بجميع ما فيه من أسلحة وذخيرة قدرت بنحو مئتي برميل من البارود ومئتين وثمانين صندوقاً من الطلقات والقذائف والقنابل، كما وصل اندفاع النيران بعد انفجار هذه القذائف إلى أكوام الشعير والقمح المخصصة لطعام الجيش فأحرقته(٣).

اختلفت المصادر حول أسباب حدوث هذا الانفجار ووقت حدوثه، فالوثائق العثمانية تذكر أنه في ١٨ شعبان سنة ١٢٣٣هـ (٢٣ يونيو عام ١٨١٨م) أصابت شرارة من نار بصورة مباغتة مستودع الذخيرة، وأنها أتت

---

(١) إسماعيل أغا بازار جقلي: قائد تركي من مدينة بازارجق التركية، كان يشغل منصب المشرف على السلاح في جيش إبراهيم باشا. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٤.

على كل ما فيه من مهمات حربية، وقضت على كثير من الرجال العاملين في هذا المستودع وسائقي العربات وغيرهم[١].

في حين يذكر مانجان[٢] أنه في يوم ١٦ شعبان سنة ١٢٣٣هـ (٢١ يونيو عام ١٨١٨م)[٣] وبعد اشتباك عنيف بين السعوديين وقوات إبراهيم باشا قتل على إثره نحو مئة وستين رجلاً من القوات العثمانية عادت هذه القوات إلى معسكرها لالتماس الراحة فهبت رياح شديدة حملت معها جذوه من نار موقدة أشعلها أحد الجنود ليطبخ عليها طعامه، وألقتها على خيمة كبيرة منصوبة بعيداً بين تلين صغيرين وفيها مستودع الذخيرة الحربية، فاشتعل البارود وحصل انفجار هائل[٤].

وقد أورد سادلير هذا الحدث أيضاً، ولكن بشكل عرضي دون توضيح سبب الحريق، وكل ما ذكره أن مستودع أسلحة إبراهيم باشا نسف وبقي جنود المدفعية بلا ذخيرة مدة تقارب الشهرين[٥].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٢٠٢، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧٥ (H.H19559) بتاريخ ١٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ، ومكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١٩٥٦٢.

(٢) وقد أخذت براويته عدة مراجع أجنبية وعربية منها: إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٣، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٧٧، وبيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص ٣٦، والرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٧، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٨٠، والبطريق، ذكرى البطل، ص ١٦، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١٥٢.

(٣) وهو تاريخ مقارب جداً لما ذكرته الوثائق العثمانية فالفرق بينهما يومان، ولكن بما أن تقارير إبراهيم باشا هي وثائق هذه الحرب الأصلية فمن المؤكد أن تاريخها هو الصحيح.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٧.

(٥) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٦.

أما الجبرتي فقد ذكر رواية مختلفة إذ ذكر أنه بعد خروج إبراهيم باشا إلى جهة من نواحي الدرعية[١] اغتنم السعوديون ذلك فهجموا على حين غفلة على معسكر إبراهيم باشا، وقتلوا عدداً من العساكر، وأحرقوا مخزن الأسلحة[٢].

ومع أن هذه الرواية توافق ما ذكرته الوثائق العثمانية فيما يخص خروج إبراهيم باشا إلى عرقة وهجوم السعوديين على معسكره فإنها تختلف عنها في سبب الحريق، وقد انفرد الجبرتي تقريباً بهذه الرواية، حتى إن ابن بشر في حديثه عن حريق مستودع الذخيرة لم يذكر سبباً لحدوث هذا الحريق ولا وقت وقوعه، وكل ما أورده عنه أن النار اشتعلت في «زهبة الباشا وما في خزانته من البارود والرصاص وجميع الجبخان»، وأنها أهلكت جميع ما في هذه الخزائن من ذخيرة ومؤن مختلفة، وأن عساكر الباشا هربوا إلى رؤوس الجبال القريبة بعد أن أهلكت النار عدداً منهم[٣].

وفي الحقيقة أرى أن رواية الجبرتي هي الأقرب إلى الواقع؛ لأن الروايات الأخرى أشارت إلى أن هذا الحريق حصل في وقت قريب جداً من خروج إبراهيم باشا إلى عرقة وهجوم السعوديين على معسكره مما يؤيد ما ذكره الجبرتي، كما أن تفسير إبراهيم باشا لوالده بأن سبب الحريق هو شرارة من نار أصابت مستودع الذخيرة هو تفسير عام لا يعطي دلالة واضحة على من أحرق المستودع، وهل هذه الشرارة كانت ناتجة من نيران قذائف السعوديين أم كما ذكر مانجان أنها نتيجة نار أشعلها أحد الجنود ليطبخ طعامه أو غير ذلك، ولعل إبراهيم باشا لم يعط تفصيلات

---

(١) ويقصد بذلك عرقة إذ كان خروج إبراهيم لها قبل الحريق بثلاثة أيام.
(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١١.

واضحة عمن أحرق المستودع في رسائله حتى لا يبين أي نقطة ضعف منه في هذه الحرب.

كما اختلفت المصادر في رد فعل السعوديين تجاه هذا الحادث، فمانجان[١] يذكر أن الإمام عبدالله بن سعود أرسل من الدرعية ثمانية إلى عشرة من كشافته حاولوا الاقتراب من معسكر الباشا لاستطلاع الموقف، فأعلن النفير العام وتسابق الجنود لصدهم، وتقدمت قوات سعودية أخرى لدعمهم، واشتبك الطرفان في معركة عنيفة، فلما رأى السعوديون أن القوات العثمانية ما زالت تقاتل ببسالة بادروا إلى الانسحاب، ولكن الإمام عبدالله عقد مجلساً استشارياً لدراسة الموقف، وتقرر الهجوم على قوات إبراهيم باشا في اليوم التالي.

كان إبراهيم باشا قد توقع أن وضعه سيجعل السعوديين أكثر جرأة وإقداماً، فعمد إلى جمع قواته وخطب فيهم بحماس وأوصاهم أن يقتصدوا بالذخيرة وألا يطلقوا النار إلا عندما لا يكون هناك مفر من ذلك وهدد كل متقهقر من أمام العدو بالإعدام[٢].

وفي صباح اليوم التالي خرج السعوديون بالفعل، وكان عددهم ألفاً وخمس مئة رجل، وكانت خطة إبراهيم باشا لصد هذا الهجوم تقضي بأن يوزع مدافعه بشكل جيد على الأماكن المرتفعة قرب معسكره، وأمر الضباط القائمين على هذه المدافع أن يتركوا العدو يقترب، مع مراعاة الاقتصاد في إطلاق المدافع حتى إذا اقتربوا منهم كثيراً بادروا إلى إطلاق نار كثيف.

---

(١) وقد اعتمدت روايته عدة مراجع أجنبية وعربية منها: إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٤، والخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٧، والرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٧، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٨١، والبطريق، ذكرى البطل، ص ١٦ ـ ١٧، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١٥٣.

(٢) ذكر إبراهيم باشا مثل ذلك لوالده في إحدى رسائله. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ.

وبادر السعوديون إلى المواجهة الفورية مع قوات إبراهيم باشا فتلقتهم المدافع العثمانية فحصدتهم حصداً ذريعاً، فاضطروا إلى الانسحاب تاركين وراءهم كثيراً من القتلى والجرحى، وقد استاء الإمام عبدالله من هذا الإخفاق فأمر قواته باتخاذ وضعية الدفاع[١].

أما ابن بشر فلم يشر إلى هذا الهجوم أبداً، بل إنه نفى قيامهم بأي هجوم، إذ ذكر أن أهل الدرعية هموا بالهجوم على معسكر القوات العثمانية، ولكنهم لم يفعلوا[٢].

وفي الحقيقة، سواء هجم الإمام عبدالله على معسكر إبراهيم باشا فعلاً، أم لم يهجم فالأكيد أنه لم يستغل هذا الحادث استغلالاً جيداً، فقد كان بإمكانه أن يطوق معسكر إبراهيم باشا ويكثف الهجوم عليه بأسلوب الكر والفر حتى يستنزف ذخيرته[٣]، ويجرده من أحد أهم نقاط قوته والمتمثلة في جهاز المدفعية المتطور والقوي الذي كان يملكه، وأُرجح أن الإمام عبدالله بالفعل هجم على قوات إبراهيم باشا، كما ذكر مانجان، وأنه خدع بما فعله إبراهيم باشا من الاقتصاد بالذخائر المتبقية لديه وظن أن لدى جيش إبراهيم باشا ما يكفي من الذخائر، وأن هذا الحريق لا يغير من الأمر شيئاً فلم يكرر المحاولة، وبقي على موقفه الدفاعي، وهذا أعطى إبراهيم باشا فرصة لتحسين وضعه.

استمرت المرحلة الثانية للحصار قرابة ثلاثة أشهر كانت الحرب فيها سجالاً بين القوات العثمانية والسعودية، وانتهت هذه المرحلة دون تحقيق

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١١.
(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٦.

نتائج تذكر فلم تتقدم قوات إبراهيم باشا خلال هذه المرحلة أكثر مما وصلت إليه سابقاً.

ولكن هذه المرحلة شهدت أحداثاً مهمة أثرت في ميزان القوى بين الطرفين، وأسهمت في إطالة مدة الحصار، فقد كانت أوضاع إبراهيم باشا بعد حريق مستودع الذخيرة سيئة جداً[١]، إذ فقد ما يزيد على نصف ذخيرته، فضلاً عن حاجته أساساً إلى أعداد إضافية من الجنود والمؤن والذخائر، لذلك عمل إبراهيم باشا على القيام بإجراءات سريعة لتدارك الموقف فأرسل عدداً من ضباطه إلى جميع نواحي نجد القريبة منه لجمع ما يمكن من الذخائر[٢]، كما أرسل إلى مراكز الحاميات العثمانية في شقراء وعنيزة وبريدة والمدينة المنورة ومكة وينبع لإمداده بما لديها من ذخيرة ومؤن[٣]، وقد وصلت إليه بعد (٢٥) يوماً فرقة مكونة من مئتين من الدلاة[٤] كانوا يمثلون قوام حامية عنيزة ومعهم مئتا جمل محملة بالبارود والرصاص والقنابل، كما تواردت عدة قوافل من المدينة المنورة بذخائر

---

(١) كما أن إبراهيم باشا نفسه قد أصيب بعارض صحي إذ أصابه رمد في عينيه إثر العاصفة الرملية التي تعرض لها الجيش المصري وتسببت في الحريق. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٠، بييركربيتس، إبراهيم باشا، ص٣٦.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١١.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٦.

(٤) فرقة عسكرية من الخيالة تكونت في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي بالرومللي، وأصل الكلمة دليلاً ثم أطلق عليهم دلي وهي كلمة تركية بمعنى مجنون نظراً لشهرة رجال هذه الفرقة بالتهور في البسالة والقيام ببطولات جنونية، ومعظمهم من الأكراد، وقد انتهت هذه الفرقة عام ١٨٢٩هـ. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٣، حاشية المترجم رقم ٣.

مختلفة ومدفعين يتبعهما ست مئة عسكري[١]. كما أرسل إبراهيم باشا إلى والده في مصر يخبره بما حدث، وبحاجته الملحة إلى إمدادات سريعة وعاجلة على ألا تقل هذه القوات عن ٣ أو ٤ فرق، وأن تأتي إليه بشكل متلاحق سريع؛ لأن عساكره أصابهم التعب والكلل، فضلاً عن خسائره القوية إلى الآن[٢].

وقد باشر محمد علي باشا فعلاً بإرسال هذه القوات، فأعد ثلاث فرق بقيادة طوبال حسن أغا، وباشو مصطفى أغا، ورئيس الأدلاء مصطفى أغا مع قائدين مغربيين من الخيالة، وأرسلهم على وجه السرعة إلى الدرعية، كما أمر بالإسراع في إعداد حملة خليل باشا ومحاولة إرسالها بعد عيد الفطر[٣].

ووصلت هذه الإمدادات تباعاً إلى معسكر إبراهيم باشا، كما وصل البنباشي باشو مصطفى أغا على رأس أربع مئة جندي من المشاة وانضم إلى الجيش، وبعد عدة أيام وصلت فرقة الفرسان المغاربة تتبعها قطعان الماشية والمؤن[٤]. أما القوات السعودية فيبدو أن موقفها بدأ يتزعزع خلال هذه المرحلة، إذ شهدت هذه المرحلة خروج عدد من أهالي المناطق التابعة للدرعية ورجوعهم إلى أوطانهم، بل خروج عدد من أهلها

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٦.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٢٨ (H.H19580) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٣٣هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/١ ـ ٢٠٢، وثيقة ٥/١ ـ ٧٥ (H.H19559) بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ. مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١٩٥٦٢. الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٥٨٠.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٢، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٨.

هرباً من وطأة الحصار[١]، كما أن أعداد ضحايا الدرعية بدأ يزداد بشكل كبير، إذ وصل حسب تقدير تقارير إبراهيم باشا لوالده حتى رمضان أي بعد أربعة أشهر من الحصار إلى ألف وأربع مئة رجل[٢].

وشهدت هذه المرحلة أيضاً خسارة فادحة للقوات السعودية تمثلت في مقتل فيصل بن سعود في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ (إبريل عام ١٨١٨م)، وكان يمثل القائد الأعلى لقوات أخيه الإمام عبدالله وساعده الأيمن، وقد قتل برصاصة قناص من مسافة بعيدة في أثناء قيامه بجولة تفقد لمقر قيادته[٣]، ويذكر إبراهيم باشا أنه قتل برصاصة أحد رجاله ويسمى مصطفى أغا قواله لي[٤]، وقد حل مكانه أخوه تركي بن سعود[٥] إلا أنه قتل هو الآخر أيضاً بعد ذلك[٦].

المرحلة الثالثة[٧] : ١ رمضان ـ ١ من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٥ يوليو ـ ٢ سبتمبر عام ١٨١٨م):

كانت المعارك مستمرة بين قوات إبراهيم باشا وقوات الدرعية طوال مدة الحصار تقريباً، ولكن يبدو أن حدة القتال خفت بين الطرفين بعد

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٢.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٢، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦١.

(٤) دار الوثائق المصرية، وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٢.

(٦) دار الوثائق المصرية، وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/٨ ـ ١ (H.H19529D) بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٣٣هـ.

(٧) انظر الخريطة رقم ٩.

حريق مستودع ذخيرة إبراهيم باشا حتى وصلت الإمدادات إليه وأعاد تنظيم قواته لمواصلة الهجوم على الدرعية التي اكتفى أهلها بالدفاع. فما إن وصلت الإمدادات إلى إبراهيم باشا حتى ثارت المعارك بشكل قوي من جديد؛ وذلك في إطار خطته القاضية بإحكام السيطرة على نواحي الدرعية واحدة تلو الأخرى، وتكثيف القتال في جهاتها الشرقية والغربية بعد إخضاعه المنطقة الشمالية منها، وإضعاف تحصيناتها الخارجية تمهيداً لمرحلة لاحقة تتمثل في الهجوم المباشر على أحياء الدرعية، واقتحام تحصيناتها الداخلية للوصول إلى الطريف ـ كما سنرى لاحقاً ـ وفي إطار تنفيذ تلك الخطة قامت في هذه المرحلة عدة معارك من أهمها:

معركة كتلة:

وهو شعيب في الجهة الغربية من الدرعية، وقد قامت القوات السعودية بقيادة عبدالرحمن بن سعود في هذه المنطقة بجهود كبيرة في رد قوات أوزون علي المسؤولة عن القتال في تلك الجهات، وقد كانت هذه المعركة شديدة جداً إذ نتج منها خسائر كبيرة في الأرواح في كلا الطرفين[١].

معارك قري عمران:

وهو شعيب يقع جنوب شرق الدرعية، وكانت ترابط في إحدى مزارعه قوات سعودية بقيادة فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز، وجرت فيه عدة معارك خلال هذه المرحلة[٢]، وذكر الفاخري أنها ثلاث معارك[٣].

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، وص ٤١٢، الأطلس التاريخي، ص ٩٦، ص٩٧.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤١٢، والأطلس التاريخي، ص ٩٦ ـ ٩٧.
(٣) الفاخري،تاريخ الفاخري، ص ١٨١.

معركة المحاجي[1]:

وفيها حمل أهل الدرعية على مدافع لإبراهيم باشا في المنطقة شمال شعيب قليقل[2]، واستطاعوا أن ينتصروا على العساكر العثمانية الموجودة في هذه المنطقة، وحاولوا الاستيلاء على مدافعهم، ولكنهم وجدوها مربوطة بسلاسل من الحديد، وكان العثمانيون قد لغَّموا هذه المدافع برصاص البنادق والكبريت، وفي أثناء محاولات السعوديين جر هذه المدافع التي كانت مثبتة بسلاسل الحديد أشعلوها على أهل الدرعية فثارت عليهم وقتلت منهم عدة رجال، منهم حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي، وعبدالعزيز بن عبدالكريم بن معيقل من أهل الوشم[3].

معركة الرفيعة:

هي مزرعة نخل معروفة في شعيب قري عمران جنوب شرق الدرعية، وكان فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد هو الذي يتولى حماية هذه المنطقة[4]، وجرت هذه المعركة في ١٠ شوال سنة١٢٣٣هـ (١٣ أغسطس عام ١٨١٨م)[5] حيث عمل إبراهيم باشا على الخروج من

---

(١) لم يسمها ابن بشر هكذا صراحةً، ولكن من خلال تسلسل المعارك عند الفاخري ومقارنتها بما ذكر عند ابن بشر نجد الفاخري يطلق عليها هذا الاسم. الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨١، أما ابن بشر فذكر أنها وقعة عند المحاجي الشمالية.

(٢) يبدو أن هذه المعركة حصلت في شمال شعيب قليقل؛ لأن آل دغيثر الذين كانوا يرابطون في هذه المنطقة اشتركوا في القتال فيها وابن بشر لم يحدد موقعها بالضبط. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٢ ـ ٤١٣، والأطلس التاريخي، ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٤١٣.

(٥) الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨١، وسمى الفاخري هذه المعركة وقعة قري عمران الأخرى.

معسكره في قري قصير بعدد من عساكره إضافة إلى جمع من أهل الخرج والرياض بقيادة أميرها ناصر العايذي[١] الذين انضموا إلى إبراهيم باشا في هذه المدة ومعه مدفعان.

وعندما وصل إبراهيم باشا إلى شعيب قري عمران هاجم المتاريس السعودية هناك واستطاع هزيمتها، فخرج عليه فهد بن عبدالله من الرفيعة بمن معه، فاشتبكوا بقوات المشاة الذين كانوا مع إبراهيم، وعندما رأى إبراهيم باشا تفوقهم على قوات المشاة هجم عليهم بمن معه من الخيالة فقتل عدداً من أهل الدرعية ومنهم قائدهم فهد بن عبدالله. ولكن القوات السعودية تلقت دعماً من الدرعية إذ اتجهت قوات مختلفة من جميع أنحاء الدرعية للمساندة، وهنا انهزم إبراهيم باشا بمن معه، ولكنه كر راجعاً في محاولة لتحقيق انتصار حاسم في هذه المنطقة ولكن القوات السعودية قاومته مقاومة عنيفة نتج منها سقوط عدد كبير من القتلى من الطرفين، ثم انفضت المعركة دون تحقيق نتيجة حاسمة لأي طرف[٢].

---

(١) ناصر بن حمد العايذي: كان من المعارضين للحكم السعودي، ويسعى للاستقلال بإمارة الرياض، اشترك مع إبراهيم باشا في حروب الدرعية، واستمر في تعاونه مع القوات المصرية التي جاءت لنجد بعد ذلك في أكثر من معركة فاشترك مع حسين بيك في الهجوم على الرياض بعد أن أجلاه ابن معمر منها سنة ١٢٣٦هـ (عام ١٨٢١م)، وأعاده حسين بيك على إمارتها بعد إخراج تركي بن عبدالله منها، واشترك في العام التالي مع العساكر المصرية في معركة الحاير ضد قبيلة سبيع وقتل في هذه المعركة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣، والأطلس التاريخي، ص ٩٦ ـ ٩٧، ذكر مانجان أن إبراهيم باشا خرج لإخضاع عرقة ومعه ألفا رجل من رجال المدفعية والفرسان ومدفعان، وعندما مر على مقربة من أحد المواقع السعودية أحسوا بتحركاته فبادروا إلى إطلاق النار عليه وأوقعوا في صفوف قواته خسائر كبيرة، ويبدو أن هذه المعركة هي موقعة الرفيعة لتشابه أحداثها وتسلسلها الزمني مع ما ذكر في ابن بشر إلى حد ما. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧١.

الهجوم الثاني على عرقة ليلة ٢ شوال سنة ١٢٣٣هـ (١٥ أغسطس عام ١٨١٨م):

كان عبدالله بن سعود قد استعاد سيطرته على عرقة التي استولى عليها إبراهيم باشا سابقاً؛ وذلك وقت نضوج ثمرها بعد دخول فصل الصيف، إذ أرسل الإمام عبدالله إليها حامية مكونة من مئة رجل لجمع محصولها، وكان الباشا قد أرسل إليهم فرقة من الخيالة لإخراجهم ولكنَّ السعوديين استطاعوا ردهم.

يبدو أن إبراهيم باشا بعد موقعة الرفيعة اتجه مباشرة بمن معه من أهل الرياض والخرج ومنفوحة بقيادة ناصر بن حمد العايذي أمير الرياض إلى عرقة قبل أن يعود إلى معسكره[1]، واستطاع إبراهيم باشا أن يستولي على عرقة، وأخرج أهلها والحامية الموجودة فيها بالأمان على دمائهم وسلاحهم فقصدوا الدرعية[2].

ويذكر مانجان أن الإمام عبدالله بن سعود عندما علم بغياب إبراهيم باشا عن معسكره أمر قواته بشن هجوم عام على القوات المحاصرة للدرعية، واستمرت المعركة بها عدة ساعات، وأبلى السعوديون فيها بلاء حسناً مع أن الحر كان شديداً، ولكن قوات إبراهيم باشا استطاعت رد هذا الهجوم بصعوبة في النهاية، ووقع عدد كبير منهم بين قتيل وجريح[3]. وبسقوط عرقة يكون إبراهيم باشا قد أحكم الحصار بدرجة كبيرة حول

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠. الفرق في التوقيت بين وقعة الرفيعة وعرقة يوم واحد فقط.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٠، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧١ ـ ١٧٢، لم تشر الوثائق العثمانية إلى معركة أخرى في عرقة غير تلك التي حدثت في ١٥ شعبان.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧١، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع =

الدرعية خلال هذه المدة من الحرب مع استمرار المعارك والقتال في كل الجهات، وكانت في أغلبها سجالاً بين الطرفين.

ولكن أوضاع الفريقين أصبحت متباينة في هذه المرحلة، فبينما كانت القوات العثمانية تزداد قوة، كانت أوضاع أهل الدرعية في تراجع، فطول مدة الحصار، الذي زاد على خمسة أشهر متواصلة، أضعف الروح المعنوية لأهل الدرعية نتيجة لسوء الأوضاع المعيشية والصحية وغلاء الأسعار وويلات الحرب، إضافة إلى التأثير السيّئ الذي تسبب به انضمام بعض أتباع الدرعية إلى قوات إبراهيم باشا ومساندتها في القتال أو خروجهم إلى أوطانهم، فأعداد المدافعين في تناقص مستمر سواء بسبب كثرة القتلى في المعارك أم بسبب خروج كثير من المدافعين عن الدرعية منذ بداية الحصار حتى هذا الوقت، كما أن الإمدادات الخارجية بدأت تقل خصوصاً أن إبراهيم باشا حاول إحكام الحصار بالسيطرة على البلدان المجاورة للدرعية سواء بدخولها طواعية تحت طاعته(١)، أو عسكرياً(٢)، كما أنه عمل على توزيع قوات من البدو وعلى رأسها فيصل الدويش على مسافات متفاوتة حول الدرعية؛ وذلك لمنع وصول أي مساعدات من البدو التابعين للدرعية(٣)، محاولاً بذلك التعويض عن عدم إحكام توزيع قوات عسكرية حول أسوار الدرعية بشكل كامل. في حين أن الإمدادات كانت تصل إليه بشكل متصل منذ بداية الحصار، وقد وصلته خلال هذه المرحلة

= عشر، ص ٥٧٧، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٨١، والبطريق، ذكرى البطل، ص ١٧، وأصيب خلال هذه المعارك الطبيب جنتلي أحد أعضاء الفريق الطبي المرافق للحملة في ساقه وبترها زميله تودسكيني.

(١) مثل الرياض والخرج ومنفوحة وغيرها. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠.

(٢) مثل عرقة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧١.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧١.

إمدادات ضخمة من مصر والعراق[١] والأحساء[٢].

كان لعدم توازن القوى بين الطرفين تأثيره في سير أحداث الحصار في هذا الوقت، إذ يبدو أن الإمام عبدالله بدأ يفكر في التفاوض مع إبراهيم باشا على وقف القتال والوصول إلى تسوية ترضي الطرفين، فقد أشارت عدة وثائق إلى طلب الإمام عبدالله الصلح من إبراهيم باشا أكثر من مرة[٣].

ويبدو أن غصاب بن شرعان العتيبي خرج من الدرعية منتدباً من الإمام لطلب الصلح، فقد أشارت إحدى الوثائق العثمانية المرسلة من محمد بن عريعر بالعربية إلى داود باشا والي بغداد ذكر فيها مثل ذلك حين قال «وفي حال تاريخ مدة الطارش [أي الرسالة وهي بتاريخ ٢٦ شوال] مال علينا خادمك ابن قرار طارش [مرسول] لنا من إبراهيم باشا ويذكر أن غصاب بن شرعان مطرشه [مرسله] عبدالله يم إبراهيم ومطرشه يطلب العفو... وعيا [رفض] إبراهيم ما جبل منه [ما قبل منه] وقال ما أصالحكم إلا على عبدالله بن السعود أما اتركوه لي أرسله يم السلطان وإلا رأسه أو ديته، وكفوا طلب الإصلاح مني لأن جاني منكم طارش ذبحته»[٤].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ص ٤٠٧، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٢، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٨، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦١.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٩ (H.H19529D) بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٣هـ.
وكانت الأحساء في هذا الوقت قد سقطت في يد آل عريعر التابعين للدولة العثمانية، وسيرد لاحقاً تفاصيل هذا السقوط.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ١ (H.H19529D) بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٦ ـ ١(H.H19529D) ١٢٣٣هـ.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ١ (H.H19529D) بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٣٣هـ.

هذه الوثيقة تعطي دلالات جديدة عن أسباب خروج غصاب من الدرعية، وفي الحقيقة لم يذكر ابن بشر أي سبب لخروج غصاب من الدرعية، بل إنه لم يشر حتى إلى كونه خان الإمام عبدالله كما تذكر بعض المراجع[١]، فقد ذكر ابن بشر: «أنه لما كان آخر الحصار خرج من الدرعية غصاب العتيبي وكان خروجه منها وقت الهجيرة، وقصد الباشا وهو ممن يظن به الصدق مع آل سعود والصبر معهم، وكان رئيس الخيالة في الدرعية، فلما خرج قوي عزم الباشا على الحرب، وقرب القبوس من البلد، وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروجه»[٢]. وهنا نلحظ أن ابن بشر أولاً: أشاد بإخلاص غصاب وصدقه مع آل سعود، وثانياً: لم يتطرق إلى موضوع الخيانة قطّ، ولكنه وضح أن خروج شخص مثل غصاب هو مدعاة لتقوي العدو به في حين كان ضربة معنوية قوية ضد أهل الدرعية، وهذه الوثيقة تؤيد ظاهر رواية ابن بشر، إذ إن من ذكر أن غصاب خان اعتمد على ما ذكره ابن بشر بعد ذلك عندما تطرق إلى أن من خرج من أهل الدرعية وغيرهم إلى الباشا أخبروه بعوراتها، وهذا الأمر كان يحصل منذ الشهر الأول من الحصار، كما ذكر ابن بشر، وأشرنا إليه سابقاً في بداية الحصار، وعليه نجد أن خروج غصاب إلى الباشا كان بأمر من عبدالله بن سعود نفسه أو أن غصاب آثر الخروج كغيره ممن كانوا في الدرعية، وعندما طلب ذلك من الإمام عبدالله طلب منه الإمام أن يتجه إلى الباشا لعرض الصلح كما تذكر الوثيقة، ولعل إبراهيم باشا احتجزه، وهذا هو الأرجح حتى لا يدعه يعود إلى الدرعية مرة أخرى ليضعف مقاومتها، خصوصاً أن الوثيقة تذكر أن الباشا هدد بقتل من يقدم إليه مستقبلاً في طلب الصلح قبل أن يصل إلى هدفه، وهذا ينفي تهمة الخيانة عن غصاب.

---

(١) فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦١، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ج١، ص ١٨٢.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣ ـ ٤١٤.

وفي مقابل تفكير الإمام عبدالله بن سعود بالصلح والتفاوض، كان إبراهيم باشا يفكر في الهجوم على الدرعية وانتزاعها بحد السيف في أقرب فرصة ممكنة، وهذا ما يقتضيه حال كلا الطرفين واختلال توازن القوى بينهما، وسنرى لاحقاً تفصيلات ذلك في المرحلة الرابعة من هذا الحصار.

جعل إبراهيم باشا من هذه المرحلة فرصة للاستعداد وإعادة تعبئة قواته، وتدريب القوات الجديدة، وتنظيم الإمدادات التي وصلته خلال هذه المدة، كما قام بعدة إجراءات أخرى قصد منها إضعاف الجبهة الداخلية للدرعية؛ وذلك بمنحه الأمان لكل من يخرج من الدرعية حتى يشجع المدافعين عنها على ترك القتال والخروج منها[1].

المرحلة الرابعة[2] ١ ـ ٩ من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٢ ـ ١٠ سبتمبر عام ١٨١٨م):

قرر إبراهيم باشا مع دخول شهر ذي القعدة القيام بهجوم عام على ما تبقى من أجزاء الدرعية عازماً بذلك على إنهاء الحصار والاستيلاء على الدرعية، واختار إبراهيم باشا هذا التوقيت بالذات للقيام بهذا الهجوم لعدة أسباب هي:

- تغير ميزان القوى لمصلحته بشكل كبير في هذا الوقت نتيجة سوء أحوال الدرعية بعد طول الحصار وخروج كثير من المدافعين ورجوعهم إلى أوطانهم، وفقدانها فرقة خيالتها بخروج غصاب العتيبي ومن معه، في مقابل تحسن أوضاع جيشه بوصول إمدادات جديدة، كما وضحنا في المرحلة الثالثة.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٢.
(٢) انظر خريطة رقم ١٠ ـ ١١.

- حصوله على معلومات مهمة عن مداخل الدرعية وثغراتها ممن خرج منها من أهلها أو من أهل البلدان النجدية الأخرى. ويذكر ابن بشر في ذلك «أنه لما خرج من خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا، أخبروه بعوراتهم وغراتهم، وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شدة في الحرب، وبالموضع الذي يتفرقون عنه بالليل وبالموضع الذي ليس فيه إلا قليل، وبالموضع الذي يدخلون منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون»(١). وقد استطاع بهذه المعلومات أن يتم استعداداته للهجوم العام بأخذ الاحتياجات اللازمة، وإعداد الخطط المناسبة للهجوم دون أن يعرض جيشه لخطر الدخول إلى أحياء الدرعية، واقتحام خط الدفاع المتأخر لها.

- إنفاذ حملة خليل باشا المكونة من ثلاثة آلاف رجل التي وعد محمد علي باشا بإرسالها منذ مدة، فقد كان هذا الأمر مدعاة لإبراهيم باشا بشكل كبير حتى يقوم بالهجوم قبل وصول الحملة إلى شبه الجزيرة العربية؛ وذلك حرصاً على مجده الحربي(٢). ومع أن إبراهيم باشا كان يفضل عدم إرسال هذه الإمدادات بقيادة خليل باشا فإنه حاول تطمين والده في إحدى رسائله بأنه لم يدخل نفسه شيء من إرساله خليل باشا على رأس تلك الحملة مع أنه يفكر في أن إتمام مسألة الدرعية وارد، سواء انتدب خليل باشا أو لم ينتدب، ولكنه لم يستطع أن يصرح بشعوره السلبي منه علانية لوالده، بل إنه حاول أن يصور له أنه ممتن بهذا، فقد ذكر في رسالته «أنه مما لا شك فيه أن يكون قدوم المشار إليه [يقصد خليل باشا] لهذه الجهات باعثاً على الافتخار لي؛ لأنه أولاً من أقاربي وثانياً معاونته لي لا تقاس بمعاونة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٤.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٢ ـ ١٧٣، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٨، البطريق، ذكرى البطل، ص ١٨.

غيره، وفضلاً عن ذلك فإن صداقته لأفندينا من البديهي، وقدومه يوجب السهولة للمصلحة، إذ إن العربان في بر الحجاز يقولون فيما بينهم حضر باشا»[(١)]. أي أن حضور قائد برتبة باشا له هيبة أكبر في نفوس البدو.

على الرغم من ذلك كان إبراهيم باشا حريصاً على ألا يشاركه أحد في هذا المجد الذي وصل إليه، وتنبع غيرة إبراهيم باشا من وصول هذه الحملة لكون خليل باشا يحمل رتبة الباشاوية مثله، وأنه من أقاربه، وهذا يعني مشاركته في قيادة الجيش، فلو كانت تلك الإمدادات وصلت إليه بقائد أقل رتبة من خليل باشا لكان إبراهيم باشا سعد بها[(٢)].

وقد وضح إبراهيم باشا رغبته تلك في رسالته لوالده دون أن يوضح صدق نواياه، فذكر أن سبب رغبته في الإسراع بالهجوم قبل وصول حملة خليل باشا إنما كان لتوفير مصروفات الحرب بقدوم هؤلاء العساكر واختراقهم نجداً إذ قال: «وحيث إن الحالة هكذا فإن الرغبة التي حصلت لعبدكم [يقصد نفسه] في الإبرام والسعي في ذلك (أي الهجوم على الدرعية بالسيف) إنما كانت فقط في سبيل عدم حصول المصاريف بقدوم العساكر»[(٣)].

- وكان إبراهيم باشا حريصاً على إنهاء الحرب بهجوم قوي وأخذ الدرعية بالسيف؛ وذلك رغبة منه في إعطاء نفسه مجداً حربياً أكبر، وقد وضح ذلك في رسالته لوالده إذ ذكر: «أن ورود عساكر كثيرة

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥،وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) أرسل إبراهيم باشا خليل باشا بعد وصوله إلى المدينة إلى تهامة عسير للقضاء على ثورتها. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٠.

(٣) دار الوثائق المصرية،وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥،وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

بهذه الدرجة هو فخر عظيم لعبدكم [أي نفسه] كما أنه لو حصل بعناية الله تعالى فتح الدرعية بالسيف لكان فخر ذلك أكثر مما إذا كان الفتح بالمحاصرة»[١].

أعد إبراهيم باشا خطة محكمة للهجوم العام على الدرعية سراً، وجعل موعد تنفيذها مفاجئاً أيضاً، فبدأ تنفيذها في اليوم الخامس من شهر ذي القعدة[٢] (السادس من سبتمبر) فقد أعطى الأوامر بتنفيذها قبل ساعتين من طلوع الفجر فقط[٣]. أما خطته فكانت تعتمد على فتح جبهات القتال في كل أنحاء الدرعية والهجوم عليها من كل جهة[٤]، فأرسل في ليلة الهجوم فرقة من الجيش ومعها مدفع إلى جنوب الدرعية وأمرها بإشعال القتال على من هناك من المدافعين[٥]، كما أرسل خمس فرق من الخيالة والمشاة[٦] إلى أوزون علي في جنوب غرب الوادي، وكمنوا عنده ينتظرون الأوامر، في حين فتح إبراهيم باشا ومن معه النار على المدافعين في الضفة الشرقية للوادي.

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق المعية السنية، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) يذكر ابن بشر أن بداية الهجوم في اليوم الثالث من ذي القعدة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٤.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٦، وثيقة رقم١١، بتاريخ ٢٣ من المحرم سنة ١٢٣٤هـ. ابن بشر، ج١، ص ٤١٤، وحيرت أفندي، رياض الكتبا وحياض الأدبا، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٤٢هـ، ص١٠١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٤.

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ.

وقصد إبراهيم باشا من هذه الخطة أن يشغل أهل الدرعية في أكثر من جبهة قتال من جهة، وأن يخلي الجبهة الجنوبية الغربية التي كانت ترابط فيها قوات عبدالرحمن بن سعود على شاطئ شعيب كتلة من جهة أخرى، وذلك عندما أمر قوات أوزون علي بعدم القتال حتى يبدأ هو هجومه في الجهة المقابلة، وذلك حتى تنحاز القوات الموجودة في تلك الجهة إلى المدافعين في الجهة الشرقية لمساعدتهم[١]، فلما كان وقت طلوع الفجر تقدمت قوات أوزون علي إلى برج عبدالرحمن بن سعود الذي يطل على نخيل مشيرفة[٢]، فوجدوه خالياً فدخلوا معه، واستولوا على النخل، وتركزوا في البرج بعد أن فتحوا في جداره المقابل لجهة البلد فتحة ليستخدموها في التصويب على أهل الدرعية[٣].

في هذا الوقت كان القتال مشتعلاً في أكثر من جبهة في الدرعية، وقاوم المدافعون هذا الهجوم بكل قوة، ولكنهم تفاجؤوا وهم في شدة القتال بأن قوات أوزون علي قد أتتهم من الخلف من جهة مشيرفة[٤]، فأصبحت القوات السعودية محاطة بالمهاجمين من كل جهة فاضطروا إلى التفرق والتراجع بحيث عاد أهل كل حي إلى منازلهم وتحصنوا بأسوارهم ومقاصيرهم[٥]. وقد لاحقتهم قوات إبراهيم باشا، واشتبك الطرفان عدة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٤.
(٢) مشيرفة، نخل سعود بن عبدالعزيز يقع على الضفة الغربية لوداي حنيفة. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٤
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٤.
(٤) يذكر مانجان أن إبراهيم باشا استطاع تسريب (٨٠٠) من المشاة عن طريق ممر صغير أهمل السعوديون مراقبته. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٣.
(٥) كانت الدرعية عدة أحياء منفصلة كل منها محاط بسور «انظر ص١٩٣ من هذا الكتاب، وخريطة رقم ٣.

اشتباكات في طرقات البلد وممراتها[١].

وبذلك استولت قوات إبراهيم باشا على الجهة الغربية والوسطى من الدرعية[٢]. وتكبد السعوديون عدداً كبيراً من القتلى والجرحى في هذه المواجهات نتيجة لهذا الاختراق غير المتوقع والسريع لأحياء الدرعية، كما قتل الأمير إبراهيم بن سعود[٣]، وأصيب محمد بن مشاري بن معمر في هذه الاشتباكات. ويتضح من هذه النتيجة أن سبب هزيمة السعوديين واضطرارهم إلى التقهقر يعود إلى تركهم أحد أركانهم مكشوفاً وخالياً من الحراسة وسقوط عدد من قادتهم في بداية عملية الهجوم، وهذا فاجأ السعوديين وأربكهم[٤].

معركة غصيبة:

نتيجة لاختراق قوات إبراهيم باشا شمال الدرعية ووسطها تمكنت هذه القوات من تضييق الخناق على غصيبة[٥]، ومحاصرة قلعتها التي تحصن فيها سعد بن عبدالله بن سعود ومعه عدة رجال من أعيان الدرعية

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٥، وذكر مانجان ما يشبه ذلك أيضاً. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٣ ـ ١٧٤. انظر الخريطة رقم ١٠.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، وحيرت أفندي، رياض الكتبا، ص١٠١.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٥، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧٧ (H.H19685A) بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٤

(٥) وردت تسمية هذه المنطقة في الوثائق بـ «علوي الباطن» دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، وحيرت أفندي، رياض الكتبا، ص١٠١، ويقصد بها أنها في جهة علو الوادي الذي ينحدر منه السيل بصفتها أولى المناطق السكنية في الدرعية في تلك الحقبة.

وغيرهم[١]، وكثف إبراهيم باشا الهجوم على جدران هذه القلعة بالمدافع[٢] لمدة يومين[٣] حتى سقطت في اليوم السابع من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٨ سبتمبر عام ١٨١٨م)، وقبض على سعد بن عبدالله أسيراً عند إبراهيم باشا[٤].

خلال اقتحام إبراهيم باشا أحياء الدرعية وتكثيف القتال على الضفة الشرقية للوادي، وعلى منطقة سمحان على وجه الخصوص، قرر الإمام عبدالله بن سعود الذي كان يعسكر بين بابي الظهرة وسمحان التراجع إلى الطريف الأكثر تحصيناً وأماناً. فترك معسكره ومدافعه في محلها[٥] وتراجع إلى قصره في الطريف، فتقدمت قوات إبراهيم باشا، واستولت على سمحان ونقل إبراهيم باشا مقر قيادته إلى معسكر الإمام عبدالله الخالي[٦].

---

(١) قدرهم إبراهيم باشا في تقاريره لوالده بـ (٥٠٠) رجل، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، في حين يذكر مانجان أنهم (١٥٠) رجلاً. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٥.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٥.

(٣) يذكر مانجان أنها ثلاثة أيام. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٥.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، وحيرت أفندي، رياض الكتبا، ص١٠١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٤ ـ ١٧٥، وفي وثيقة أخرى ذكر أنه قتل في هذه الاشتباكات وهذا أول خبر يذكر مثل ذلك عن سعد بن عبدالله الذي لم يعد له ذكر في المصادر بعد ذلك. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ.

(٥) يبدو أن الإمام عبدالله تفاجأ بالتقدم السريع لإبراهيم باشا فلم يسعفه الوقت لنقل مدافعه إلى الطريف، وهذا اضعف الجبهة السعودية في معركة الطريف بعد ذلك.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٥ ـ ٤١٦.

معركة السهل:

عندما استولت قوات إبراهيم باشا على سمحان أصبحت تشرف على منطقة السهل[١]، واستطاعت اقتحام باب الظهرة بعد هجوم عنيف بالمدافع فدخلت مجموعة من العساكر إلى منطقة السهل، وقامت حرب شوارع عنيفة بين الطرفين.

وقد استمات أهل السهل في الدفاع، وكان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على رأس هؤلاء المدافعين، وعلى الرغم من تقدمه في السن فإنه حرص على تشجيع أهل السهل على الدفاع، وقد استطاعوا بالفعل إجبار قوات إبراهيم باشا على التراجع عن هذه المنطقة. وكان لدفاعهم القوي هذا أثره في قبول إبراهيم باشا طلب الصلح الذي تقدموا به؛ وذلك في اليوم السابع من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (الثامن من سبتمبر عام ١٨١٨م)[٢]، وسيرد لاحقاً تفصيلات هذا الصلح.

أشاع سقوط غصيبة والسهل[٣] اليأس والقنوط بين السعوديين فخرج كثير من أهل الدرعية[٤] ومن المدافعين عنها إلى خارجها، وسمح لهم

---

(١) تتكون من عدة أحياء هي البجيري والحوطة والنقيب والمريح.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٦، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨١، لم تورد الوثائق العثمانية شيئاً عن هذه المعركة أو هذا الصلح المنفرد.

(٣) كانت المعارك قائمة في وقت واحد في هذين الحيين، وقد استسلما لإبراهيم باشا في الوقت نفسه أيضاً. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٨، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٥.

(٤) يذكر مانجان أن من بين الفارين في هذا الوقت الأمير سعود بن عبدالله بن محمد الذي كان حاكماً لضرما (لم يكن حاكماً، لها بل أمير الحامية التي أرسلها إليها الإمام عبدالله عندما هاجمها إبراهيم باشا) وأن جماعة من الفرسان قبضت عليه وسلمته لإبراهيم باشا فأمر بقتله؛ لأنه حنث بوعده الذي قطعه لإبراهيم باشا قبل مغادرته ضرما بألا يحمل السلاح في وجهه بعد ذلك. مانجان، ص١٧٦، في حين يذكر ابن بشر أن سعود بن عبدالله فر من الدرعية بعد سقوط الطريف. ابن بشر، عنوان المجد،ج١، ص٤١٨.

إبراهيم باشا بمغادرتها والذهاب إلى حيث يحلو لهم[١].

ويذكر مانجان أنه لم يبق حول الإمام عبدالله سوى عدد قليل من المقاتلين إلى جانب حرسه الخاص والمؤلف من (٤٠٠) عبد أسود[٢].

معركة الطريف[٣]:

بعد سقوط السهل تقدمت قوات إبراهيم باشا لمحاربة الإمام عبدالله المتحصن في الطريف[٤]، وبدأ إبراهيم باشا يعد العدة لهجوم قوي على هذا الحي[٥] الذي كان أقوى أحياء الدرعية تحصيناً، فضلاً عن الحماية الطبيعية التي يوفرها له موقعه الجغرافي.

قدم إبراهيم باشا مدافعه إلى رأس جبل باب سمحان[٦] على الضفة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ص ٤١٧، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٦.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٦.

(٣) انظر الخريطة رقم ١١.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٧.

(٥) هناك روايتان حول معركة الطريف إحداهما لابن بشر، والأخرى في الوثائق العثمانية وهي في الأصل رسالة من رجل يقال له الشيخ سالم من أهل الكويت إلى الشيخ محمد ابن إبراهيم العبدالرزاق الذي بعثها هو إلى داود باشا والي بغداد حول المعارك التي دارت في قلعة الطريف، وقد استقى أخباره من مكاتيب بعثها الشيخ ماجد العريعر له وصورة من رسالة لإبراهيم باشا تتضمن هذه الأحداث، ويوجد بين هاتين الروايتين عدة جوانب متشابهة، لذلك رأيت أن أوفق بينهما في ذكر تفصيلات هذه المعركة مع إيضاح الاختلافات.

(٦) تذكر الوثائق العثمانية أنه نصب مدافعه في مكان يقال (الزلال) أو (التلال)، وفي الحقيقة لا يعرف تحديد موقع هذا المكان في الدرعية بدقة، ولعله قريب من رأس جبل سمحان، فهو المكان الذي ذكر ابن بشر أن إبراهيم باشا قذف الطريف منه. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/٢ ـ ٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ. وقد ورد ذكر الزلال في قصيدة لبنت الأمير محمد بن سعود تصف فيها حملات عثمان بن معمر=

الشرقية للوادي لضرب الطريف بالقنابل[١]، واستطاعت هذه الضربات أن تهدم أجزاء من قصور آل سعود في الطريف، ولكن الإمام عبدالله استطاع أن يواجه هذه الضربات بمن انحاز إليه من أهل البجيري وأهل النواحي فصارت معركة كبيرة حيث أخرج الإمام عبدالله المدافع الموجودة في قصره ووضعها في مصلى العيد لمواجهة القوات العثمانية المهاجمة له من جهة مصلى العيد، ورمى بها هذه القوات[٢]، ثم قرر إبراهيم باشا أن يهجم على الطريف من جميع الجهات فقسم قواته إلى أربع فرق: فرقة تقدمت للطريف من جهة النصرية من شرق الطريف، وفرقة من جهة مناخ الحاج من شمال شرق الطريف، وفرقة من جهة الظهرة من شمال الطريف، وفرقة من جهة مصلى العيد شمال غرب الطريف[٣]، ويلحظ أنه لا توجد قوات من جهة جنوب الطريف؛ لأنها منطقة جبلية وعرة يصعب تسلقها.

= على الدرعية حيث قالت:

ما شاقني كود شربة لابن معمر تطل على الزلال كل عشية

وذكر البسام أنه موضع قرب سور الدرعية، ولكنه لم يحدد في أي جهة فالسور يحيط بجميع جوانب الدرعية. عبدالله البسام، علماء نجد، ج١، ص١٤٥.

كما ذكر ابن بشر أن عريعر بن دجين أمير الأحساء حاصر جهة من الدرعية سنة ١١٧٨هـ فوزع جنوده في المنطقة بين قري قصير وقري عمران، وذكر أن المهاشير من بني خالد نزلوا على الزلال وأهل الأحساء وبقية بني خالد قصدوا جدار سمحان، وأهل سدير والوشم قصدوا قري قصير. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٩٧ ـ ٩٨، وهذا يعني أيضاً أن الزلال في الجهة الشرقية للدرعية في منطقة قريبة من سمحان، ويبدو أنه يطل على الوادي.

(١) تبلغ المسافة بين رأس جبل سمحان والطريف قرابة نصف كيل ومع أن وادي حنيفة يفصل بين المنطقتين فإن ارتفاع منطقة سمحان عن الطريف ساعد على سهولة قذف المنطقة من هذا المكان.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٧.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ.

واشتد القتال بين الطرفين بالمدافع والبنادق، ولكن الإمام عبدالله قرر أخيراً الاستسلام وطلب الصلح[١] بعد أن تفرق عنه أكثر من كان عنده[٢]، ورأى أن لا فائدة من مطاولة القتال، فبعث بذلك إلى إبراهيم باشا فتوقف القصف المدفعي وبدأت مفاوضات الصلح[٣]، وذلك في اليوم التاسع من شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (١٠ سبتمبر عام ١٨١٨م)[٤].

من خلال استعراض مراحل استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية كما سبق أن وضحنا نجد أن مصطلح حصار لم يكن دقيقاً جداً، فإبراهيم باشا لم يفرض حصاراً كاملاً على الدرعية كما سبق أن وضحنا من خلال استعراض توزيع قواته، وإنما كان يحاصر قطاعات من البلدة المستطيلة ويلتف حول ذلك القطاع ليستولي عليه ثم ينتقل إلى قطاع آخر وهكذا، والواقع أن الذي حصر نفسه في داخل الدرعية هو الإمام عبدالله والمدافعون الذين لم يستغلوا عدم إحكام الحصار حول الدرعية للإفادة من ذلك.

سقوط الدرعية واتفاقيات الصلح:

على إثر الهجوم الكبير الذي قام به إبراهيم باشا على ما تبقى من الدرعية في السهل وغصيبة والطريف استسلمت الدرعية بكاملها، وعقد

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٧.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٧.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦ ـ ١٧٧

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٧، حيرت أفندي، ورياض الكتبا، ص ١٠١، ويذكر مانجان أن استسلام الدرعية في ٩ سبتمبر. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦. انظر خريطة رقم١٢.

إبراهيم باشا ثلاث اتفاقيات منفصلة للصلح في الدرعية ـ حسب رواية ابن بشر ـ كانت أولها مع أهل السهل؛ وذلك في يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (الثامن من سبتمبر عام ١٨١٨م) حيث خرج إليه وفد من أعيان الدرعية مكون من عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد، والشيخ علي بن محمد ابن عبدالوهاب، ومحمد بن مشاري بن معمر وفاوضوه على عقد صلح عام على جميع الدرعية، ولكن إبراهيم باشا رفض ذلك، واشترط تسليم الإمام عبدالله لنفسه أولاً، وأصر على أن يكون الصلح مقتصراً على السهل فقط، فصالحوه بالأمان على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه ديارهم، ودخل جيش إبراهيم باشا السهل لمحاربة الإمام عبدالله في الطريف(١).

وأشار مانجان إلى هذه الاتفاقية أيضاً فيذكر أن أهل السهل ـ ويضيف إليهم أهل غصيبة ـ استسلموا لإبراهيم باشا بشرط ألا يدخل جيشه هذين الحيين إلا بعد الاستيلاء على الطريف(٢). ولكن إبراهيم باشا لم يوف بتعهداته، فابن بشر ذكر أن قوات إبراهيم باشا دخلت حي السهل لمحاربة الإمام عبدالله في الطريف كما سبق أن ذكرنا، ويذكر مانجان أن قوات إبراهيم باشا اضطرت إلى الدخول إلى غصيبة أيضاً لتسهل عليها العمليات الحربية ضد الطريف(٣).

أما الاتفاقية الثانية فهي التي عقدها إبراهيم باشا مع الأمير سعد بن عبدالله الذي اعتصم في قصر غصيبة، وعقد معه إبراهيم باشا اتفاقاً في اليوم نفسه الذي صالح فيه أهل السهل على أساس الأمان والخروج من القصر(٤). ويذكر مانجان أن سعد بن عبدالله لم يوقع اتفاقية تسليم مع

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٦ ص ٤١٧، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦٣.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٨.

إبراهيم باشا ووثق في أريحية إبراهيم باشا الذي أخذه أسيراً[١].

أما الوثائق العثمانية فقد أشارت إلى أن أهل الدرعية عرضوا على إبراهيم باشا الصلح أكثر من مرة منذ بداية الحصار، ولكنه رفض التفاوض معهم إلا بتسليم الدرعية، وخروج الإمام عبدالله إلى السلطان[٢].

وقد أشارت وثيقة عثمانية إلى اتفاقية السهل فذكرت أن محمد بن مشاري وعلي ابن الشيخ التمسا الأمان من إبراهيم باشا فمنحهما إياه وأبقى عليهما، في حين أعدم سعود ابن عم الإمام عبدالله بعد أن قبض عليه. كما أشارت الوثيقة إلى اتفاقية قصر غصيبة فذكرت أنه قُبض على سعد بن عبدالله، وأنه التمس الأمان فمنح إياه[٣].

أما الاتفاقية الثالثة فكانت بعد سقوط الطريف آخر معاقل الدرعية، إذ أدرك الإمام عبدالله أنه لا فائدة ترجى من إطالة المقاومة، فأرسل إلى إبراهيم باشا يطلب التفاوض معه فأجابه إلى ذلك، واجتمع الطرفان لتقرير شروط الاتفاق.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص ١٧٥.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، وثيقة رقم ١/ ٩٤، بتاريخ ٩ رمضان سنة ١٢٣٣هـ، وأشار الرجبي إلى أن إبراهيم باشا وعبدالله بن سعود اجتمعا في بداية الحصار قبل قيام الحرب بناء على طلب من الإمام عبدالله، وجرت بينهما مفاوضات للصلح انتهت بعدم النجاح إذ رفض إبراهيم باشا أن يصالحه إلا أن يسلم نفسه للسلطان، ولكن الإمام عبدالله رفض ذلك وخرج إلى الدرعية بعد عدم نجاح هذه المفاوضات، ويذكر أن هناك من أشار على إبراهيم باشا بأن يقبض على الإمام عبدالله بن سعود ويجنب نفسه عناء الحرب، ولكنه رفض، لأنه سبق أن وعده بالأمان فخرج الإمام عبدالله سالماً من عنده وقامت الحرب بينهما. الرجبي، تاريخ الوزير محمد علي، ص ١٥٨ ـ ١٥٩، وهذه رواية غريبة؛ لأنه لم يرد في الوثائق العثمانية والمصادر المحلية والأجنبية المتوافرة أن إبراهيم باشا اجتمع بالإمام عبدالله قبل سقوط الدرعية.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ١٥٣ (H.H19685A) بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

وقد اختلفت الروايات في تفصيلات هذا اللقاء والشروط المتفق عليها، فابن بشر لم يذكر شيئاً عن هذا الاجتماع المزعوم الذي عقد بين إبراهيم باشا والإمام عبدالله، وكل ما ذكره هو أنهما تصالحا في التاسع من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (١٠ سبتمبر عام ١٨١٨م) على أن يسلم الإمام عبدالله نفسه، وأن يخرج إلى السلطان[١].

كما أن الوثائق العثمانية لم تفصل أيضاً في أحداث هذا الصلح، وكل ما ذكر أن الإمام عبدالله طلب الأمان من إبراهيم باشا فمنح الأمان[٢]، وأنه جاء في وفد مكون من أربعة أشخاص من أبناء آل سعود وآل الشيخ، وأنهم استسلموا لإبراهيم باشا فأرسلهم إلى مصر[٣].

أما مانجان فذكر أن الإمام عبدالله أرسل في ٨ من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٩ سبتمبر عام ١٨١٨م) مبعوثاً إلى إبراهيم باشا يطلب إيقاف الحرب والجلوس للمفاوضات، وأن إبراهيم باشا أجابه إلى ذلك على الفور، وقد وفد الإمام عبدالله على خيمة إبراهيم باشا يرافقه مئتان من أتباعه، ثم تحدث مانجان عن تفصيلات لقائهما وعن حسن معاملة إبراهيم باشا للإمام عبدالله، وأنه عرض عليه أن يعطيه البارود والذخائر اللازمة إذا كان يريد الاستمرار في الحرب، وأن الإمام عبدالله بن سعود رفض وأقر بنصر الله لإبراهيم باشا[٤]، وفي الحقيقة فإن مثل هذا الكلام مبالغ

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٧.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، رقم ١/ ٧٥ بتاريخ ١٥ ذي العقدة سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١١ من المحرم سنة ١٢٣٤هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٤ ـ ١٨ (H.H19529E) بتاريخ ٣ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ.

(٤) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

فيه؛ فلا يعقل أن يقترح إبراهيم باشا هذا الأمر إلا إذا كان من باب السخرية، ويبدو أن المؤلف هنا يحاول أن يظهر جوانب النبل والكرم في شخصية إبراهيم باشا التي يُشَك أن تكون من صفاته، كما هو واضح من أفعاله بعد سقوط الدرعية.

ويضيف مانجان أنهما اتفقا على السلام، ولكن إبراهيم باشا ذكر له أن هناك أمراً لا تصرف له فيه، وهو إرساله إلى مصر، وقد طلب الإمام عبدالله مهلة يوم واحد ليعطي قراره النهائي في هذا الأمر، ويشير مانجان إلى أن حسن معاملة إبراهيم باشا لعبدالله بن سعود عندما استقبله شجعته على أن يوافق على تسليم نفسه على الرغم من إمكانية هربه لو أراد، ولكنه كان خائفاً على أسرته وعلى الدرعية أن تحرق وتهدم في حال هربه، فاختار الذهاب إلى مصر فاجتمع الطرفان مرة أخرى في اليوم التالي واتفقا على أن يسلم الإمام عبدالله نفسه على رجاء ألا تمس أسرته بسوء، وألا تهدم الدرعية، وألا يعاقب الذين حملوا السلاح ضد إبراهيم[1].

وفي الحقيقة لا يعرف هل كان هذا الاتفاق قد كتب ووقع من الطرفين إذ لم يرد حسب ما هو متوافر في المصادر المعتبرة أن ذكر مثل ذلك، ولم توجد وثيقة رسمية بهذا الصلح ـ إذا صح التعبير ـ بصفته اتفاقية صلح إذ إن هذا الاتفاق هو اتفاقية استسلام فرض فيها المنتصر شروطه دون اعتبار لأي طلبات للجانب المنهزم، ويبدو ذلك في ظاهر عبارة مانجان التي ذكر فيها أن الإمام عبدالله بن سعود طلب من إبراهيم باشا ألا يهدم الدرعية، وألا يعاقب أسرته أو من حمل السلاح ضده. وقد انتهت أحداث السقوط بخروج الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر برفقة عدد من رجاله المخلصين، ذكر مانجان أنهم خازنه وكاتبه اللذان يرافقانه

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٩، وأحمد مرسي عباس،العسكرية السعودية، ص ١٥٩ ـ ١٦٠، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٨٤.

مع حاشية مكونة من عدد من عبيده الخاصين ويحرسهم (٤٠٠) جندي عثماني يقودهم رشوان أغا[١].

أوضاع أهالي الدرعية في أثناء الحصار:

توقفت عجلة الحياة اليومية تقريباً في الدرعية في أثناء الحصار إذ انشغل أهالي الدرعية بالدفاع عنها، وكان هذا الانشغال من قبل الحصار أيضاً؛ إذ صبوا أكثر اهتمامهم على تجهيز وسائل الدفاع اللازمة عن بلدتهم من بناء الأسوار والأبراج والمتاريس وغيرها، ونتيجة لاتصال القتال في كل أنحاء الدرعية، واستمراره بشكل متصل طوال مدة الحصار التي استمرت أكثر من ستة أشهر ساءت أحوال الناس في الدرعية، فأدى هذا إلى احتمال حدوث المجاعة، إذ بدأ مخزون التموين لديهم في النفاد فَغَلَت الأسعار حتى وصل سعر القمح إلى أرقام خيالية في تلك المدة[٢].

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٩، وذكر ابن بشر أن الإمام عبدالله خرج من الدرعية تحت حراسة رشوان أغا وعدد من عساكره والدويدار بعدد من العساكر أيضاً، وكان مع الإمام عبدالله ثلاثة أو أربعة رجال فقط. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٢١. ويبدو أن هذا الدويدار الذي ذكره ابن بشر هو شخص يدعى حسين أغا إذ ذكرت إحدى الوثائق أن إبراهيم باشا أرسل الإمام عبدالله مع هذا الشخص إضافة إلى قوة مكونة من (٣٠٠ ـ ٤٠٠) من المشاة، ويبدو أنها قوة رشوان أغا. دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، رقم ١/ ٧٥ بتاريخ ١٥ ذي العقدة سنة ١٢٣٣هـ، ودارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨ ـ ٤ (H.H19529A) بتاريخ ١١ من المحرم سنة ١٢٣٤هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٤ ـ ١٨ (H.H19529E) بتاريخ ٣ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦٢، ويذكر ابن بشر أن سعر صاع البر بلغ ريالاً واحداً، وهو سعر غالٍ جداً. ومع أنني لم أتوصل إلى سعر البر بالتحديد قبل الحصار لأتأكد من مدى غلاء الأسعار إلا أن سعر الصاع كان أقل من ربع الريال؛ وذلك لأن ابن بشر ذكر أنه في سنة ١٢٢٤هـ حدث قحط ووباء شديد في نجد والدرعية تسبب في غلاء الأسعار حتى انتهى سعر البر من ثلاثة =

وكان لاشتراك عدد كبير من أهالي الدرعية في القتال أثر في تعطيل مراكز الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية التي كانت نشيطة بشكل بارز في الدرعية قبل الحصار، كما انشغل النساء والأطفال في مساعدة الرجال على القتال، فكانوا يعملون في خدمة الجنود بتوفير المياه والطعام وما إلى هنالك من خدمات[١].

وقد تسببت شدة القتال في وجود حالة من الخوف والفزع لدى الأهالي على ممتلكاتهم وأرواحهم وذرياتهم، ونشط العلماء خلال هذه المدة لتثبيت الناس قدر الإمكان، والتهدئة من روعهم، وحثهم على مواصلة القتال والجهاد في سبيل الله وحماية أبنائهم ونسائهم[٢].

ولكن سوء أوضاع الدرعية وشدة القتال فيها وغلاء الأسعار حمل كثيراً من سكان الدرعية على هجرها والخروج منها إلى المناطق الأخرى هرباً من مصاعب الحصار المفروض عليهم خصوصاً مع طول مدته[٣]، وهذا أدى إلى تشريد عدد كبير من الأسر التي فقدت ممتلكاتها ومزارعها في الدرعية، واضطرت إلى النجاة بحياتها بحثاً عن مأوى آمن لأبنائها.

= إلى أربعة آصع بريال فاعتبر أن سعر صاع البر بربع ريال غلاءً فما بالنا بسعره وقت الحصار وهو مضاعف نحو أربعة أضعاف. ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٩٨.

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧١، والرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٧.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١١٩، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٥.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٣، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦٢.

أثر ولاة الدولة العثمانية في بغداد والشام والحجاز في حصار الدرعية:

أ ـ أثر ولاية بغداد:

قام داود باشا والي بغداد العثماني بجهد فعال في أثناء حملة إبراهيم باشا، فقد كان العراق مصدراً مهماً من مصادر تموين إبراهيم باشا في أثناء حصار الدرعية[١]، حيث وصلت إليه عدة قوافل من العراق محملة بالمؤن والذخائر والأسلحة، وعندما حصل حريق مستودع ذخيرة إبراهيم باشا نشطت قوافل إمدادات العراق في الوصول إليه في الدرعية محملة بجميع المؤن اللازمة[٢]، وأرسل إليه حاكم البصرة وحده قافلة مكونة من (١٥٠٠) جمل محملة بالأرز والشعير والطحين[٣].

كما ساند داود باشا القبائل في شرق الجزيرة العربية لإضعاف شوكة الدولة السعودية، وتخفيف الحمل عن إبراهيم باشا الذي تركزت قواته في غرب الجزيرة ووسطها[٤].

ولعل الجهد الأكبر الذي قام به داود باشا يتمثل في إرسال قوة كبيرة بقيادة كل من محمد وماجد العريعر شيخي بني خالد؛ وذلك لاسترداد الأحساء من جهة، ولتكون قوة سند لجيش إبراهيم باشا المحاصر للدرعية من جهة أخرى[٥]، إضافة إلى هدف آخر يتمثل في منع الفارين من

---

(١) الأرشيف العثماني بإستانبول، وثيقة (H.H.19529D) بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٢٣٣هـ.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١١، وفيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦١.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٤.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة١/ ٢ ـ ١٠٤ (H.H19676)، وموسيل، آل سعود، ص٩٠.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ١٩٥ (H.H19689) بتاريخ ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٦ (H.H19686) بتاريخ٥ رمضان سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٧ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ.

السعوديين والبدو والموالين لهم من التوجه إلى جهات العراق[١].

فباستخلاص الأحساء من السعوديين يُحرم الإمام عبدالله من منطقة مهمة من دولته هي آخر معاقلها، وبذلك يضيق الخناق عليه فيصعب عليه الخروج من الدرعية إلى الأحساء وتسد في وجهه جميع الطرق[٢].

وقد جهد داود باشا في دعم قوة محمد وماجد العريعر باستمرار لأداء مهمتها على الوجه المطلوب[٣].

وقبل شوال سنة ١٢٣٣هـ تمكن ماجد العريعر من استعادة الأحساء بعد أن هرب منها ابن عفيصان فيما عدا قلعة الهفوف، في حين تمكن محمد العريعر من إخضاع القطيف، وهذا يعني أن الأحساء سقطت في يد آل عريعر قبل سقوط الدرعية على خلاف ما ذكرته بعض المصادر من أن سقوطها بعد سقوط الدرعية[٤].

وقد قام محمد وماجد العريعر بجهد كبير في مساعدة إبراهيم باشا في حصاره الدرعية، ووكل إليهما إبراهيم باشا عدة مهمات عسكرية لمساعدته، أهمها توفير الخيل والجمال للجيش المحاصر للدرعية[٥].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٣٤ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ، والأرشيف العثماني باستانبول، وثيقة (H.H19689) بتاريخ ٥/ ٩/ سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة١/ ٢ ـ ١٠٤ (H.H19676).

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ١٥ (H.H19676A) بتاريخ ٩ من المحرم سنة ١٢٣٤هـ.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٠، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٧٠.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٣٥ (H.H19603) بتاريخ ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٩ (H.H19602) بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٦ ـ ٢ (H.H19529C-D) بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٣هـ.

وأرسل الشيخ ماجد أخاه محمداً بقوة إلى إبراهيم باشا ليشارك معه في العمليات العسكرية المختلفة، ثم عاد مرة أخرى إلى الأحساء[١]. كما وجه داود باشا فرقة أخرى من قبيلة المنتفق إلى نجد لمساندة إبراهيم باشا في حصاره الدرعية[٢]. وكذلك أرسل شيخ الجربا[٣] من عشائر الجزيرة الشامية ويدعى صفوق بن فارس[٤] ليكون في خدمة إبراهيم باشا، وقد بقيت هذه القبيلة معه حتى سقوط الدرعية حيث عادت بغنائم هائلة من نجد[٥].

كان اهتمام داود باشا بالمشاركة الفعالة في حصار الدرعية كبيراً جداً خصوصاً فيما يخص منطقة الأحساء، ومع أن الوثائق العثمانية تشير إلى أن إبراهيم باشا خاطب داود باشا وأرسل إليه رسالة يطلب منه تقديم المساعدات اللازمة له، سواء بإرسال إمدادات أم بقوات تشارك في الحصار، إلا أن داود باشا ذكر أنه كان من قبل وصول هذه الرسالة يسعى إلى إعداد قوات تشارك في حرب الدرعية فضلاً عن قوافل المؤن

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ١ (H.H22238) بتاريخ ١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٧ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٣٤ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) الجربا، من عبدة من شمر كانوا رؤساء جبل شمر ورحلوا عنه سنة ١٢٠٥هـ بعد هزيمتهم أمام الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى العراق برئاسة فارس الجربا. أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، آل الجرباء في التاريخ والأدب، الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٤٠٣هـ، ص ٥٠ ـ ٧٢.

(٤) صفوق بن فارس الجربا تولى زعامة قبيلته بعد والده فارس الجربا سنة ١٢٣٣هـ، وكان مضرب المثل في الكرم والجود، قتل غدراً على يد أحد ولاة العثمانيين في العراق عام ١٨٤٠م. الظاهري، آل الجرباء، ص ١٢٧ ـ ١٣٦.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة١/ ٢ ـ ١٠٤ (H.H19676).

المختلفة[(١)]. وكان حرص داود باشا هذا نابعاً من حرصه على رضا السلطان العثماني من جهة، وعلى بقاء سيادة ولاية بغداد على الأحساء من جهة أخرى؛ وذلك خوفاً من انفراد محمد علي بالسيادة المطلقة في الجزيرة العربية. وقد اتضح موقف داود باشا هذا بعد سقوط الدرعية؛ إذ عمل على تنبيه السلطان على ضرورة بقاء الأحساء تحت سيادة بني خالد، وتحت إشراف ولاية بغداد خوفاً من تعاظم نفوذ محمد علي[(٢)].

ومع أن السلطان كان يعي موقف داود باشا الحقيقي، ويخاف من تعاظم نفوذه أيضاً إلا أنه وافق داود باشا على موقفه هذا؛ لأن الخطر الأكبر كان قادماً من محمد علي في ذلك الوقت، لذلك منع محمد علي من التقدم إلى الأحساء، وأمره بالرجوع عنها.

ب ـ أثر ولاة الشام:

لم يكن لولاة الشام جهد كبير في حروب إبراهيم باشا ضد الدرعية؛ إذ تقاعس هؤلاء الولاة عن تقديم أي مساعدات فعالة للحملة على الرغم من أوامر الباب العالي لوالي الشام بالخروج إلى نجد، خصوصاً بعد تحركات الإمام عبدالله بعد عقد صلح الرس، وذلك من باب الاحتياط حتى خروج حملة إبراهيم باشا[(٣)]. هذا ما ذكرته الوثائق العثمانية من دافع الدولة إلى إخراج هذه القوات، في حين أني أرى أن السبب الحقيقي في

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٧ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٣٤ (H.H19653) بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) قورشون، زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥ ـ ١٩١٤م)، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م، ص ٩٦، ص ٩٧، ونوار، عبدالعزيز، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٦٤، بتاريخ ٢٥شعبان ١٢٣١هـ.

هذا الأمر أنه جاء رداً على إلحاح محمد علي على طلب ضم ولاية الشام إليه حتى يتمكن من الاستفادة من مواردها في تسيير حملة إبراهيم باشا، ولكن السلطان العثماني رفض ذلك خوفاً من تعاظم نفوذ والي مصر في المنطقة.

وفي مقابل ذلك كانت الدولة العثمانية تلح على ولاة الشام، ولاسيما والي صيدا ووالي الشام بجمع الجمال من عربان الشام وتقديمها إلى إبراهيم باشا، ومع أن والي الشام امتثل لأمر السلطان، وأخرج نحو عشرة آلاف جمل من الشام مع أمير الحج الشامي إلى المدينة المنورة لإيصالها إلى إبراهيم باشا[١]، إلا أن ولاة الشام بصفة عامة كانوا يتقاعسون عن تنفيذ الأوامر السلطانية بخصوص المساعدات المطلوبة لمحمد علي[٢].

ويبدو أن موقف ولاة الشام هذا من الحرب العثمانية على الدولة السعودية شجع الإمام عبدالله على محاولة الاتصال بولاة الشام لكسب ودهم أو وساطتهم لدى السلطان، فأرسل الإمام عبدالله رسالة إلى حافظ باشا ـ والي الشام ـ عندما وصل إلى المدينة المنورة بصفته أمير الحج الشامي، وأخبر والي الشام السلطان بهذه الرسالة فأمره بعدم الاهتمام بها، وعدم الالتفات إلى أي مراسلات أو اتصالات من قبل الإمام عبدالله مستقبلاً[٣].

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٦٠، بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٣١هـ.

(٢) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٢٦، بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) دار الوثائق المصرية، بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٩٤، بتاريخ ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ.

وفي الحقيقة لم تشر الوثائق العثمانية إلى خروج قوات مساندة لإبراهيم باشا في حصاره الدرعية من الشام، ويكاد ابن بشر ينفرد حسب ما ورد في المصادر المتوافرة لدينا بذكر وجود قوات من ولاية الشام مشاركة في جيش إبراهيم باشا[١]، ويبدو أن هذه القوات غير رسمية. وعلى كل حال يتضح من خلال ما سبق أن أثر الولايات العثمانية في الشام كان ضعيفاً في حصار الدرعية، واقتصر على تقديم أعدادٍ من الجمال لنقل الإمدادات للحملة، وبعض القوات التي يبدو أنها قليلة العدد اعتماداً على أنه لم يكن لها ذكر فعال في مصادر الحملة المعتبرة التي فصلت في تفصيلات جيش إبراهيم باشا وتركيبته.

جـ ـ أثر الحجاز:

عاد الحكم العثماني للحجاز سنة ١٢٣٠هـ (عام ١٨١٥م) ومارس فيها محمد علي حكماً مباشراً تحت اسم السلطان العثماني، فعين حاكماً عثمانياً عاماً للحجاز، إضافة إلى شريف مكة الذي يتبع بكل الأحوال للسلطان العثماني. وفي أثناء حملة إبراهيم باشا الهادفة إلى القضاء التام على الدولة السعودية الأولى في الدرعية كانت مهمة رجال الدولة العثمانية في الحجاز تتمثل في جانبين:

١ ـ المحافظة على انتصارات محمد علي في الحجاز، وحفظ الأمن فيها بقمع أي تمردات مناهضة للحكم العثماني أو مؤيدة للسعوديين، سواء في الحجاز أم في عسير القريبة منها.

٢ ـ تقديم المساعدات اللازمة لإبراهيم باشا، وتوفير ما يلزم من مؤن وجنود وسلاح وغيرها، وكانت المدينة وينبع على وجه الخصوص

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٨٤.

مراكز إمدادات إبراهيم باشا في الحجاز، وفيهما مستودعات ضخمة للمؤن والذخائر التي تأتي من مصر[١].

وكان لمحافظ مكة حسن باشا أثر فعال في قمع كثير من التمردات التي قامت في الحجاز نتيجة انشغال إبراهيم باشا بالدرعية[٢]. وجهز حسن باشا في نهاية سنة ١٢٣٢هـ قوة كبيرة من الفرسان برئاسة رشوان أغا رئيس الأدلاء محملة بكثير من المؤن والأعلاف، وأرسلها إلى إبراهيم باشا في نجد[٣]، وقامت هذه الفرقة بجهد فعال في حصار الدرعية.

كما كان حسن باشا يرسل المؤن وبخاصة الشعير الذي كان نادر الوجود لدى إبراهيم باشا من جدة عن طريق البحر إلى ينبع حتى يوصل منها إلى المدينة المركز الرئيس لتموين إبراهيم باشا في نجد[٤].

موقف حاضرة نجد وباديتها من حصار الدرعية:

أ ـ موقف الحاضرة:

اختلفت مواقف بلدان نجد من حصار إبراهيم باشا الدرعية، وتباينت مواقفها، فالبلدان الواقعة شمال الدرعية التي استطاع إبراهيم باشا

(١) دار الوثائق المصرية، بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٠٦، بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٣٢هـ. دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٥، وثيقة رقم ٧٢، بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧١ (H.H19563) بتاريخ ٢٣جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ١٤١ (H.H19692) بتاريخ ١٢٣٤هـ، الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٥٧٩.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٢ ـ ٣٧ (H.H19522) بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٢ ـ ٣٥ (H.H19522) بتاريخ٣ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

إخضاعها، كما سبق أن رأينا في سير حملته في نجد[١]، اضطرت إلى الخضوع بعد مقاومة عنيفة واستطاعت تأخير تقدم إبراهيم باشا إلى الدرعية ما يقارب سنة ونصف السنة. وعلى الرغم من سقوط هذه البلدان إلا أن هناك قوات مختلفة خرجت من بعض هذه البلدان للاشتراك في الدفاع عن الدرعية خصوصاً من أهل ثادق والمحمل والصفرة وسدير والقصيم والوشم وغيرها[٢].

وكذلك شاركت قوات مختلفة من بلدان جنوب نجد وهي مناطق لم يقترب منها إبراهيم باشا وخصوصاً من منطقة الحوطة والحريق التي شاركت بقوات كبيرة في الدفاع عن الدرعية، وظلت هذه المنطقة على ولائها للدرعية ومقاومتها حتى بعد سقوط الدرعية، واضطر إبراهيم باشا إلى إرسال قوات عسكرية لإخضاعها بعد سقوط الدرعية[٣]. وكان لقوات الحاضرة أثر بارز في أثناء حصار الدرعية في التصدي لهجمات قوات إبراهيم باشا، وسقطت أعداد كبيرة منهم شهداء في معاركها[٤].

ولم يقتصر دور الحاضرة في هذا الأمر فقط، بل إن كثيراً من بلدان حاضرة نجد كانت تمون الدرعية وترسل المساعدات إليها باستمرار خصوصاً أن إبراهيم باشا لم يحكم الحصار عليها في البداية، وقد تعرضت هذه البلدان، ولاسيما عرقة التي كانت قريبة جداً من الدرعية، لهجوم إبراهيم باشا حتى يمنع تدفق المساعدات التي تصل إلى الدرعية منها[٥].

---

(١) بلدان القصيم مثل الرس، والخبراء، وعنيزة، وبريدة، والمذنب، وبلدان الوشم مثل شقراء، وأشيقر، والفرعة، وبلدان ثادق، والمحمل، وسدير، وضرما.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٦، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨١.

(٤) المصدر السابق، ص ٤١٩، ص ٤٢٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٤١٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢١.

أما الجانب الآخر لموقف بعض بلدان حاضرة نجد فقد اتضح في موقف بعض زعماء البلدان النجدية خصوصاً الرياض والخرج ومنفوحة، إذ شاركت قوات مختلفة من هذه البلدان في القتال مع إبراهيم باشا في الدرعية وخارجها، واشتركت معه في معارك عرقة بهدف إخضاعها ومنعها من تقديم المساعدات إلى الدرعية[١].

وحدث هذا الموقف من هذه المناطق؛ لأنها كانت من أكثر البلدان النجدية التي قاومت الحكم السعودي عند قيام الدولة السعودية الأولى ولاسيما الرياض والخرج، وقد استغلت الأسر الحاكمة السابقة في هذه البلدان الفرصة في محاولة لاستعادة نفوذها والاستقلال بالإمارة، ورأت أن مساعدتها إبراهيم باشا وسيلة لتحقيق ذلك، ويتضح ذلك من الأحداث في نجد بعد سقوط الدرعية إذ استقل حمد بن ناصر العائذي بإمارة الرياض، وعاد آل زامل إلى إمارة الخرج. ومع أن منفوحة كانت من البلدان التي دخلت في طاعة الدولة منذ بداية قيامها ومن البلدان المخلصة للدولة على مدى تاريخها إلا أن موقف أهلها انقسم بين معارض ومؤيد؛ إذ كان في الدرعية عدد كبير من أهالي منفوحة كانوا من ضمن المدافعين عنها منذ بداية الحصار، وقتل منهم في المعارك أكثر من خمسين رجلاً[٢].

كما عانت الدرعية من موقف بعض أهالي نجد المعارضين لها، وكانوا خارجها خصوصاً في البصرة والزبير، وهؤلاء كانوا ممن جلا عن نجد وصودرت أموالهم، فوجدوا في حصار الدرعية فرصة لرد الضربة إلى قادتها بتأييد إبراهيم باشا وإرسال المساعدات والمؤن المختلفة إليه[٣].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٢٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٤١١.

ويذكر ابن بشر في إطار موقف الحاضرة من حصار الدرعية أن بعض رؤساء أهل نجد الذين ساعدوا إبراهيم باشا أشاروا عليه لما طال الحصار أن يبعث إلى أهل البلدان النجدية ليأخذ من كل بلد رجالاً يقاتلون معه في الدرعية. وبالفعل قام إبراهيم باشا بما أشاروا عليه، وبذلك اشترك مجموعة من أهالي نجد في قتال الدرعية إجباراً وخوفاً من بطش إبراهيم باشا بهم في حال رفضهم[١].

ب ـ موقف البادية:

كان محمد علي يعي جيداً أهمية قبائل البادية في تسهيل مهمته في شبه الجزيرة العربية أو تصعيبها، فوقوف البادية في جانب أي طرف كان يعني انتصاراً حاسماً بإذن الله؛ وذلك نتيجة لكثرة أعداد قبائل البدو وانتشارهم وقوتهم العسكرية، وتحملهم مشاق الحرب في الصحراء ومعرفتهم بطرقها ومسالكها.

كان للبادية أثر مهم في حروب محمد علي في شبه الجزيرة منذ بدايتها، وفي حملة إبراهيم باشا وحصار الدرعية كان موقف القبائل يتذبذب في البداية بين معارضة إبراهيم باشا أو الدخول في طاعته، وكان لسياسة إبراهيم باشا مع البدو والمتمثلة في سياسة الترغيب والترهيب أثر في تغيير مواقف كثير من القبائل التي انضمت إليه.

لقد عمل محمد علي باشا في طور استعداداته لحملة إبراهيم باشا على مخاطبة قبائل البادية، واستمالتهم إلى جانب القوات العثمانية المصرية فأرسل إلى مشايخ القبائل قبل إرسال الحملة طالباً منهم الخضوع لإبراهيم باشا[٢]، كما أرسل الشريف راجح مع الحملة للتأثير في القبائل

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠.

(٢) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩٨، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٨، والرشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٤.

وتسهيل مهمة إبراهيم باشا معهم، ويدعوهم إلى معاونته وتقديم كل ما يحتاج إليه من المؤن ووسائل النقل، فضلاً عن تقديم الحماية لقوافل الإمدادات والتموين من التعرض لها أو نهبها[١].

كانت قبائل شمال الحجاز ونجد أقل تحمساً للدولة السعودية من تلك الموجودة جنوباً، لذلك كان من السهل على إبراهيم باشا أن يكسب ولاءها، سواء بشرائها أم بتخويفها للخضوع له[٢]. واتضح ذلك بعد وصول إبراهيم باشا إلى ينبع، إذ كانت أولى خططه للوصول إلى الدرعية تقضي بإخضاع قبائل البدو التي تنتشر في الطريق الموصل إليها، فعمل عند وصوله إلى ينبع على إقامة مناورات عسكرية لعرض قواته حتى يؤثر في نفوس قبائل المنطقة، وبالفعل لما أرسل إلى القبائل المجاورة يطلب تقديم وسائل النقل اللازمة إلى جيشه اضطر هؤلاء إلى تقديم المساعدات له، وحضروا في وفود مختلفة لتقديم الولاء والطاعة[٣].

وبعد انتقال إبراهيم باشا إلى الحناكية قام بعمليات عسكرية واسعة عند قبائل المنطقة بهدف إخضاعها لطاعته، وضمان خط رجعته وتموينه من المدينة قبل أن يغامر بدخول صحراء نجد، وكانت قبائل حرب وعتيبة ومطير وعنزة من القبائل التي عانت من غاراته المتفرقة[٤]. وكانت قبيلة

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٨.

(٢) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص ٣٣.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٤، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٤،عبدالحميد البطريق، ذكرى البطل، ص ١٣.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية،وثيقة ١/٥ ـ ١٥٧ (H.H19695G) بتاريخ ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية،وثيقة ١/٥ ـ ٥٠ (H.H19695) بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ.

عنزة من أشد القبائل شوكة في المنطقة وأكثرها عدداً، في حين كانت قبيلة حرب أقل عدداً، ولكنها مشهورة ببسالتها في القتال وبثرائها نتيجة ما تحصل عليه من مرور قوافل حجاج مصر والشام بأراضيها حيث كانت تملك المفتاح الشمالي للحجاز، لذلك لم تكن أقل شأناً من عنزة في هذه المنطقة، أما مطير وعتيبة فكانتا أقل شوكةً لصغر أراضيهما، وقلة عدد أفرادهما في هذه المنطقة مقارنةً مع عنزة وحرب(١).

اختلفت مواقف بعض القبائل وتغيرت إما عن طريق القوة وإما باستمالتها بالمال وإما نتيجة لمصالح سياسية أو شخصية، ويبدو أن هذه القبائل في بداية قدوم إبراهيم باشا إلى المنطقة لم تعلن ولاءها مباشرة له، ولذلك عمل إبراهيم باشا على مواجهتها عسكرياً، وكان لتلك المواجهات العسكرية نتائج مختلفة في التأثير في مواقف بعض مشائخ هذه القبائل حيث قدم عدد منهم إلى إبراهيم باشا لتقديم خضوعهم له(٢). ومن أشهر هؤلاء غانم بن مضيان ـ أحد أكبر رؤساء قبيلة حرب ـ ويبدو أن أحد أهم الأسباب التي دعته إلى الدخول في طاعة إبراهيم باشا أمله في استرداد المكانة والامتيازات التي كانت لأسلافه في الحجاز، والتي فقدتها قبيلته على يد طوسون باشا في الحملة الأولى نتيجة لمعارضة حرب هذه الحملة وموقف آل مضيان منها(٣).

---

(١) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٣٣.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ١٥٧ (H.H19695G) بتاريخ ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٥٠ (H.H19695) بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ، ودار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ٨٣، بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٣٢هـ.

(٣) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٣٣. كان مسعود بن مضيان شيخ آل سالم من حرب من أكثر الشيوخ تحمساً لقتال طوسون باشا، وكان له فضل كبير في انتصار السعوديين في معركة الصفراء سنة ١٢٢٦هـ (عام ١٨١١م)، وكان لموقفه هذا =

ونتيجة لغارات إبراهيم باشا على القبائل ونجاحه في إخضاع القبائل البدوية لسلطته قرر الإمام عبدالله بن سعود الخروج لتأديب هذه القبائل وإرجاعها إلى حظيرة الدولة فدخل الطرفان نتيجة لذلك في تنافس في إخضاع هذه القبائل، ولكن إبراهيم باشا استطاع أن ينتصر في نهاية الأمر نتيجة لانتصاره في معركة ماوية المشهورة التي أدت إلى تقهقر الإمام عبدالله، وعدوله عن فكرة حرب الصحراء، واللجوء إلى التحصن في البلدان النجدية ومواجهة إبراهيم باشا فيها. وبذلك نجد أن إبراهيم باشا ضمن ولاء القبائل فأمَّن خطوط مواصلاته، إضافة إلى توفير أعداد كبيرة من القوات العسكرية والمساعدات خصوصاً في مجال النقل وتوفير الجمال.

كان إبراهيم باشا يجزل العطاء لهؤلاء المشايخ وقبائلهم؛ وذلك لضمان استمرار ولائهم إيماناً منه أن أغلب هذه القبائل كانت تُغيِّر ولاءها تبعاً لمصالحها[1]، وكان المصريون يدركون ذلك منذ بداية قدومهم إلى شبه الجزيرة، فقد وضح محمد علي طبيعة هذه القبائل في إحدى رسائله إلى السلطان فذكر «أن بعض مشايخ العربان جاؤوا إليه مظهرين الإخلاص فنالوا المكرمة بالكسا والعطايا، ولكن هذه الفئة كانت تبطن في نفسها التردد والشبهات، يرقبون الحال أي الخصمين سيكون الظافر تحيناً للفرص»[2].

= أثرٌ كبيرٌ في غضب طوسون باشا من قبيلة حرب بعد انتصاره على السعوديين بعد ذلك، وسقوط المدينة المنورة في يده حيث قتل مسعود بن مضيان، واستولى على كثير من أراضي قبيلة حرب. البدراني، ابن مضيان الظاهري، ص٢٣ ـ ٢٤.

(١) موسيل، آل سعود، ص ٩٢، الرشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٨.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٧ (H.H19591G) بتاريخ ٥ ذي العقدة سنة ١٢٢٦هـ.

ولعل الموقف الأبرز من مواقف البادية كان موقف فيصل الدويش الذي تعاون مع إبراهيم باشا، وأصبح من أكبر حلفائه في المنطقة. فقد رتبت الأمور بين الطرفين بحيث يلتحق فيصل الدويش لخدمة الحملة، وكان الباعث الذي دفع الشيخ فيصل إلى التحالف مع إبراهيم باشا ضد الإمام عبدالله بن سعود حسب ما تذكر بعض المصادر الأجنبية هو موقفه من الإمام عبدالله نتيجة قتله عدداً كبيراً من شيوخ قبيلته من بينهم أحد إخوته[١]، وجاء في المخطوط التركي «حجاز سياحتنامة سي» مثل ذلك[٢]، كما أضافت هذه المصادر أن إبراهيم باشا وعد فيصل بن وطبان الدويش أن يجعله أميراً على نجد خليفة للإمام عبدالله، وهذا شجع فيصل الدويش على تقديم خدمات جليلة إلى القوات الغازية[٣].

وقد استمرت خدمات فيصل الدويش للحملة منذ تحركها من الحناكية حتى وصولها إلى الدرعية وإسقاطها، فعمل على أن يكون دليلاً لإبراهيم باشا في صحراء نجد، كما حرَّك القبائل للوقوف ضد الإمام عبدالله وقَدَّم المساعدات والجمال إلى إبراهيم باشا، ونقل المؤن والذخائر، وحفظ طرق مواصلاته إلى المدينة[٤]، كما أنه تكفل بمواجهة عدد من القبائل

---

(١) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٢، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٧، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٦ ـ ٥٤٨.

(٢) المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سي، ص ٦٠.

(٣) المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سي، ص ٦٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، وموسيل، آل سعود، ص ٩٢.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٣٤ (H.H19538B) بتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، وسادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٢، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٣، ص ١٥٠، وموسيل، آل سعود، ص ٩٢.

الموالية للإمام عبدالله خصوصاً القبائل القادمة من الجنوب[١]، وقام بتحركات واسعة في أثناء حصار الدرعية في المناطق القريبة منها في محاولة لعزل الدرعية تماماً والتضييق عليها وقطع أي إمدادات تصل إليها، وكان على اتصال دائم بمركز قيادة إبراهيم باشا في الدرعية لينقل له أخبار القرى والقبائل المساندة للإمام عبدالله[٢].

كما كان لعدد من القبائل الأخرى أثر مهم في خدمة إبراهيم باشا، في أثناء حصار الدرعية؛ إذ كانوا ينقلون الذخائر والمهمات الحربية من مراكز تموين إبراهيم باشا في ينبع والمدينة إلى الدرعية، وكان إبراهيم باشا يجزل لهم العطاء مقابل هذه الخدمات كما وضح في إحدى رسائله إلى والده[٣].

ومع أن عدداً من الفئات من القبائل انضمت إلى إبراهيم باشا إلا أن هناك قبائل متعددة بقيت على إخلاصها للدولة السعودية، ومن أشهر هذه القبائل بعض الفئات من قبيلة سبيع[٤]، وكذلك فئات من قبيلة عتيبة، فقد كان غصاب بن شرعان من فرسان عتيبة المشهورين، ومن أبرز القادة الذين كان لهم جهد في حصار الدرعية، ولازم الإمام عبدالله منذ بداية صراعه مع القوات العثمانية[٥].

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٢٤ (H.H1959) بتاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٦.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧١، وفيسي، الدرعية، ص ١٥٨.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/١ ـ ٣٤ (H.H19538B) بتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ.

(٤) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٨٤.

(٥) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٥، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٤٠ ـ ٣٦٨ ـ ٤١٣ ـ ٤١٤.

كما كانت قبيلة البرزان من مطير في صف الإمام عبدالله، وكان رئيسها حباب بن قحيصان[١] من الملازمين للإمام عبدالله، وشارك معه في معركة ماوية[٢].

كما كان الشيخ مبارك الظاهري[٣] من المخلصين للإمام عبدالله[٤] ولازمه حتى سقوط الدرعية، فتذكر الوثائق العثمانية أنه قُبض عليه بعد سقوط الدرعية ومعه ولده سعد فطلب الأمان من إبراهيم باشا وأعطي إياه[٥].

وكان موقف قبائل الجنوب مؤيداً للإمام عبدالله. وتذكر الوثائق العثمانية أن عدداً من قبائل الجنوب من قحطان وغيرها استقرت بالقرب من الدرعية لمساعدة الإمام عبدالله، وأن إبراهيم باشا أرسل إليها قوات من البدو الموالين له لمنعهم من تقديم المساعدات إلى الإمام عبدالله أو التقدم إلى الدرعية[٦].

---

(١) حباب بن قحيصان: رئيس البرزان من مطير، وكان من المقربين من الإمام سعود، قتل في مناخ الرضيمة سنة ١٢٣٨هـ (عام ١٨٢٢م). ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٢٣، ج٢، ص٢٧.

(٢) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٥.

(٣) من مشاهير أسرة آل مضيان من بني سالم من حرب. فايز الحربي، ابن مضيان الظاهري، ص٨٠.

(٤) عبدالرحمن حسن، المقامات، ص ١٢٦.

(٥) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١ ـ ٧٧ (H.H19685A) بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١ ـ ٢٤ (H.H19592) بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

موقف القوى المجاورة لنجد من حصار الدرعية:

كانت مسقط واليمن والكويت هي المناطق التي بقيت خارج نفوذ الدولة السعودية الأولى في شبه الجزيرة العربية في تلك المدة، ووقفت هذه المناطق إلى جانب القوات العثمانية في حربها ضد الدولة السعودية الأولى منذ بدايتها، وقدمت مساعدات مختلفة إلى قوات محمد علي في مواجهاتها المختلفة مع السعوديين.

١ ـ سلطنة مسقط:

وقف سلطان مسقط إلى جانب القوات العثمانية المصرية في صراعها مع الدولة السعودية الأولى، وذلك رغبة منه في القضاء على هذه الدولة التي كانت تنافسه في النفوذ على منطقة عمان والساحل العماني.

ومع أنه لا توجد إشارات واضحة على مساعدة سلطان مسقط لإبراهيم باشا في معارك الحصار، إلا أن هناك إشارة في إحدى الوثائق العثمانية، وهي رسالة من محمد العريعر إلى داود باشا يخبره فيها بأخبار حرب الدرعية، وتحدث فيها عن أحواله في القطيف ومحاصرته قلعتها، وأنه تلقى مساعدات مختلفة من ضمنها مساعدات من سلطان مسقط السيد سعيد.

وعلى ذلك كانت المساعدات التي قدمها سلطان مسقط محصورة في مساعدة زعماء بني خالد على استعادة نفوذهم على الأحساء والقطيف وإخراج السعوديين منها.

٢ ـ اليمن:

عندما غزا السعوديون المدن اليمنية استنجد الإمام المتوكل بالسلطان العثماني من جهة، وبوالي مصر القوي محمد علي باشا من جهة أخرى لصد الزحف السعودي على بلاده، وأرسل كل منهما هدايا قيمة إليه

ووعدوه بالمساعدة، وظلت العلاقات الحسنة تربط محمد علي بإمام اليمن. وفي أثناء قيامه بحملاته على الدولة السعودية أرسل إلى إمام اليمن يطلب منه المساعدة على إرسال السفن لحمل الجنود والمؤن لمحاربة السعوديين فلبى الإمام المتوكل طلب محمد علي هذا، وأرسل السفن اللازمة إلى السويس والقصير[١].

٣ ـ الكويت:

يبدو أن الكويت كانت تميل في بداية الأمر إلى تأييد آل سعود، ويبدو أنها كانت تقدم مساعدات مختلفة إليهم عن طريق البحر[٢]، ولكن داود باشا والي بغداد تدخَّل في الأمر ومنع ذلك، كما أرسل إلى رحمة ابن جابر شيخ الجلاهمة في الكويت عدة رسائل يتوعده حيناً، ويحثه ويرغبه حيناً آخر حتى أجبره على الخروج عن طريق البحر إلى الأحساء بنحو (٧ ـ ٨) سفن محملة بالمدافع والذخائر لمساعدة ماجد ومحمد العريعر هناك، وقام ابن جابر ببعض المهام التي طلبت منه في سبيل استخلاص الأحساء من آل سعود[٣].

وكذلك عمل أمير الكويت الشيخ جابر بن عبدالله الصباح ١٢٢٩ ـ ١٢٧٦هـ (١٨١٤ ـ ١٨٥٩م) على تسهيل مرور قوافل المؤن والأسلحة من

---

(١) محمد علي الشوكاني، ذكريات الشوكاني، تحقيق، صالح رمضان محمود، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م، ص ١٤٣ ـ ١٤٧.

(٢) هذا ما ورد في وثيقة أرسلها داود باشا إلى السلطان ذكر فيها «كانت الكويت تميل إلى ابن سعود، وهي مشتهرة بمساعدته في البحر» دون ذكر كيفية هذه المساعدة ومدى حجمها. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٥ (H.H19529) بتاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ١ ـ ٥ (H.H19529) بتاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

العراق؛ وذلك لإيصالها إلى إبراهيم باشا[١]، فضلاً عن المساعدات التي تقدم إلى آل عريعر في الأحساء[٢].

ولعل العلاقات القوية التي كانت تربط حكام الكويت بزعماء بني خالد كان لها تأثير قوي في موقف أمير الكويت هذا، خصوصاً أن الأسباب التي أدت إلى تعاون شيخ الكويت السابق عبدالله بن جابر مع السعوديين تلاشت بسبب انتصارات الدولة العثمانية على السعوديين وضعف موقفهم تجاهها[٣].

موقف القوى العالمية من حصار الدرعية وسقوطها:

لم يتوقف قيام الدولة السعودية الأولى وامتداد نفوذها على إثارة حنق الدولة العثمانية وخوفها فقط، بل إنه أثار انتباه بقية القوى العالمية المتنافسة على السيطرة على منافذ البحر الأحمر، والخليج العربي أيضاً وبخاصة بريطانيا وفرنسا، إضافة إلى بعض القوى الأخرى التي كانت لها اعتبارات خاصة مثل فارس.

فالبحر الأحمر، الذي أصبح الجزء الرئيس من ساحله الشرقي في

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/٦ ـ ٣ (H.H19676) بتاريخ ٥ شوال سنة ١٢٣٣هـ، حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، بيروت: (د.ن) ١٩٦٢م، ج١، ص ٧٣، ذكر الدكتور عبدالله العثيمين أن حسين خزعل في كتاب تاريخ الكويت ص ٧٣، والدكتور زامل الرشيد في كتاب Suudi Relations with Eastern (Arabia And Uman 1800-1871)، ص ٧٩، ذكرا ذلك دون توضيح مصدريهما. عبدالله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، الرياض: مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤١٢هـ، ص ١٦٣، ولكن الوثائق العثمانية هنا أيدت ذلك على الرغم من أن كلا الكتابين لم يرجعا إليها.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/٦ ـ ٣ (H.H19676) بتاريخ ٥ شوال سنة ١٢٣٣هـ.

(٣) العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، ص ١٦١ ص ١٦٢.

نهاية العقد الأول من القرن التاسع عشر الميلادي يخضع للدولة السعودية الأولى بعد استيلائها على الحجاز وعسير، كان قد بدأ يستعيد أهميته السابقة التي فقدها بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٢هـ (عام ١٤٩٧م) تدريجياً منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريباً وتضاعفت أهميته منذ حملة نابليون على مصر سنة ١٢١٣هـ (عام ١٧٩٨م)، وكانت أكثر الدول الأوربية اهتماماً بهذا البحر هي بريطانيا العظمى التي كانت أوسع الدول استعماراً في الشرق، لهذا خافت كثيراً عندما احتل الفرنسيون مصر فسعت إلى إخراجهم منها. وعندما نجحت في ذلك وضعت لها سياسة ثابتة تقضي بعدم السماح لأي قوة كبرى أو محلية معادية بالسيطرة على منافذ هذا البحر، ولذلك كان من غير المعقول أن تقف بريطانيا موقف غير مكترث من قيام دولة كبرى في شبه الجزيرة العربية مثل الدولة السعودية، وهي بحكم مبادئها ومنطلقاتها السياسية والعقائدية معادية لوجود الاستعمار البريطاني في أي بلد إسلامي[1].

أما فيما يخص الخليج العربي فقد بدأ هو أيضاً يخرج من عزلته التي فرضها عليه اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وبدأ يستعيد أهميته أيضاً، وكانت بريطانيا تعنى به أكثر من أي دولة أخرى حفاظاً على طرق مواصلاتها التجارية ومواصلاتها إلى مستعمراتها في الشرق.

وكان قيام الدولة السعودية وتزايد نشاطها الحربي ينذر بخطر جسيم على السياسة البريطانية في الخليج خصوصاً أن الدولة السعودية أصبح لها وجود فعلي في جميع مناطق الخليج فضمت قوة القواسم البحرية، وهم المرتبطون سياسياً وعقائدياً بالدولة السعودية، وأصبحت سفنهم تجوب مياه الخليج وتصل إلى مياه المحيط الهندي مهددة السفن البريطانية. هذا

---

(١) غزال، المملكة السعودية، ص ٦٩، والغنام، قراءة جديدة في سياسة محمد علي، ص ٢٧.

فضلاً عن ازدياد هجمات السعوديين على العراق، وهذا يهدد طريق البريد البري البريطاني عبر العراق إلى مستعمراتها في الشرق. وتركز رد فعل بريطانيا في هجماتها ضد القواسم في رأس الخيمة ومحاولة تحطيم أسطولهم مع محاولة عدم التورط والاصطدام بالسعوديين مباشرة من جانب آخر متظاهرة بأنها لا تعادي السعوديين، وإنما تحارب ما أسمته بالقرصنة التي تراها الدولة السعودية حركة جهاد إسلامي، في محاولة لتتجنب الدخول في حرب مكشوفة مع السعوديين قد تتحول إلى حرب غير مضمونة النتائج[١].

وشجعت بريطانيا محمد علي على القضاء على الدولة السعودية الأولى، ورأت في ذلك تحقيقاً لأهدافها بعيداً من تدخلها المباشر. ويذكر مانجان أن حكومة الهند البريطانية ما إن علمت بأن الجيش العثماني المصري يسير نحو الدرعية حتى وضعت خطة لإرسال حملة إلى القطيف؛ بغرض حماية تجارتها وتحويل أنظار السعوديين، فتسهل مهمة قوات إبراهيم باشا، فأرسلت قوات بلغت نحو ثلاثة آلاف جندي هندي، ولكن هذه الحملة وصلت بعد سقوط الدرعية وانسحاب إبراهيم باشا من نجد[٢].

---

(١) الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي، ص ٢٨، وياغي، إسماعيل، «بريطانيا والدولة السعودية الأولى» مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الأول، ١٣٩٧هـ، ص٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٩٦، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٩٧، وعلق بريدجز في كتابه موجز لتاريخ الوهابي على خبر هذه القوات بأنه لم يعرف شيئاً مما ذكره مانجان وأنه في حالة صحة ما ذكره مانجان فإن ذلك مثال آخر على تلك المشروعات المكلفة وعديمة الجدوى التي كانت تقوم بها حكومة الهند، وغالباً ما يفرضها عليها أشخاص قليلو المعرفة ولا يعلمون شيئاً عن الأمور. هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة الجهني، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ، ص ٢٦٩.

وقد فرحت هذه الدول بشكل كبير عند سقوط الدرعية، فبريطانيا أبدت فرحتها بسقوط الدولة السعودية الأولى؛ لأنها كانت تخشى أن تتمكن هذه الدولة من تكوين وحدة سياسية بين الإمارات العربية في الخليج، وهذا يمثل خطراً على الوجود البريطاني فيه[١].

ومع أن السلطات البريطانية أبدت سرورها لسقوط الدرعية إلا أنها في الوقت نفسه خشيت أن تحل قوة محمد علي مكانها في توحيد بلدان المنطقة وإقامة دولة قوية تكون خطراً جديداً عليها، فحاولت إزاء هذا الوضع تشجيع إبراهيم باشا على مطاردة السعوديين وحلفائهم القواسم بقصد التخلص النهائي منهم، وهذا الأمر يؤدي في الوقت نفسه إلى إنهاك القوات المصرية، لذلك تحركت السياسة البريطانية للتعرف إلى الأهداف التي يرمي إليها إبراهيم باشا ووالده في حروبهما القادمة نحو الخليج وإمكانية التحالف مع القوات المصرية، وكلف بهذه المهمة الكابتن سادلير[٢]. ولكن سادلير لم يستطع أن يحقق أهدافه، ولم يحصل من إبراهيم باشا على الموافقة على المقترحات الإنجليزية القاضية بتدمير قوة القواسم عن طريق إنزال جيش من جهة البحر من جانب البريطانيين، وآخر من جهة البر من جانب إبراهيم باشا[٣]، إذ كتب له والده يحذره من الاتفاق مع الإنجليز في هذا الوقت[٤]. فقد تلقى محمد علي تعليمات مشددة من الباب العالي بعدم الاتفاق مع الإنجليز في هذا الشأن على أن

(١) العابد، فؤاد، سياسية بريطانيا في الخليج خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت: منشورات ذات السلاسل، (نشر) ص ١٢١.

(٢) ياغي، بريطانيا والدولة السعودية الأولى، ص ٤٤٤، والعابد، سياسة بريطانيا في الخليج، ص١٢١.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة٦، وثيقة رقم ٢٠٤، بتاريخ ٢١ من ذي القعدة سنة ١٢٣٤هـ.

(٤) البطريق، ذكرى البطل، ص ٣٦.

يرد عليهم إبراهيم باشا «بجواب حكيم غير عنيف من غير أن يحسن الظن فيهم» حسب ما أوصى به الصدر الأعظم في رسالته إلى محمد علي[١].

وكانت روسيا أيضاً من الدول الأوربية الكبرى التي فرحت بسقوط الدرعية، وكان سفيرها في الآستانة يتابع أخبار حصار الدرعية منذ البداية[٢]، وأرسل تذكرة تهنئة للسلطان عندما سقطت تعبيراً عن هذا الفرح[٣]، وهذا يدل على اهتمام روسيا بالمنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر مع أن التحركات الفعلية لهذا الاهتمام لم تظهر بوادرها إلا في نهاية ذلك القرن وبداية القرن العشرين،وهذا يؤكد توجهات روسيا نحو الوصول إلى البحار الدافئة، وخوفها من قيام أي قوة عظمى في المنطقة خارجة عن نفوذ الدولة العثمانية التي كانت ضعيفة ويسهل التعامل معها.

أما فيما يخص فارس فقد كانت على خلاف مع الدولة السعودية الأولى فقد كان الفرس الشيعة يرون في مبادئ الدعوة السلفية السنية التي تتبناها الدولة السعودية خطراً يهدد كيانهم في الوقت الذي كان فيه أتباع الدعوة يرون في مبادئ الشيعة خروجاً عن تعاليم الإسلام، واتخذت الحكومة الفارسية موقفاً معادياً تجاه الدولة السعودية منذ البداية حتى انهيارها، وزاد من هذا العداء الحملة السعودية على كربلاء والنجف سنة ١٢١٦هـ (عام ١٨٠١م)، وترتب على هذا تهديد شاه فارس بغزو العراق

---

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة٦، وثيقة رقم ٢٠٨، بتاريخ ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٢٣٤هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ١٠٢ (H.H19665) بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢ ـ ١٨٥ (H.H19665) بتاريخ١٢٣٤هـ.

والقضاء على الدولة السعودية[١].

كانت الحكومة الفارسية على استعداد دائم لتقديم المساعدات العسكرية اللازمة لأعداء الدولة السعودية باستمرار[٢]. ومع أن المصادر لم تذكر شيئاً عن مساعدات عسكرية أو غيرها قدمتها الحكومة الفارسية إلى محمد علي في حروبه ضد الدولة السعودية الأولى إلا أن أنباء سقوط الدرعية لقيت ترحيباً وفرحاً بالغاً لدى شاه فارس الذي أرسل إلى محمد علي باشا برسالة تهنئة يثني فيها على نجاحه في القضاء على الدولة السعودية، وأرسل إليه هدية جميلة وهي سيف قديم وخاتم من الفيروز تعبيراً عن الفرح والامتنان الحاصل بسقوط الدرعية[٣].

عوامل سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى:

لم يكن سقوط الدرعية نتيجة عوامل مباشرة حصلت في أثناء حملة إبراهيم باشا وحصاره للدرعية فقط، بل إن مقدمات ذلك اتضحت منذ مدة مبكرة من بداية الحملات المصرية عليها. فكانت أطراف الدولة تمثل دائماً مصدراً للاضطراب وتهديداً للدولة. وحتى وقت وصول الحملات المصرية لم تكن الدولة السعودية قادرة على ضبط حدودها، وضبط القوى المجاورة لها، وهذا الأمر أدى إلى تكالب هذه القوى عليها في النهاية، وهذا الأمر أدى إلى إضعافها وسقوطها، خصوصاً أن الدولة السعودية لم

---

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٢٩٨، وياغي، بريطانيا والدولة السعودية الأولى، ص٤٢٤.

(٢) قدمت فارس مساعدات عسكرية مختلفة لحاكم مسقط في حروبه ضد السعوديين سنة ١٢١٧هـ (عام ١٨٠٢م) وكذلك ساعدت آل خليفة سنة ١٢٢٥هـ (عام ١٨١٠م) في استرداد البحرين من آل سعود. عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٢٩٩.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة٦، وثيقة رقم ١٢٥ بتاريخ ١٢٣٤هـ، وثائق معية تركي، دفتر ٤، ص ١٤.

تكن على علاقات جيدة مع القوى العالمية المجاورة، فلم تجد لها بعد ذلك حليفاً يساندها ضد هذا الاعتداء، واضطرت أن تواجه بمفردها قوى عالمية متحدة على هدف واحد، وهو القضاء على هذه الدولة الناشئة في مهدها.

أما فيما يخص العوامل المباشرة التي أدت إلى سقوط الدرعية فهي كثيرة ومتعددة، وتنصب في عدد من المحاور المهمة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ونفسياً، وهي إجمالاً كالآتي:

١ ـ عدم التكافؤ في القوة العسكرية:

على الرغم من تفوق السعوديين في أعداد المقاتلين إلا أن إبراهيم باشا تفوق في تدريب جنوده بشكل أفضل على أساليب القتال الحديثة وطرائقه الفنية[١].

كما أن القوات السعودية كانت تفقد كثيراً من الجنود والأتباع على مدى معاركها مع إبراهيم باشا، في حين أن قوات إبراهيم باشا كانت في تزايد مستمر؛ إذ لم تنقطع قوافل الإمداد من مصر بالعساكر والمؤن طوال مدة الحرب[٢]، فضلاً عن البدو الذين حرص إبراهيم باشا على انضمامهم إلى قواته، حتى إنه أمضى أكثر من ستة أشهر في الحناكية لا هَمَّ له إلا ربح أكبر عدد من القبائل البدوية إلى جانبه حتى استطاع أن يطعم جيشه برجال هذه القبائل تطعيماً قوياً، ثم تقدم إلى نجد، فضلاً عن استعانته في أثناء الحصار برجال البلدان النجدية المجاورة للدرعية للقتال معه[٣].

---

(١) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص ١٠٧، عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٣٨.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٠، وعسة، معجزة فوق الرمال، ص ٣١ ـ ٣٣.

كما كانت القوات العثمانية المصرية تتفوق على القوات السعودية في جانب مهم، وهو إعدادها الجيد بكل ما يلزم الجيوش الحديثة من مؤن وأموال وذخائر وأسلحة حديثة وفتاكة لم يعهدها السعوديون من قبل، ووصفها ابن بشر فذكر أنها كانت مدافع هائلة «كل واحد يثور مرتين مرة من بطنها ومرة تثور رصاصته وسط الجدار بعدما تثبت فيه فتهدمه»[(١)] وفي موضع آخر وصف قبوس إبراهيم باشا وقنابره بأنها «أمر هائل من عظم رصاصها وما يفعل في البروج والجدران والبيوت، وقيل: إن رصاصة القنبرة وزنت وبلغت أكثر من عشرين وزنة»[(٢)].

أما فيما يتعلق بالسعوديين فقد كانت تنقصهم الأسلحة الحديثة، وبخاصة سلاح المدفعية، فعلى الرغم من وجود عدد لا بأس به من المدافع لدى السعوديين إلا أنها قديمة وضعيفة لم تكن من النوع الحديث الذي يستطيع أن يضاهي مدفعية الجيش العثماني المصري الحديثة[(٣)]، وربما كان القائمون عليها لا يجيدون استعمالها، وتنبع أهمية هذا السلاح في أنه يقوم تقريباً بمهمة سحق العدو، فيصبح ما على المشاة بعد ذلك إلا دخول أرض محروقة لاحتلالها بأيسر الطرق.

أما فيما يخص الخطط العسكرية، والأساليب القتالية فقد اتضحت كفاءة إبراهيم باشا ومستشاريه في حسن التدبير، ورسم الخطط الحربية التي ظهرت نتائجها في حروبه مع السعوديين فقد سار على خطة عسكرية

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٣٨.

(٣) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص١٠٧، وعبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص٣٥٥، ومحمد السلمان، «بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة»، مجلة الحرس الوطني، العدد ٨٨، جمادى الآخرة سنة ١٤١٠هـ (يناير عام ١٩٩٠م)، ص ٣٥.

بارعة تقوم على عدم التقدم إلى الدرعية إلا بعد امتلاك البلاد وعلى محالفة القبائل البدوية التي في طريقه ليبقى طريق تموين جيشه آمناً[(١)]، وكان يقوم في أثناء المعارك بتحركات تكتيكية حديثة مع تقديم جهاز المدفعية الإسناد الناري المستمر فانفتح له المجال للتفوق في عدد من المعارك التي خاضها نتيجة لعدم معرفة السعوديين بهذه الخطط والتكتيكات الأوربية الحديثة.

وفي الحقيقة على الرغم من التفاوت الواضح بين القوات السعودية والعثمانية المصرية إلا أن رجال القوات السعودية كانوا يمتلكون مقومات جيدة تخولهم ليكونوا جيشاً لا يقهر[(٢)]، وذكر جان جاك رسو عن مزاياهم العسكرية بأنهم «يواجهون المخاطر والموت بشجاعة فائقة، ولا يمكن لشيء أن يحد من جموح إقدامهم؛ لأنهم يهاجمون أعداءهم أملاً في الشهادة إن هم قتلوا والسلاح بأيديهم، وأنه لا ينقصهم ليصبحوا شعباً لا يقهر قادراً على إخضاع آسيا كلها لسلطته إلا أن يدعموا ميزاتهم الجسدية والأخلاقية بمعرفة التقنية والنظام العسكريين اللذين ما زالا ينقصانهم»[(٣)].

٢ ـ عدم استغلال الفرص المتاحة:

ذلك أن القوات السعودية لم تحاول أن تفيد من الأخطاء والهزائم التي وقعت فيها قوات محمد علي منذ بداية حملاته على الدولة السعودية[(٤)]، ومن هذه الفرص:

---

(١) الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٠٠، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٥.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٧.

(٣) جان جاك روسو، وصف باشوية بغداد، ترجمة: محمد خير البقاعي، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧.

(٤) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥.

- هزيمة طوسون باشا في الصفراء، وعدم تتبع السعوديين فلول جيشه وإبادته[١].

- تقدم طوسون باشا إلى القصيم وعقد الهدنة مع الإمام عبدالله، فكثير من الباحثين يرون أن الإمام عبدالله أخطأ في قبول هذه الهدنة؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرجاً، فكانت ذخائرهم على وشك النفاد، وكان الجو الخانق في صحراء نجد قد فتك بالجنود والماشية، فالإمام عبدالله بهذا الصلح سمح لهم بالخروج من الضيق، فلو أنه تابع القتال لاستطاع الانتصار عليهم، والقضاء على هذه الحملة، واستعادة الحجاز، وتحقيق انتصار كبير يصعب على العثمانيين بعد ذلك مواجهته[٢].

- حصار إبراهيم باشا الرس والمقاومة العنيفة التي واجهته لدرجة أنه حاصرها ما يقارب الأربعة أشهر، فلو أن الإمام عبدالله حاول أن يقطع على إبراهيم باشا خطوط إمداده من المدينة إلى الرس خصوصاً أنه كان يعسكر قريباً من المنطقة لكان حصر إبراهيم باشا في داخل نجد دون إمدادات، وبذلك يستطيع القضاء على قوته بسهولة[٣].

- حادثة حريق مستودع ذخائر إبراهيم باشا في أثناء الحصار، فكثير من المؤرخين يرون أن الإمام عبدالله لم يستغل هذه الفرصة الذهبية، إذ

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١١٦، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٤٤، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٢٢

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٤، وحافظ وهبة، جزيرة العرب، ص ٢٢٥، والعطار، صقر الجزيرة، ص ٦٢.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ١ ـ ٢٣ (19592H) بتاريخ ١٩ من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، والوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/ ١ ـ ٦٥ (19592H) بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٨٧، والفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨٠.

كان بإمكانه أن يستنزف ما تبقى من ذخيرة لدى جيش إبراهيم باشا، ثم يشن عليه هجوماً قوياً يقضي عليه قضاءً تاماً[١].

ويبدو أن ظروف الإمام عبدالله وإنهاك قواه كانت وراء عدم استغلال هذه الفرصة.

٣ ـ القرارات الحربية:

كان على الإمام عبدالله العمل على تطبيق الخطة المثلى في مثل ظروف حربه مع العثمانيين، وهي أن يقسم جيوشه إلى عدة فرق توزع على جميع منافذ طرق نجد التي يمر بها الجيش الغازي، بحيث تغير هذه الفرق على القوات العثمانية وعلى قوافل إمدادها بشكل مستمر، وتعمل على إرهاق العدو ومضايقته بواسطة هجمات مفاجئة غير متوقعة لاستنزاف قواته، حتى إذا جاءت الظروف الملائمة أجهزت عليه بالضربة القاضية واستعادت البلدان التي فقدها[٢]، خصوصاً أنهم أصحاب الأرض، ويقاتلون في ظروف مناخية تعوّدوها، وبذلك يكون من الصعوبة على جيش إبراهيم باشا اختراق الصحراء النجدية أو التماسك لفترة طويلة عند الدرعية في حال اجتازوها[٣]. ولكن الإمام عبدالله لم يطبق هذه الخطة.

---

(١) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٧٦، وعبدالله بن خميس، «ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية»، مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، شوال ١٤٠٤هـ، ص٤٤.

(٢) تشير بعض الأخبار إلى أن إبراهيم باشا كان يتعجب من عدم اتباع السعوديين لمثل هذه الخطة، وأنه استفسر من الإمام عبدالله عن ذلك عندما قبض عليه فرد عليه الإمام عبدالله بأن أهل الدرعية أشاروا عليه بمثل ذلك، وعلل عدم أخذه بهذه المشورة بالقضاء والقدر. ابن خميس، ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية، ص٤٤.

(٣) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٧، وبريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص ٢٧٠، وإدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٦٠١، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص١١٢، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١٦٦.

كما اتخذ الإمام عبدالله قراره بمواجهة القوات الغازية في معارك كبيرة ومكشوفة على رغم نصيحة والده له بعدم خوض مثل هذه المعارك[١]، مثلما حصل في معركة بسل التي كانت نتيجتها تثبيت سلطة محمد علي في الحجاز، وكذلك في معركة ماوية التي انتهت بانتصار حاسم لإبراهيم باشا أدى إلى تراجع السعوديين إلى البلدان المحصنة، وترك الطريق مفتوحاً لإبراهيم باشا يتقدم إلى نجد.

ومن القرارات الحربية التي اتخذها الإمام عبدالله في أثناء حروبه مع إبراهيم باشا اختياره أسلوب التحصن في المدن مع أن كثيراً من الشواهد التاريخية تقول: إن المدينة المحاصرة مدينة محتلة[٢]، ولكن يبدو أن الإمام عبدالله اتخذ هذا الرأي متوقعاً أن حصار إبراهيم باشا لكل بلدة في نجد كفيل باستنزاف قواه وتثبيط همته في الوصول إلى الدرعية، ولكن الإمام عبدالله لم يوفق في تقدير الأمور خصوصاً أن طرق إمدادات إبراهيم باشا متصلة مع مصر بشكل جيد ومستمر، إضافة إلى مساعدة البدو له فأمَّن له هذا فرصاً أكبر في البقاء قوياً داخل نجد دون خوف، والاستمرار في مهاجمة البلدان النجدية واحدة تلو الأخرى، والوصول إلى الدرعية في قوة كبيرة لم يتوقعها الإمام عبدالله.

ويرى عدد من الخبراء الحربيين الغربيين أن الإمام عبدالله كان عليه الهروب من الدرعية حتى من قبل أن يحاصرها إبراهيم باشا[٣]، والواقع أن هذا ليس تفكير الخبراء الغربيين فقط، فقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن في المقامات أن الشيخ مبارك الظاهري أشار على الإمام عبدالله بن

---

(١) فيسي، الدرعية، ص ١٠٤، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص ٤١.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٩، وأحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١٦٦.

(٣) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٨، والعجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، ج٤، ص ١١٢ نقلاً عن الجنرال فيغان القائد الفرنسي الكبير.

سعود أن يخرج مع عدد كبير من أتباعه المخلصين بنحو ثلاثة آلاف من الإبل إلى قبائل قحطان لتمنعه، وذكر الشيخ عبدالرحمن أن القدر لو ساعده لما ظفر به عدوه، ولكان هذا الرأي أسلم له، ولكن الله لم يرد ذلك[١].

ويبدو أن الإمام عبدالله رأى في هروبه من الدرعية عاراً عليه، لذلك انتصرت في نفسه عوامل الشجاعة ولم يتخذ مثل هذا القرار[٢].

٤ ـ طول مدة الحصار:

مع أن طول مدة حصار الدرعية التي استمرت ستة أشهر كان دليلاً على القوة والمنعة التي واجهت بها القوات السعودية القوات العثمانية المصرية الغازية، والتي كانت بإمكانياتها العسكرية أقدر على إنهاء هذه الحروب في مدة أقصر، فإن طول مدة الحصار أتى بنتيجة عكسية فكان عاملاً مهماً من عوامل سقوط الدرعية في النهاية؛ لأن عوامل اليأس بدأت تعمل في نفوس بعض السعوديين وقادتهم نتيجة لسوء الأوضاع في الدرعية، وارتفاع الأسعار، وضيق المدافعين بهذه الأحوال، وإرهاقهم،

---

(١) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٦ ص ١٢٧ . كما توافرت للإمام عبدالله فرصة للهرب في أثناء عملية نقله من نجد إلى مصر، وأشار عبدالله بن خميس إلى حادثة يتداولها الناس بهذا الخصوص؛ وذلك أنه في أثناء نقل الإمام عبدالله إلى مصر وصل ومن معه من الحراس إلى منطقة تحيط بها جبال شاهقة وكان ممن مع الإمام رجل يقال له ونيان وكان متحدثاً وقاصاً ومما كان يتحدث به في تلك الليلة في ذلك المكان: أن أناساً معتقلون محمولون إلى حكومتهم لتجازيهم، لما وجدوا أنفسهم بين جبال وهم يسيرون ليلاً قفزوا من على ظهور مطيهم ولاذوا بالفرار، وعبثاً حاول الحراس العثور عليهم، ومضى ونيان مسترسلاً في أحاديثه، ولما خرجوا من الجبال تنبه الإمام عبدالله لما كان يقصده ونيان، ولكن الفرصة كانت قد فاتت فلم يزد على أن قال: «فاتت يا ونيان». ابن خميس، ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية، ص٤٥.

(٢) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ٢٠٥.

ومن ثم أدت إلى خروجهم من الدرعية فأثر في توازن القوى؛ إذ كانت موارد القوات السعودية البشرية والمادية في تناقص مستمر مقابل تنامي قوة إبراهيم باشا وازدياد موارده[١].

٥ ـ انحياز عدد من القبائل إلى جانب الجيش العثماني المصري:

وقد يكون ذلك راجعاً إلى نزعتها القبلية، فكثير من القبائل العربية التي خضعت لنفوذ الدولة السعودية كانت دائماً تسعى إلى الخروج عن طاعتها، فقد سلب الحكم السعودي هذه القبائل الحرية في التنقل وحرب من يريدون، وفرض عليها الزكاة وتلبية الدعوة إلى الحرب في أي وقت، كما أن مبادئ الدعوة السلفية الإصلاحية لم تنتشر بين البدو الرحل، كما حصل بين الحاضرة، ولم تكن هذه النزعة مقصورة على القبائل الحجازية والأحسائية والعمانية فقط، بل شملت بعض قبائل نجد أيضاً، ونجحت قوات محمد علي في استغلال هذه النزعة منذ بداية الحملات المصرية، وكان للأسلوب الذي اتبعه إبراهيم باشا أثر كبير في جذب أكبر عدد ممكن من القبائل عن طريق التهديد أو الاستمالة بالأموال والرشاوى[٢].

٦ ـ التخاذل في صفوف بعض السعوديين:

تذكر بعض الروايات التاريخية أن من بين أسباب هزيمة القوات السعودية، ثم سقوط الدرعية وجود تخاذل في صفوف القوات السعودية من بعض ضعاف النفوس وهم قلّة جداً، ربما كان مبعثها الخوف من إبراهيم باشا ومحاولة كسب وده، وتمثلت هذه الخيانة في كشف الخطط

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٠٧، وجلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤٢٢، وأبوعلية، محاضرات، ص ١٢٧.

(٢) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٧ ـ ١٨٨، والرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٩، وفاسلييف، العربية السعودية، ص ١٦٣، وعبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥؛ والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٥.

الحربية للجيش السعودي وإخبار إبراهيم باشا بالثغرات ومواطن الضعف في تحصينات الدرعية[١].

ويذكر ضاري بن رشيد في مثل هذا الأمر أن إبراهيم باشا رشا أحد المواطنين في أحد أبراج الدرعية، وأعطاه مئة ألف ريال مقابل أن يمكنه من دخول الدرعية عن طريق هذا البرج الذي كان مشرفاً على البلد؛ لأنه أعلى منها فاستطاع إبراهيم باشا بالاستيلاء عليه أن يخرب البلد بالمدافع[٢].

على كل حال أحسن إبراهيم باشا استغلال المعلومات التي وصلت إليه، فقد رأينا كيف قام بالهجوم العام على الدرعية بعد ظهور هذه الخيانة فركز في المواقع الضعيفة في تحصينات الدرعية محققاً بذلك النصر على السعوديين.

٧ ـ ضعف الإمكانات المادية وتناقص الموارد المالية:

مع أن الدولة السعودية الأولى بلغت درجة كبيرة من الغنى والثراء خصوصاً في عهد الإمام سعود إلا أنها لا تقارن بموارد الدولة العثمانية، وحينما توالت الهزائم على الدولة السعودية وضاع منها الحجاز وعسير وغيرها، وخرجت كثير من القبائل عن طاعتها، نقص كثير من مواردها؛ وهذا جعل جيش الدرعية فقيراً في عدته قليلاً في عدده، فالمال عصب الحرب، به يمكن تجهيز الجيش بالمؤن والذخيرة واجتذاب أكبر عدد من المقاتلين[٣].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤١٧، ص ٤٣٩، والخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٢، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(٢) ابن رشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٧.

(٣) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٣، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦. ويعلق وليمز =

٨ ـ التفسيرات النفسية والدينية:

أ ـ عوامل الهدم النفسية للإمام عبدالله وأتباعه، فلا شك أن توالي الهزائم أضعف من جرأتهم على عدوهم، وزاد في تكالب عدوهم عليهم، كما ثبطت عزائمهم عن استغلال كثير من الفرص المتاحة لهم؛ إذ لا شك أن النجاح يقود إلى النجاح، والهزائم تثبط العزائم[١].

ب ـ يفسر عدد من المؤرخين النجديين أن سبب هزيمة الدولة السعودية الأولى وسقوطها إنما يعود إلى انتشار الذنوب والمعاصي في البلاد النجدية، وانغماس الناس في الملذات في إثر الترف الناجم عن اتساع الدولة وثرائها[٢].

نتائج سقوط الدرعية:

يعدّ سقوط الدرعية بمنزلة إعلان نهاية الدولة السعودية الأولى التي وحدت معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية تحت لواء دولة إسلامية موحدة، فترتب على ذلك نتائج سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية متعددة، ليس المجال هنا لتفصيلها بالدراسة والتحليل، لذلك سنكتفي بتعداد سريع لأهم النتائج المترتبة على هذا السقوط، وهي كالآتي:

= في كتابه ابن سعود أن السر في زوال الدولة السعودية الأولى يعزى إلى افتقار السعوديين المقدرة على معالجة البلاد الاقتصادية. كنث وليمز، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، ترجمة، كامل صموئيل، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩٣٤م، ص٣٢.

(١) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٣، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٦٥، وعبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٣، والقصيمي، الثورة الوهابية، ص ٢٩.

النتائج السياسية:

يعدّ سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى حدثاً مهماً من أهم أحداث الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي؛ لأن نتائجه السياسية لم تقتصر على المنطقة، بل تعدتها إلى أبعد من ذلك، فكانت له آثاره البعيدة المدى في داخل الجزيرة العربية وخارجها[١]:

أ ـ داخل الجزيرة العربية:

١ ـ عودة الحكم العثماني إلى الظهور في الجزيرة العربية خصوصاً في الحجاز، فأصبح يخضع لحكم محمد علي المباشر تحت اسم الدولة العثمانية، وصدر مرسوم سلطاني بتولية إبراهيم باشا على جدة، كما أصبح تعيين الأشراف يتم عن طريق مصر[٢].

٢ ـ عاد حكم بني خالد للأحساء مرة أخرى تحت زعامة ماجد بن عريعر، فكان إبراهيم باشا بعد إسقاط الدرعية قد أرسل فرقة عسكرية إلى الأحساء بقيادة محمد كاشف الذي صادر جميع ما في بيت المال السعودي هناك، كما قتل بعض العلماء والمرشدين، ثم غادرها تاركاً ماجد بن عريعر حاكماًعليها، واستمر حكم بني خالد للأحساء حتى استعادها تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٥هـ (عام ١٨٢٩م)[٣].

٣ ـ أصبحت نجد تابعة لولاية مصر العثمانية ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً، كانت قوات محمد علي خلالها تحتل نجداً أحياناً، وتكتفي

---

(١) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(٢) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٤، والخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٥، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٠، ج٢، ص ٧١، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

بتحصيل الضرائب أحياناً أخرى، واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن استقرت الأوضاع للإمام فيصل بن تركي في مدة حكمه الثانية[(١)].

٤ ـ أصاب سقوط الدرعية وحدة نجد السياسة في الصميم، فبرزت ظاهرة الانفصال والتجزؤ في البلاد، وتمثل ذلك في قيام بعض الإمارات المستقلة، وعودة بعض الأسر التي فقدت سلطتها ونفوذها إبان الحكم السعودي، فعادت أسرة آل زامل إلى حكم الخرج، وكذلك أسرة آل مبارك إلى إمارة حريملاء، وفي بريدة أسرة آل عليان، أما الرياض فكان أميرها من قبل العثمانيين ناصر العائذي[(٢)].

ثم كان لانسحاب إبراهيم باشا السريع من نجد بعد تسعة أشهر من سقوط الدرعية دون أن يضع لها نظاماً إدارياً جيداً أثر في التدهور السياسي الذي عاشته نجد حتى قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله[(٣)].

ب ـ الخليج العربي:

انتهزت بريطانيا فرصة سقوط الدرعية وغياب الدولة السعودية الداعمة لقوة القواسم فقامت بحملة كبيرة على القواسم في رأس الخيمة في المحرم من سنة ١٢٣٥هـ (أكتوبر عام ١٨١٩م)، كما كبلت إمام مسقط وشيخ البحرين بمعاهدة في سنة ١٢٣٥هـ (عام ١٨٢٠م)، وأصبحت هذه المعاهدة أساساً لفرض استعمارها على بلادهما فيما بعد[(٤)]. وعندما

---

(١) الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٤.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٤٣، والشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٥، والخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.
(٣) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٧، والشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٥.

حاول محمد علي احتلال ساحل عمان وجزر البحرين مزاحماً بريطانيا في الخليج بزعامة قائده خورشيد باشا سنة ١٢٥٤هـ (عام ١٨٣٨م) عارضت بريطانيا ذلك بشدة، وكلفت قنصلها في الإسكندرية بإبلاغ محمد علي عزم بريطانيا على التدخل بالقوة لو حاولت قواته غزو هذه المناطق، فكان ذلك إرهاصات لمعاهدة لندن التي أجبرت بها دول أوربا الكبرى محمد علي على قصر حكمه على مصر وسحب قواته من البلدان الأخرى التي احتلها[1].

ج ـ الدولة العثمانية ومصر:

حقق محمد على باشا مكاسب عظيمة خلال هذه الحرب، أهمها:

١ ـ ازدياد نفوذه وعلو مكانته في العالم الإسلامي بعد إرجاع الحرمين الشريفين إلى حظيرة الدولة العثمانية وإسقاط الدرعية[2].

٢ ـ ثبت حكمه على مصر فلم يعد السلطان العثماني يجرؤ على القيام بأي محاولة لعزله أو نقله عن ولاية مصر، وأصبحت الفرمانات تتجدد تلقائياً بولايته على مصر سنوياً[3].

٣ ـ بدأ محمد علي يتطلع إلى تنفيذ أطماعه في تأسيس إمبراطورية خاصة به، فتطلع إلى الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية برمتها، وتنفيذاً لهذه الأطماع بادر ابنه إبراهيم باشا إلى الطلب من الباب العالي السماح له بالاستيلاء على الأحساء بعد إتمام الاستيلاء على

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٦، والخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٦، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

(٢) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٥، والخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص٣٤٧، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(٣) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٦، والشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٥، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

الدرعية، ولكن الباب العالي رد عليه بأن السير إلى الأحساء لا يتوافق مع الوضع الحالي، وأرسل إلى محمد علي لينبه ابنه على ضرورة العودة بعد تنظيم الدرعية إدارياً إلى المدينة المنورة مباشرة[١].

وقد ازدادت أطماعه في التوسع بعد ذلك في السودان والشام، ولولا أن دول أوربا وقفت في وجهه بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ (عام ١٨٤٠م) لكان حقق آماله، ولكنها قصرت حكمه بعد ذلك على مصر فقط[٢].

النتائج الاقتصادية:

كان لهذا الحدث آثارٌ اقتصادية سيئة جداً في نجد كلها وخصوصاً في البلاد التي مرت فيها الحملة؛ وذلك بما أحدثته من نهب وتدمير لممتلكات تلك البلدان الاقتصادية من مزارع ومساكن وقصور[٣].

وقُدِّرت أعداد النخيل التي قطعها إبراهيم باشا في الرس بخمسين ألف نخلة، وفي الدرعية بثمانين ألف نخلة، وفي البلدان النجدية الأخرى بما يقارب ذلك العدد، وكان لهذا أكبر الأثر في تدمير زراعة البلاد[٤].

كما تأثرت التجارة بشكل سيئ خصوصاً مع ازدياد الضرائب الباهظة التي فرضها إبراهيم باشا على السكان، كما انعدم الأمن حيث كان السفر بين بلدة وأخرى محفوفاً بالمخاطر، وصارت مجاعة كبيرة بين السكان بعد أن أنهار اقتصاد بلادهم بهذا الشكل[٥].

---

(١) الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٨.
(٢) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦، والشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٥.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٤، ج٢، ص٩.
(٤) محمد البسام، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق سعود العجمي، (د.ن) ط١، ١٤٠١هـ، ص٩١، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.
(٥) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

النتائج الدينية:

١ ـ قتل إبراهيم باشا عدداً من العلماء، وعامل بعضهم معاملة سيئة أدت إلى هروب كثير من العلماء إلى خارج نجد[١].

٢ ـ تفشي المحرمات والمنكرات بين الناس، ومع أن ابن بشر بالغ في تصوير هذه الناحية إلا أن بعضاً مما قاله كان صحيحاً خصوصاً فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة لخوف الناس من بطش القوات الغازية فتجنبوا الحديث عن أمور الدعوة[٢].

النتائج الاجتماعية:

١ ـ تدمير كثير من البلدان النجدية خصوصاً تلك التي دخلها الجيش الغازي، والتي قاومته، مثل: الرس وعنيزة، وشقراء، وضرما، وبالأخص الدرعية[٣].

٢ ـ كثرة القتلى من السعوديين وخصوصاً في الدرعية في أثناء الحصار، ويقدر ابن بشر أعداد القتلى خلال حملة إبراهيم باشا بنحو اثني عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف في الدرعية وحدها[٤].

٣ ـ خلو الدرعية من سكانها وتفرقهم في البلاد[٥].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد،ج١، ص٤٢٤، ج٢، ص١٠، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٠.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد،ج٢، ص١٠، والسلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤٣٤، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٩، وسادلير،رحلة عبر الجزيرة، ص٨٦، ومحمد السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية،مجلة الحرس الوطني، السنة الثالثة عشر،العدد ١٢٢، ربيع الآخر سنة ١٤١٣هـ (أكتوبر عام ١٩٩٢م)، ص ٣٠.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٤١٨.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٤٣٤، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٩٥، والسلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٢.

٤ ـ نقل كثير من آل سعود وآل الشيخ وتهجيرهم إلى مصر[١]، وقدرت الوثائق العثمانية عددهم بنحو (٢٨٥) شخصاً بين رجال ونساء وأطفال[٢]، أما الجبرتي فيذكر أنهم زهاء الأربع مئة[٣].

٥ ـ دخول بعض العادات الاجتماعية السيئة إلى نجد عن طريق هؤلاء العساكر، مثل: الفساد والرشوة والخراب[٤].

٦ ـ نقلت الحملة بعض الأمراض التي صاحبت هؤلاء العساكر، ولم تكن معروفة في نجد[٥].

٧ ـ سلبت الحملة بعض أهالي البلاد حريتهم، وحوَّلوهم إلى عبيد أرقاء يباعون في سوق النخاسة ويشترون[٦].

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٤٣١، ومانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٨٩

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٥ ـ ٨٤ (19698H.H) بتاريخ ٢٤ رجب سنة ١٢٣٤هـ.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٦٠٣.

(٤) السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٦٠٦، والسلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٠.



الخاتمة

توصل هذا الكتاب إلى عدة نتائج أهمها:

كان عدم نجاح الدولة العثمانية في حملاتها السابقة على الدولة السعودية الأولى عن طريق ولاتها في الشام وبغداد سبباً رئيساً لاتجاهها إلى واليها القوي في مصر محمد علي باشا الذي سعد بهذا التكليف؛ لما يحققه له من أهداف ومطامع كثيرة كان يسعى إلى الحصول عليها، فأرسل حملات متتابعة للقضاء على الدولة السعودية، كان آخرها حملة إبراهيم باشا التي أعدها بشكل جيد، وذلك لتحقيق أهدافها المنشودة في الوصول إلى الدرعية وإسقاطها. ولذلك عمل على تلافي أخطاء الماضي، وذلك باختياره قيادة حكيمة وقوية قادرة على التعامل الصحيح مع مجريات الأمور، وتدعيم جيشه بجميع الخبرات اللازمة من مهندسين وضباط وأطباء أوربيين، وتدعيمه بقوة من الجيش النظامي الحديث الذي عمل في مصر أول مرة في تلك الحقبة، إضافة إلى الأسلحة الحديثة التي يصعب على السعوديين مواجهتها أو التعامل معها.

وقد آتت هذه الجهود ثمارها ـ كما رأينا ـ إضافة إلى السياسة التي اتبعها إبراهيم باشا مع قبائل البدو في الحجاز ونجد، والتي تدل على ذكاء كبير منه لكسب هذه القوة المهمة إلى جانبه، وبذلك ضمن خطوط مواصلاته، وأفقد السعوديين عنصراً مهماً من عناصر قوتهم. وبذلك سهل على إبراهيم باشا اختراق نجد على الرغم من المقاومة العنيفة التي

واجهها في بعض البلدان النجدية. إذ نجد أن مواقف البلدان النجدية التي مرت بها الحملة تباينت بين بلدان اتخذت مواقف عنيفة في مواجهة الحملة، وأخرى مالت مع الريح حتى تتجنب ويلات الدخول في حروب عنيفة مع إبراهيم باشا لا قبل لها بها.

فبلدة الرس كان لها موقف قوي في هذه الحرب، إذ استطاعت مقاومة إبراهيم باشا ما يقارب أربعة أشهر، انتهت باضطراره إلى عقد صلح مشرف معها. كما كان لشقراء، على الرغم من قصر مدة حصارها، الميزة نفسها؛ إذ انتهى حصارها بعقد صلح بالأمان معها، ولكن ضرما التي قاومت هي الأخرى لم تلق مثل هذه المعاملة في النهاية؛ إذ عمل إبراهيم باشا على تدميرها وتهجير أهلها.

استغرقت الحملة منذ خروجها من مصر حتى وصولها إلى مشارف الدرعية نحو سنة ونصف السنة، قضاها إبراهيم باشا في إخضاع جميع البلدان والقبائل الواقعة في طريقه من المدينة المنورة حتى الدرعية، وذلك ليدخل غمار الحرب في الدرعية وهو متأكد من سلامة خطوط مواصلاته وإمداداته حتى لا ينعزل في وسط صحراء نجد فيسهل القضاء عليه، وكان إبراهيم باشا صائب الرأي في هذا الأمر؛ إذ كان ذلك أحد أهم أسباب نجاحه في إسقاط الدرعية.

سبق للدرعية أن هوجمت أكثر من مرة قبل حصار إبراهيم باشا لها، ولكن هذه المحاولات لم تأت بنتيجة تذكر، وارتد أصحابها خائبين؛ وذلك لأنهم لم يحسبوا حساباً لقوة تحصينات الدرعية والمدافعين عنها. أما إبراهيم باشا فقد خطط جيداً لحصار هذه البلدة، وعمل على إعداد قوة هائلة لتنفيذ ذلك، خصوصاً أن أهل الدرعية استعدوا لمواجهته باستعدادات ضخمة، من تحصين وتسليح وتموين وترتيب كانت هائلة لقوات الدفاع. وقد وضح هذا الكتاب حجم هذه الاستعدادات

والتحصينات التي كان لها أكبر الأثر في إطالة مدة الحصار الذي دام ستة أشهر.

خلال مدة الحصار قامت في الدرعية معارك كثيرة دلت على مدى حجم القوة المهاجمة والمدافعة في هذه الحرب في آنٍ واحد، إذ كانت الحرب بين الطرفين في كثير من المعارك سجالاً.

من خلال استعراض مراحل استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية نجد أن مصطلح حصار لم يكن دقيقاً جداً، فإبراهيم باشا لم يفرض حصاراً كاملاً على الدرعية كما سبق أن وضحنا من خلال استعراض توزيع قواته، وإنما كان يحاصر قطاعات من البلدة المستطيلة، ويلتف حول ذلك القطاع ليستولي عليه، ثم ينتقل إلى قطاع آخر وهكذا، فالدرعية لم تسقط دفعة واحدة. والواقع أن الذي حصر نفسه في داخل الدرعية هو الإمام عبدالله والمدافعون الذين لم يستغلوا عدم إحكام الحصار حول الدرعية للإفادة من ذلك.

ومن خلال دراسة حصار الدرعية يلحظ أن هناك عدة أمور تحكمت في هذه الإستراتيجية العسكرية في القتال، وأهمها:

١ ـ الطبيعة الجغرافية للدرعية والامتداد العمراني فيها؛ إذ كان للدرعية طبيعة خاصة فلم تكن هذه البلدة مقامة على أرض سهلة تسهل محاصرتها، بل كانت أودية وشعاباً متفرقة تتوزع يميناً ويساراً على وادي حنيفة، وتقوم المباني والمزارع في وسط هذه الشعاب، أو على المرتفعات الجبلية المشرفة عليها، وهذا جعل أحياءها مقسمة جغرافياً بطريقة تعزل كل حي عن الآخر فأصبح من الصعب اختراق البلد وإطالة مدة الحصار. وإن كان لهذا الأمر بعض السلبيات في عَدِّ هذه الشعاب ممرات يصعب تحصينها بالأسوار، فكانت منافذ سهلة لجنود إبراهيم باشا، خصوصاً إذا غابت القوة المدافعة التي حرص

الإمام عبدالله بن سعود على تركيزها في مثل هذه المنافذ في محاولة منه لسد هذه الثغرات في تحصينات الدرعية.

٢ ـ أن الدرعية لم تحاصر من جميع جوانبها، فقد ظلت الجهة الجنوبية في الدرعية دون حصار، وهذا ساعد على تماسك الدرعية مدة طويلة؛ لأن الإمدادات كانت تصل إليها من المناطق التابعة لها عن طريق هذه المنافذ غير المحاصرة. ولسد مثل هذه الثغرات في حصار الدرعية عمل إبراهيم باشا على مهاجمة بعض البلدان النجدية الواقعة في جنوب الدرعية، كما استطاع أن يحصل على ولاء بعض البلدان، وبذلك يحاول أن يعوض من عدم إحكامه الحصار على الدرعية وذلك لنقص عدد الجنود لديه، وانتظار وصول إمدادات جديدة، مع أنه في نهاية الأمر لم يحتج إلى هذه القوات الجديدة التي كانت في طريقها إليه بقيادة خليل باشا فأرسلها إلى تهامة.

٣ ـ تعرُّض الحملة لعدة هزات خلال الحصار، منها هزيمة قوية عند السلماني، فلو أن القوات السعودية لاحقت قوات إبراهيم باشا المنهزمة لكانت كارثة قوية على الحملة، ولكن السعوديين اكتفوا بإيقاف الهجوم فقط، ولم يحاولوا استعادة مناطقهم التي خسروها. كما تعرضت الحملة في أثناء الحصار لحادثة خطيرة باحتراق مستودع ذخيرتها، وهو الحادث الأعظم الذي لو استغله جيداً السعوديون لقضوا على حملة إبراهيم باشا، ولكن ذلك لم يحصل على الرغم من محاولة الإمام عبدالله بن سعود الإفادة من ذلك الحدث. كما تعرض إبراهيم باشا لعصيان جنوده أكثر من مرة، وكان بإمكان السعوديين استغلال مثل هذه المواقف لتحقيق نصر حاسم على قوات إبراهيم باشا.

كما كان لطول مدة الحصار أثره في أوضاع الدرعية وسكانها الاجتماعية والاقتصادية، فترتب على ذلك ضعف في الروح المعنوية لديهم، وهذا دفع بعدد كبير من السكان إلى مغادرتها قبل السقوط، مما أضعف الجبهة الداخلية، والمقاومة العسكرية في مواجهة الحصار. كما ترتب على ذلك تخاذل سكانها أمام الهجوم الكبير الذي قام به إبراهيم باشا في نهاية الحصار، وترتب عليه سقوط الدرعية بكاملها.

وفي الحقيقة لم يكن سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا وحده، فقد وضح أن ولاة الدولة العثمانية في بغداد خاصة وفي الشام والحجاز ساهموا في هذا الحصار بشكل أو بآخر. كما كان لمواقف القوى المجاورة أثر بارز أيضاً في هذا الحصار، سواء بتقديم بعض المساعدات، أو التسهيلات التي وفرتها للحملة، أم عن طريق مواقفها المشجعة والداعمة للحملة، وتخليها عن تقديم أي مساعدات للسعوديين.

مما سبق نجد أن العوامل التي أدت إلى سقوط الدرعية كانت متعددة، ولا يمكن حصرها بسهولة، وتنصب في عدة محاور رئيسة بين أسباب سياسية وعسكرية واقتصادية ونفسية، تكاتفت جميعها لتتسبب في سقوط الدرعية، وانهيار الدولة السعودية الأولى، وترتب على هذا نتائج خطيرة في المنطقة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية، وكان لها تأثير وصدى عالميان كبيران؛ وهذا يدل على عظم هذا الحدث وأهميته تاريخياً.

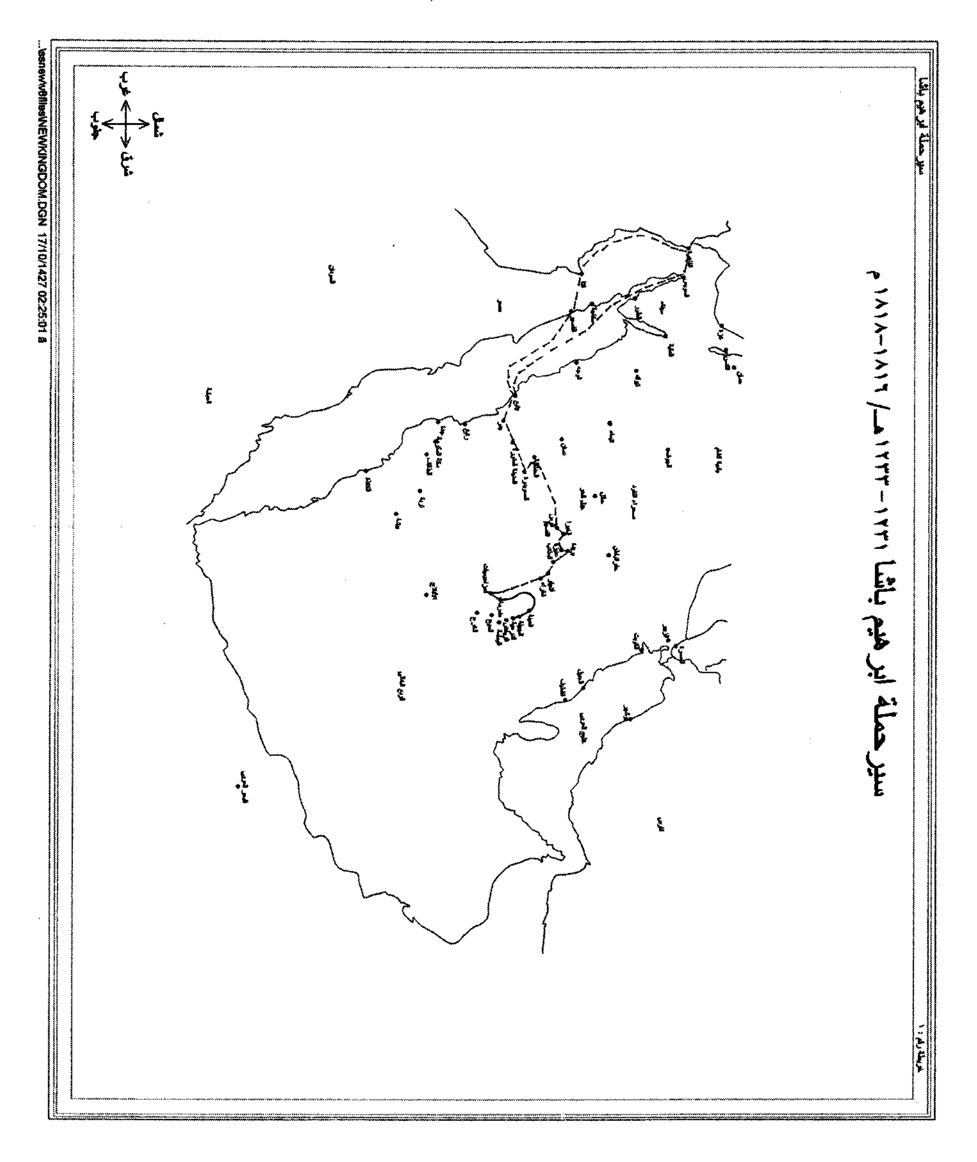


مُلحق الخرائط والصّور

- ملحق الخرائط
- ملحق الصور

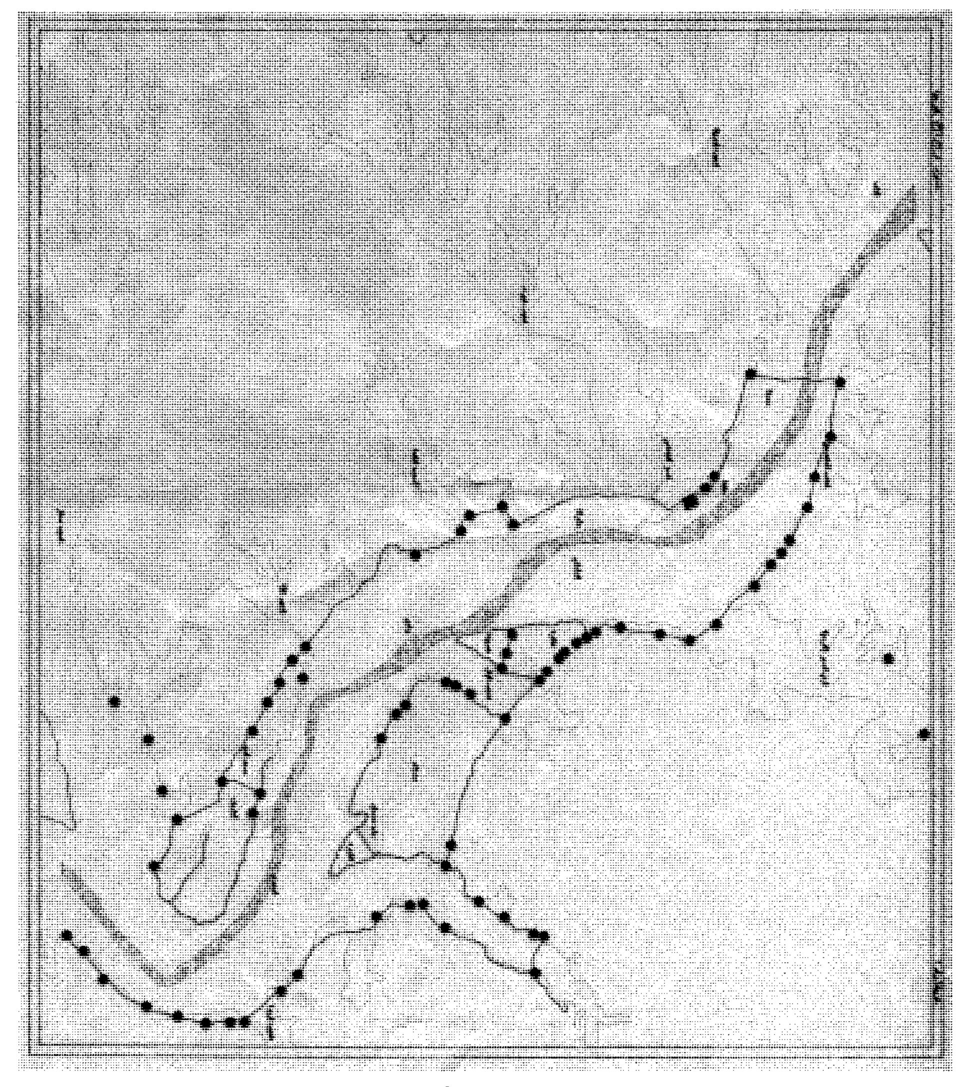


خريطة رقم ١



سير حملة إبراهيم باشا ١٢٣١ ـ ١٢٣٣هـ (١٨١٦ ـ ١٨١٨م)

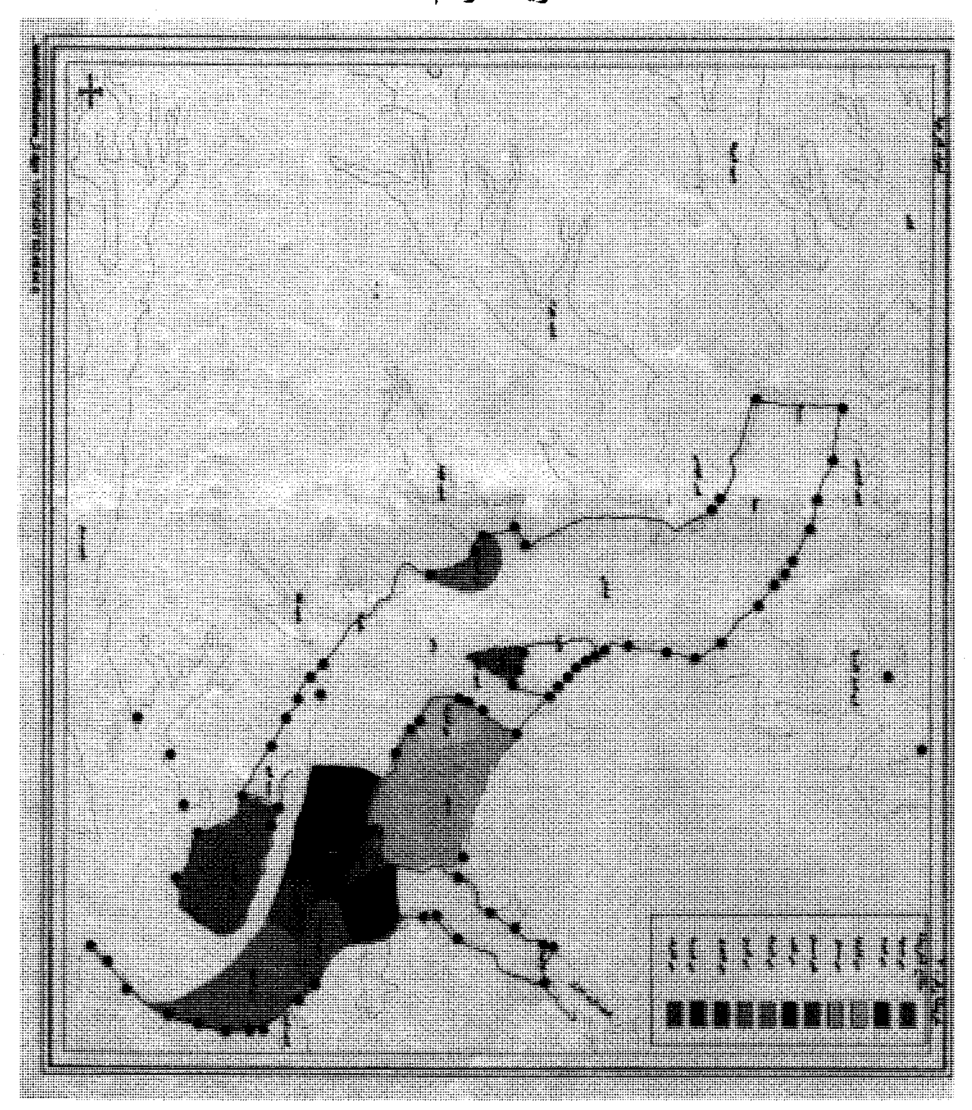
خريطة رقم ٢(*)



سور الدرعية وأربراجها

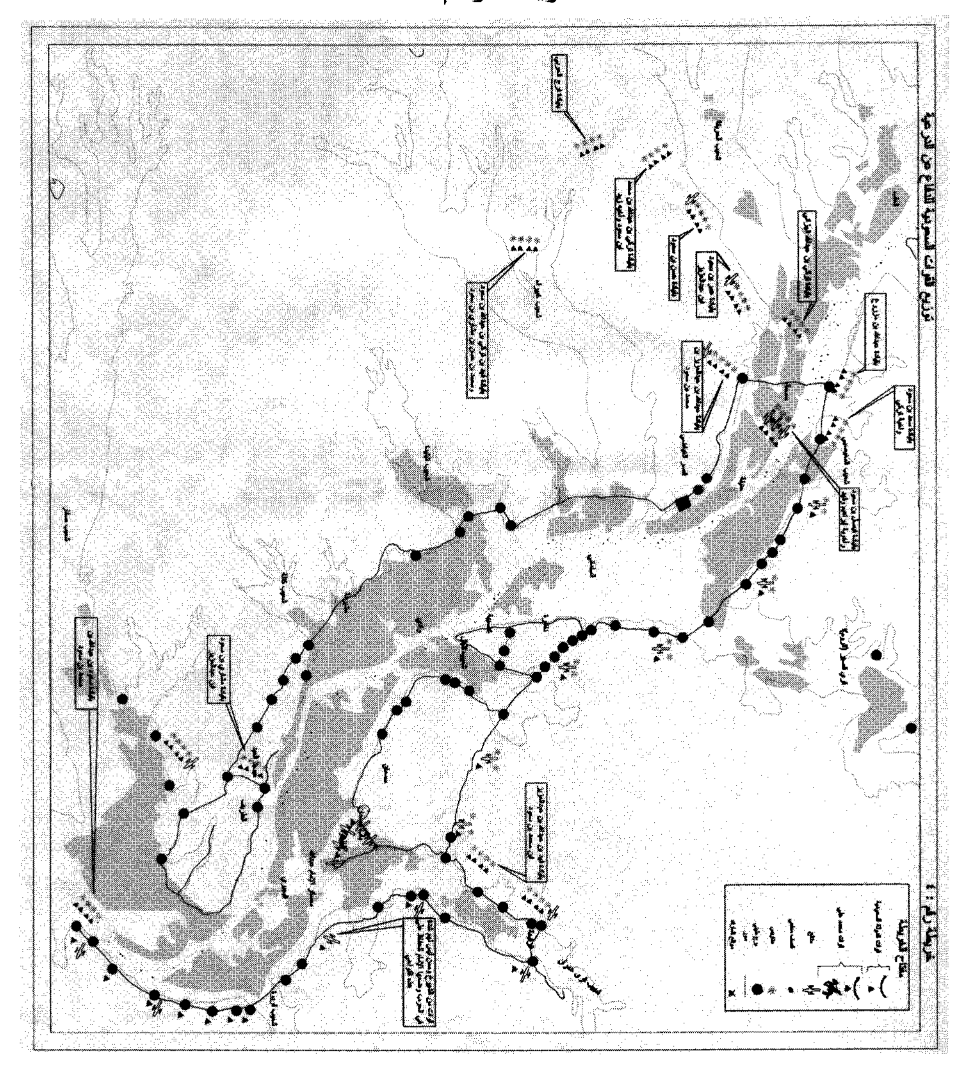
(*) خريطة منسوخة عن خريطة الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ص ٤٢ ـ ٤٣.

خريطة رقم ٣



أحياء الدرعية

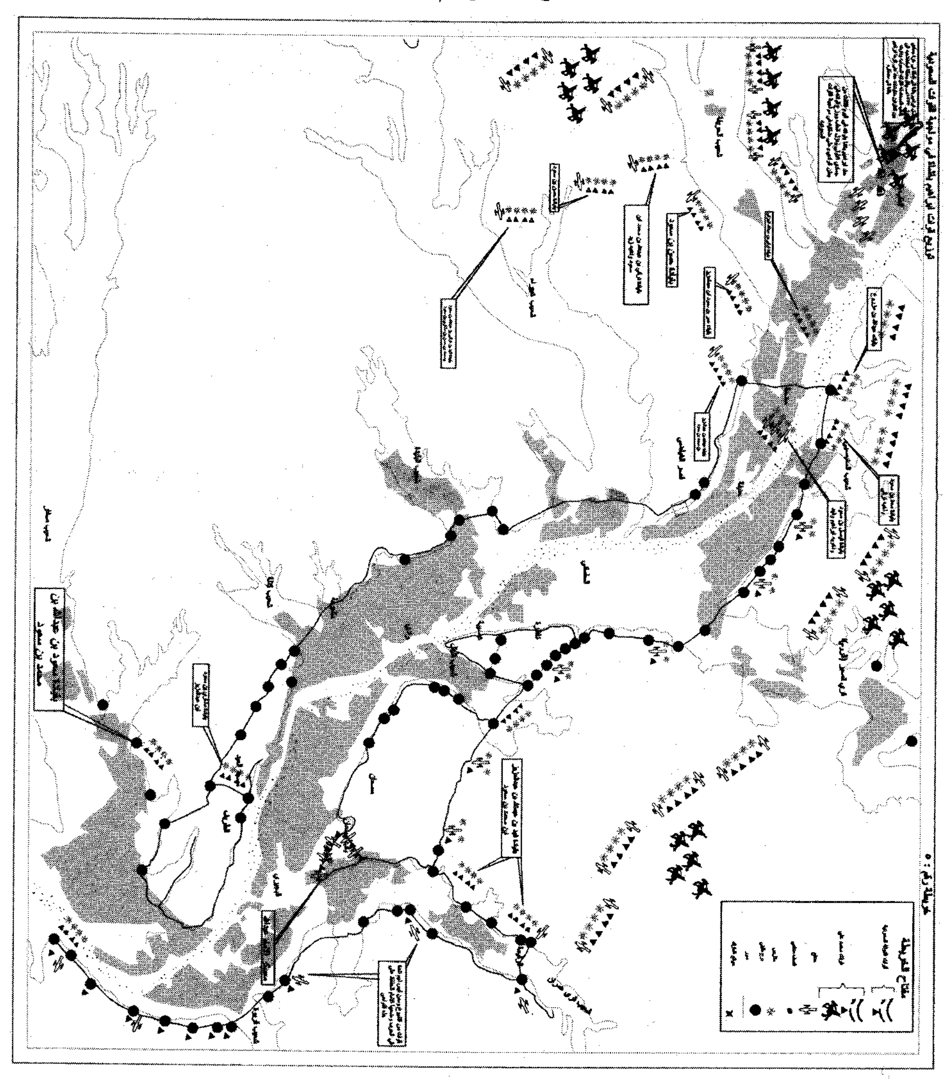
خريطة رقم ٤(*)



توزيع القوات السعودية للدفاع عن الدرعية

(*) نسخت هذه الخريطة عن خريطة الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ص ٨٨ ـ ٨٩.

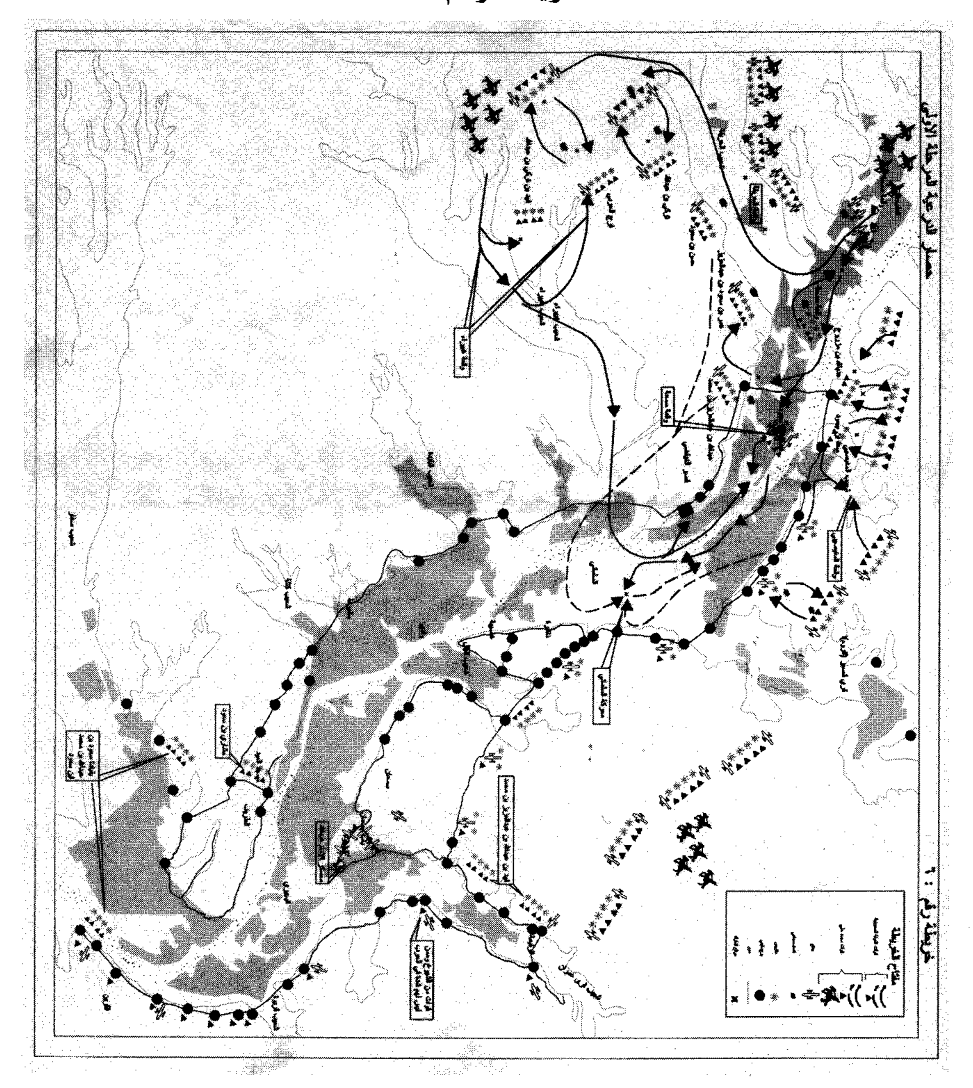
خريطة رقم ٥(*)



توزيع قوات إبراهيم باشا في مواجهة القوات السعودية

(*) نسخت هذه الخريطة عن خريطة الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ص ٩٠ ـ ٩١.

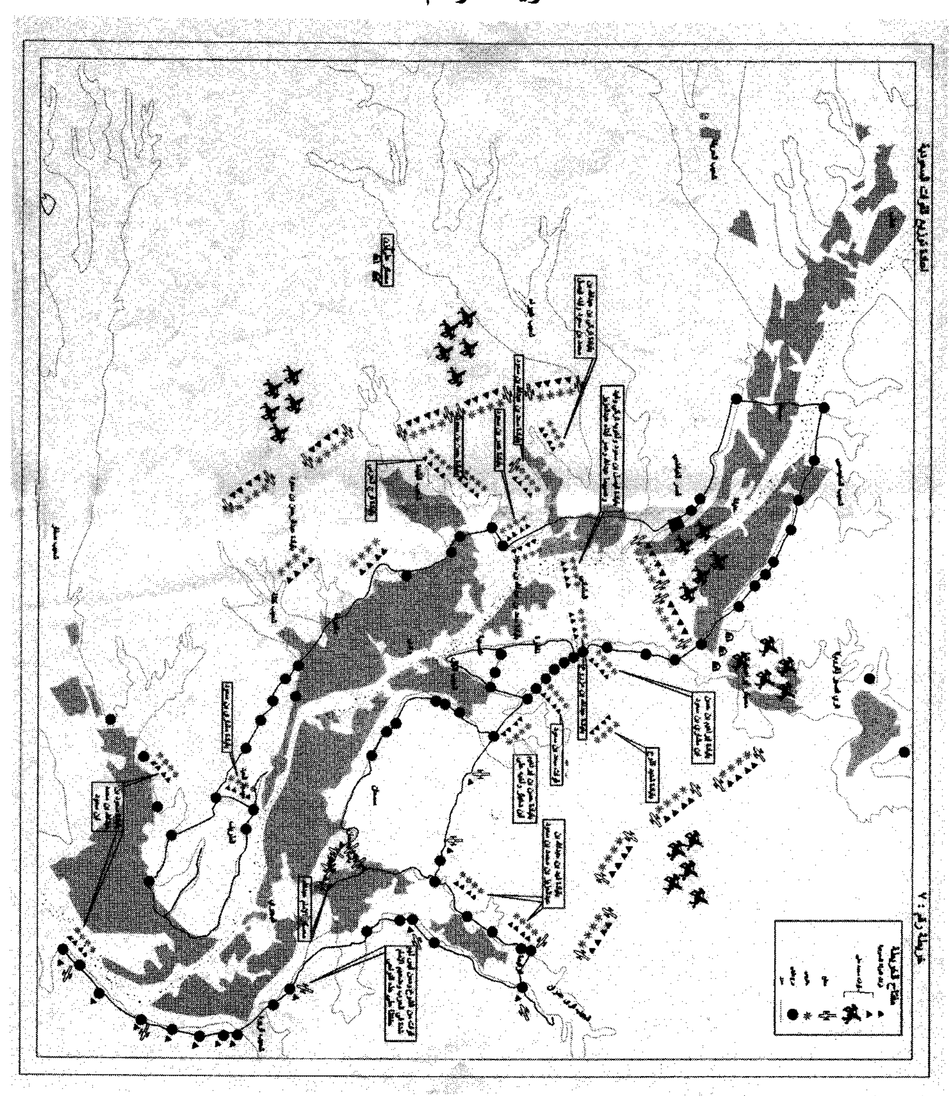
خريطة رقم ٦(*)



حصار الدرعية المرحلة الأولى

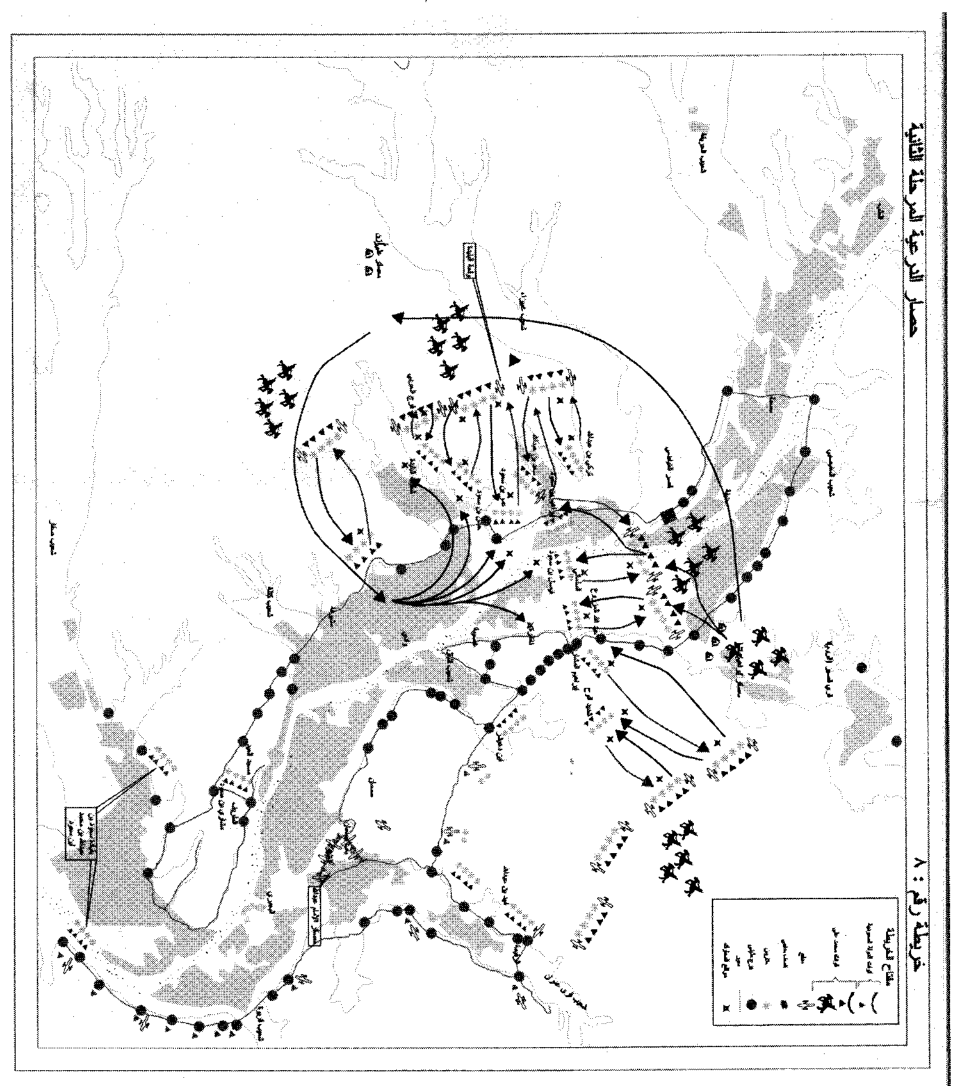
(*) نسخت هذه الخريطة عن خريطة الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ص ٩٢ ـ ٩٣.

خريطة رقم ٧



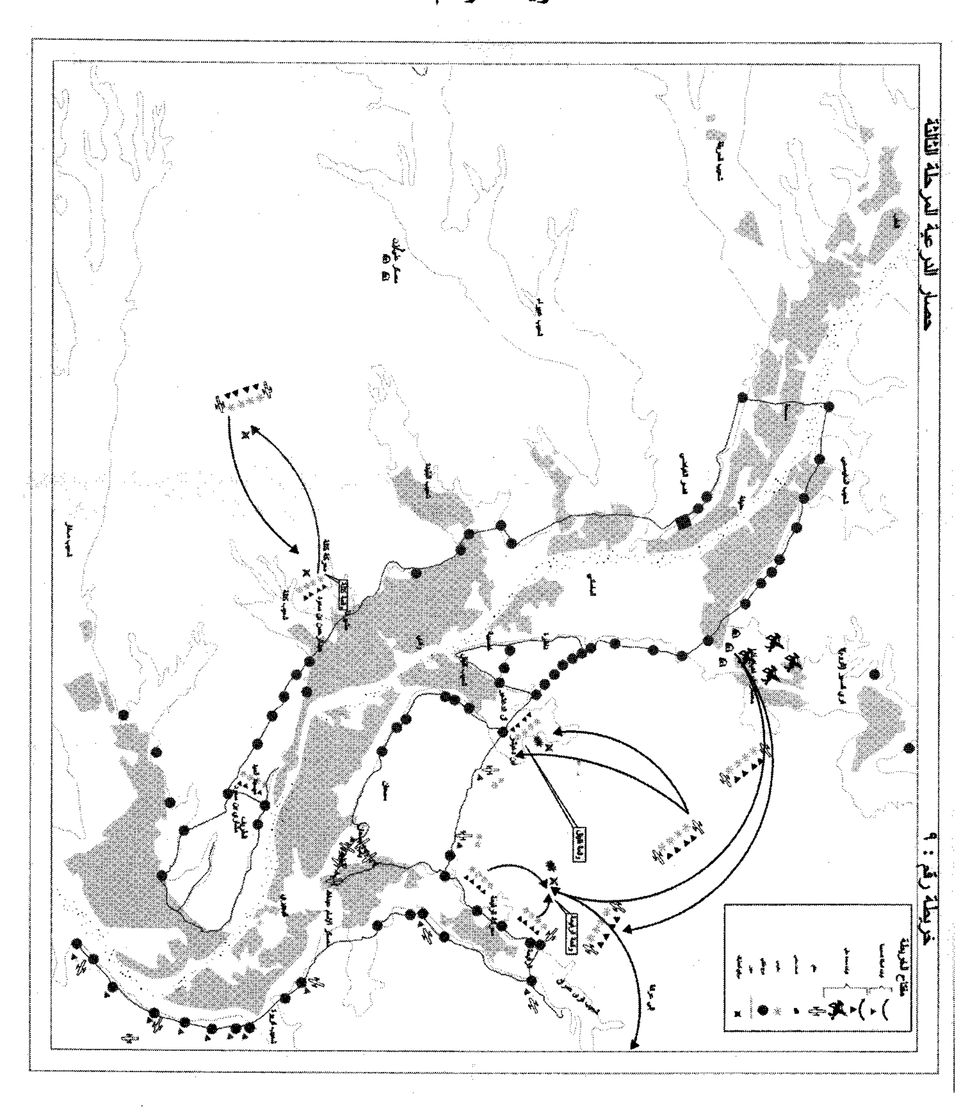
إعادة توزيع القوات السعودية

خريطة رقم ٨



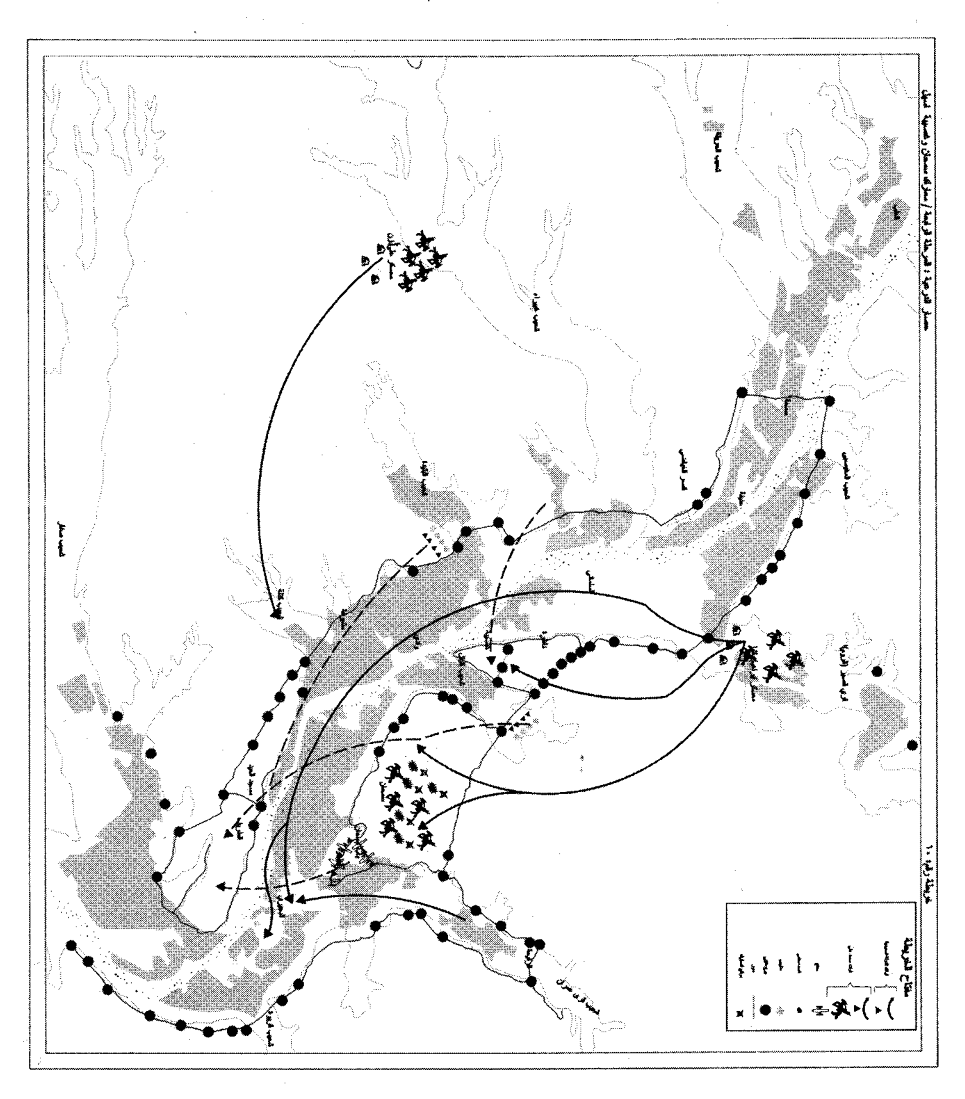
حصار الدرعية المرحلة الثانية

خريطة رقم ٩



حصار الدرعية المرحلة الثالثة

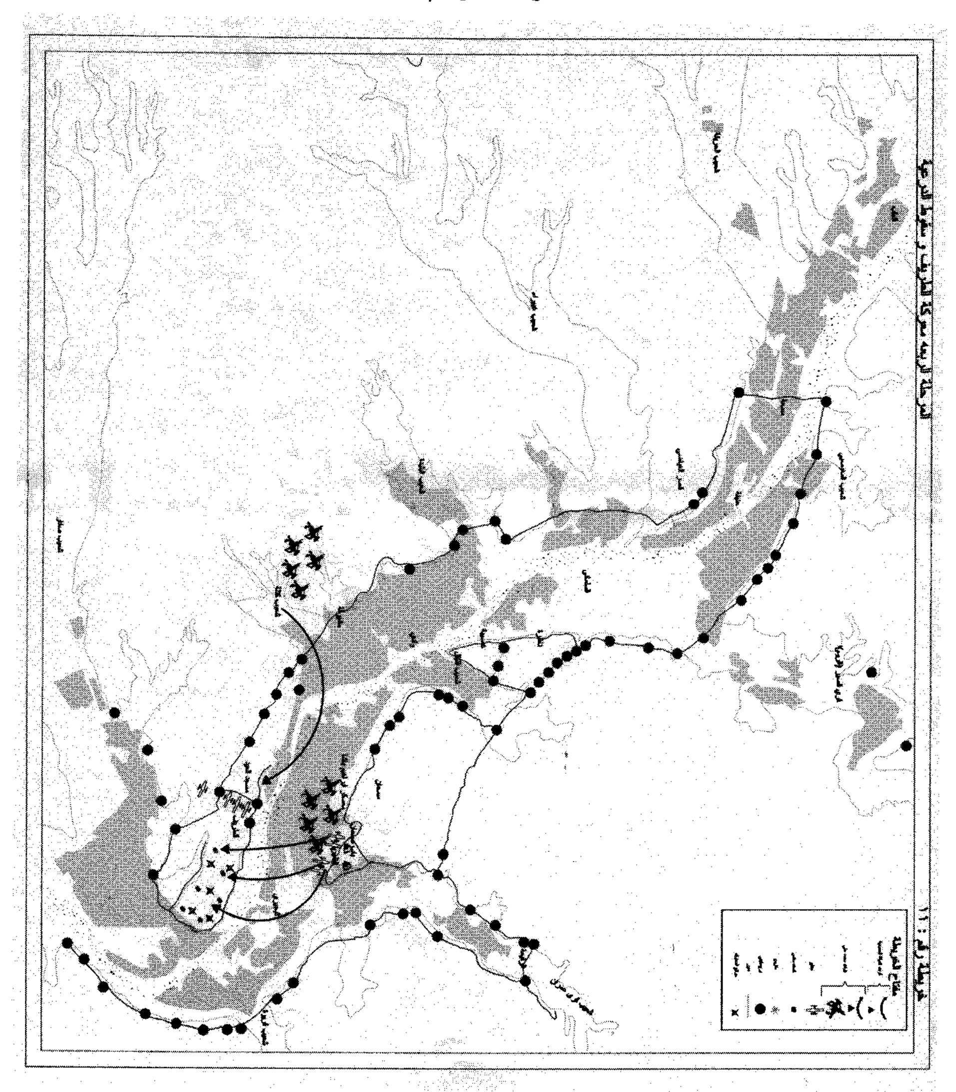
خريطة رقم ١٠



حصار الدرعية المرحلة الرابعة

معركة سمحان وغصيبة والسهل

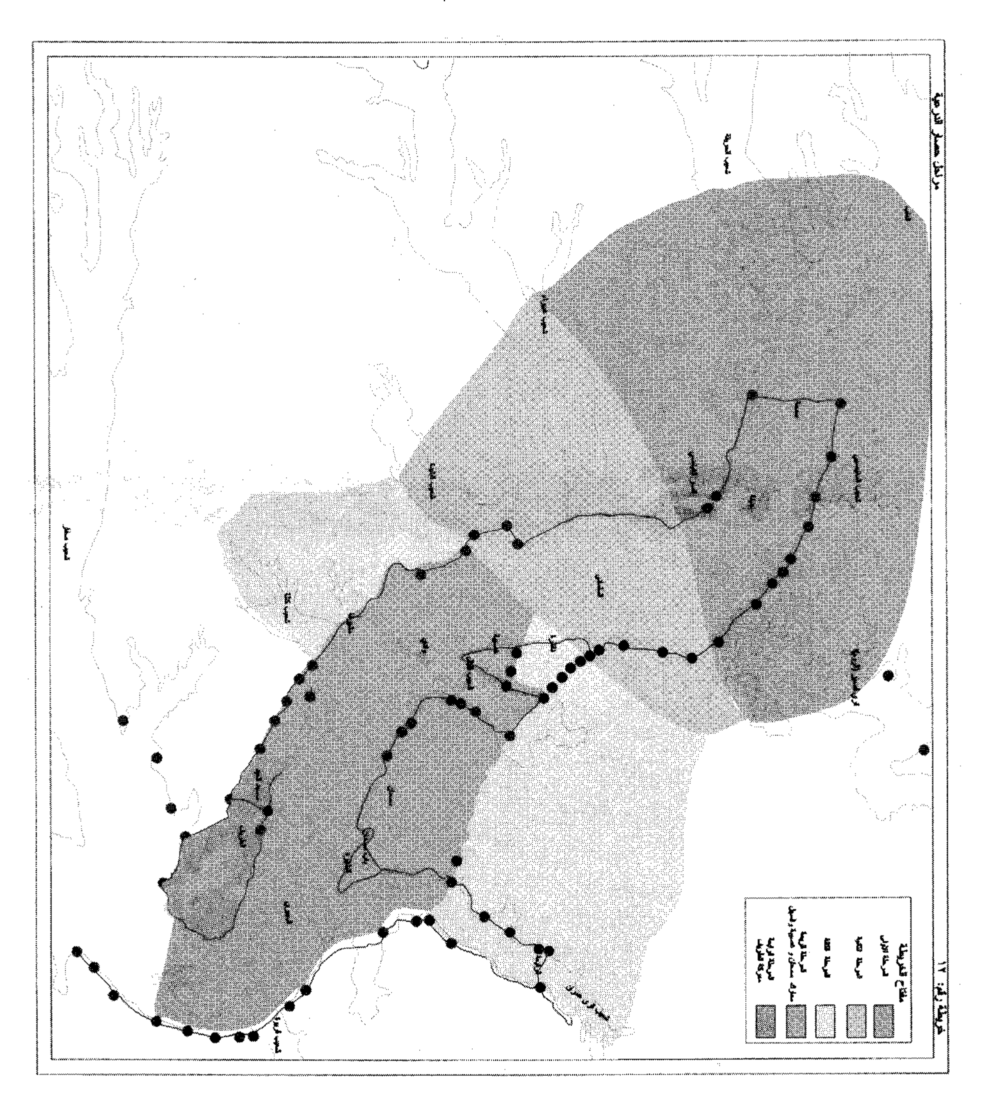
خريطة رقم ١١



المرحلة الرابعة

معركة الطريف وسقوط الدرعية

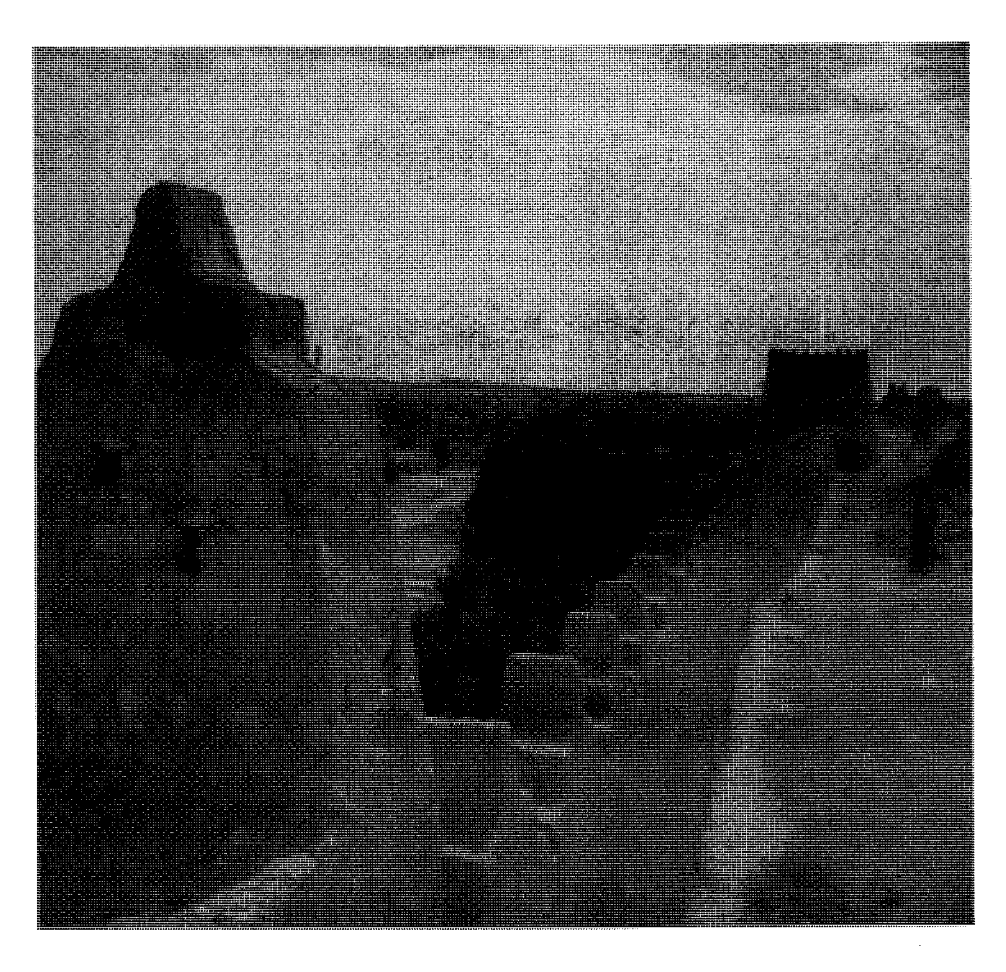
خريطة رقم ١٢



مراحل حصار الدرعية



صورة ١: صورة جوية للدرعية



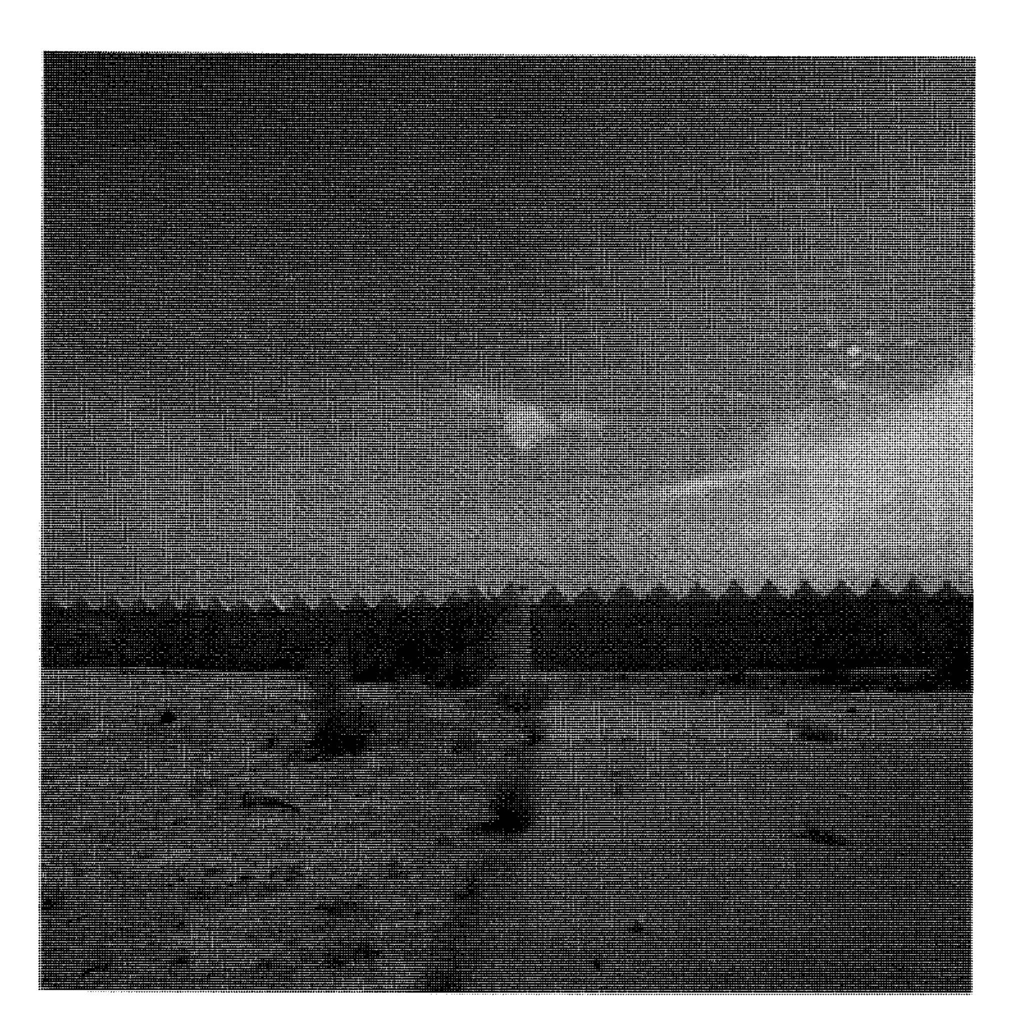
صورة ٢: أسوار الدرعية



صورة ٣: من أبراج حي الطريف



صورة ٤: سور الطريف، طريقة بناء الأسوار



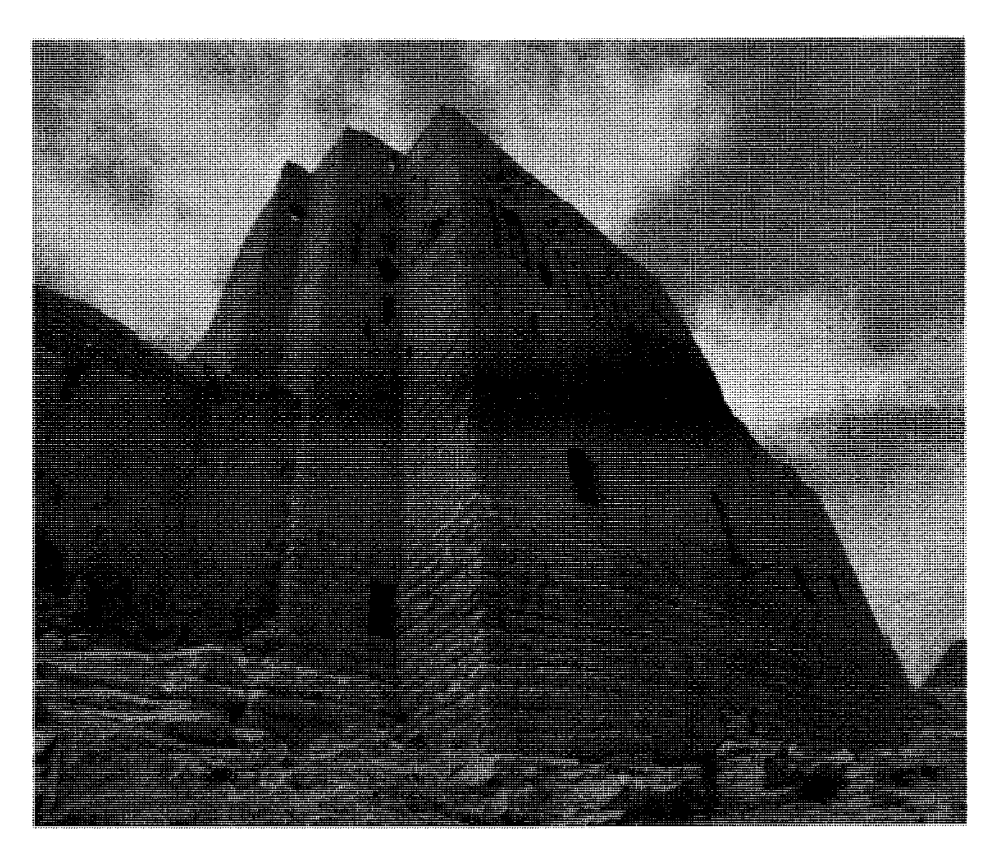
صورة ٥: أسوار الدرعية



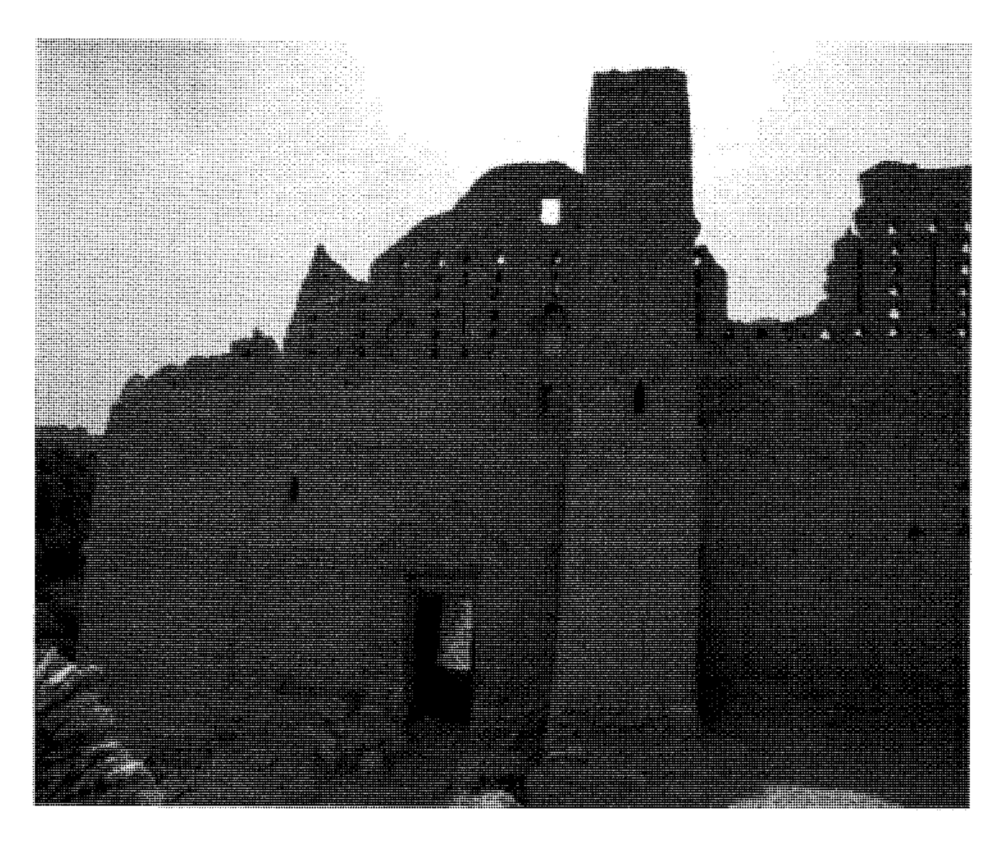
صورة ٦: أبراج منفردة



صورة ٧: من قصور الطريف/ قصر ناصر بن سعود



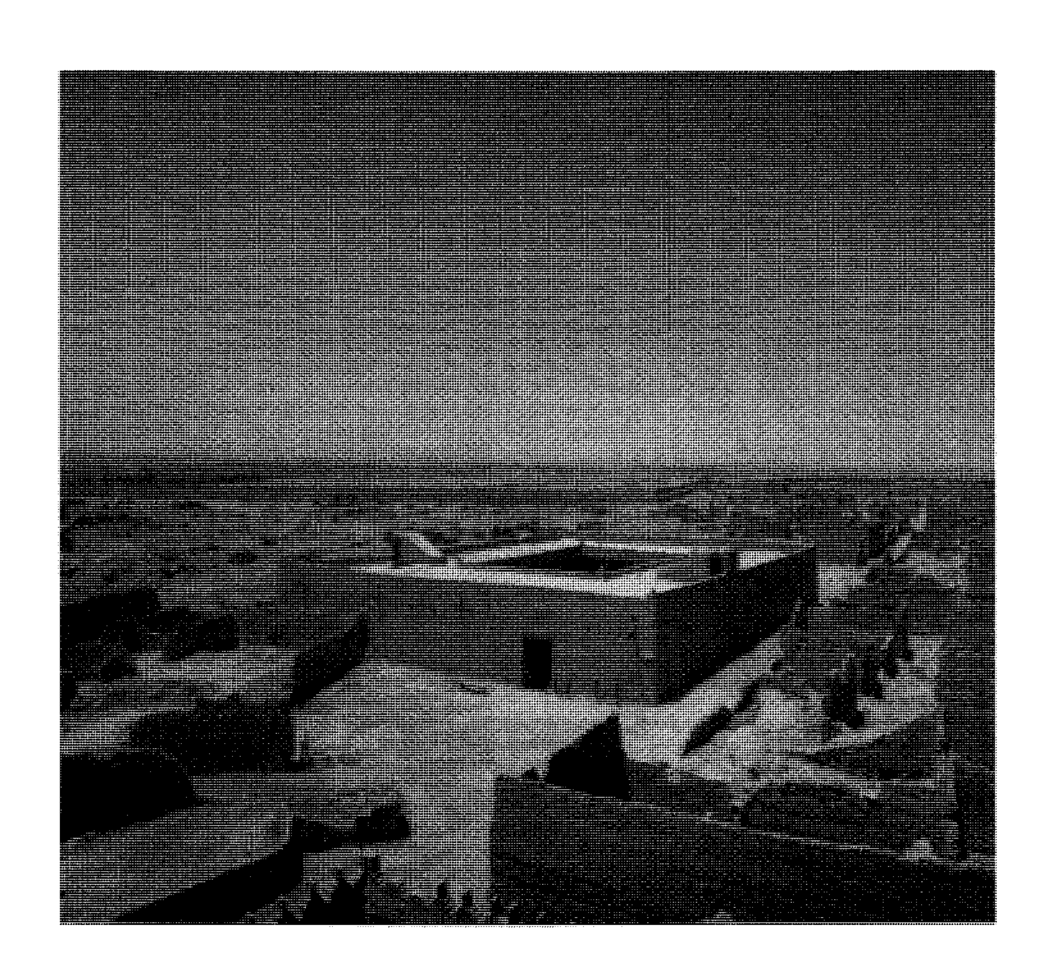
صورة ٨: من قصور سلوى



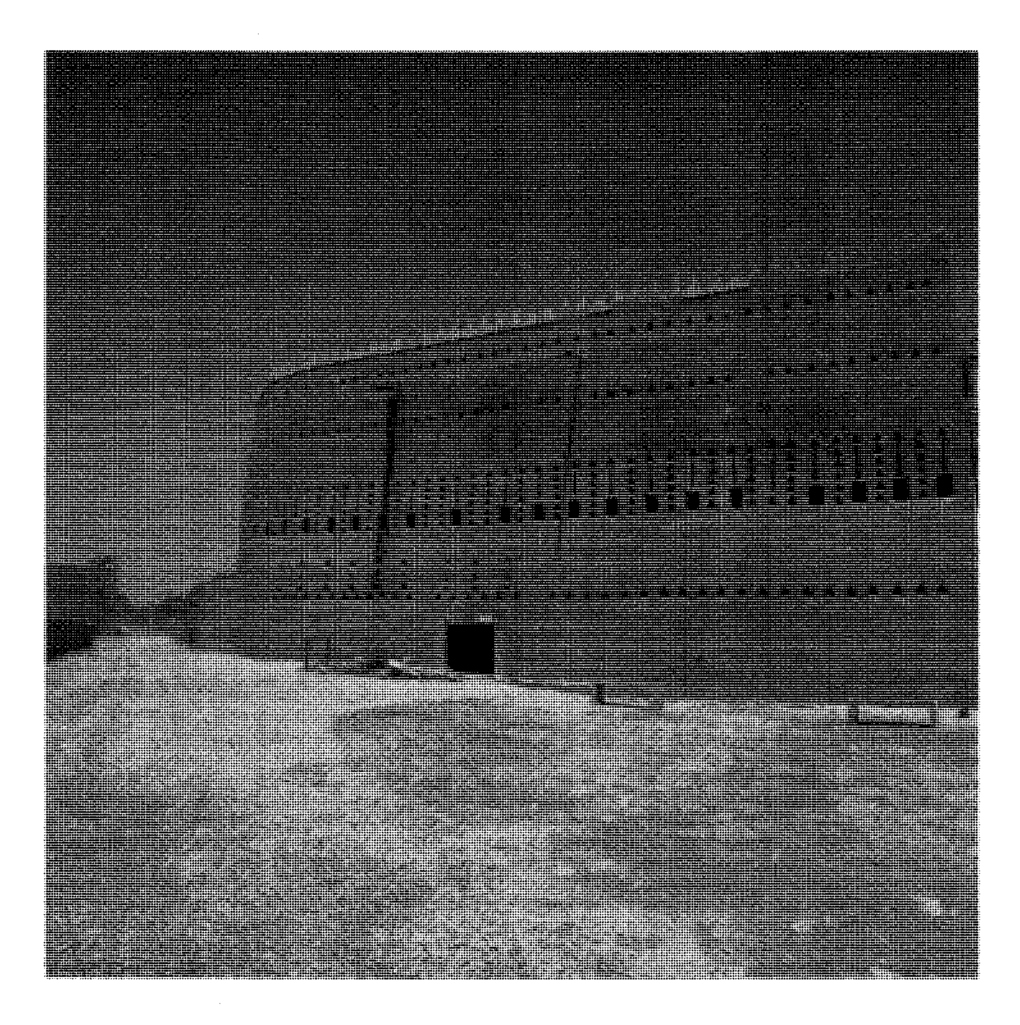
صورة ٩: من قصور سلوى



صورة ١٠: من قصور سلوى



صورة ١١: من قصور الطريف



صورة ١٢: من قصور الطريف/ قصر سعد بن سعود

المصادر والمراجع

أولاً ـ الوثائق:

- مجموعة الوثائق المصرية المحفوظة في دار الوثائق المصرية في القاهرة.
- مجموعة وثائق تركية محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول.
- مجموعة الوثائق العثمانية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.
- مجموعة الوثائق العثمانية المحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

ثانياً ـ المصادر والمراجع باللغة العربية:

- الإسكندري، عمر وحسن، سليم، تاريخ مصر من الفتح العثماني، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م.
- أسوار وأبراج الدرعية القديمة، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، (د.ت).
- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ٢٠٠٠م.
- امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود، حي الطريف، الدرعية،الرياض: وكالة الآثار والمتاحف (د.ت).
- أوبنهايم، ماكس، وآخرون، البدو، تحقيق ماجد شبر، لندن: دار الوراق، ٢٠٠٤م.
- بالجريف، وليم جيفورد، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري حسن، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.
- برنامج تطوير وادي حنيفة، الرياض: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.
- بريدجز، هارفرد جونز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة الجهني،الرياض دارة الملك عبدالعزيز،١٤٢٦هـ.

- البسام، عبدالله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، الكويت: شركة المختلف للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.
- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن،علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ.
- البسام، محمد، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق سعود العجمي، (د.ن) ط١، ١٤٠١هـ.
- ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٩٨٢م.
- البصري، عثمان بن سند، مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، الموصل: دار الحكمة، ١٩٩١م.
- البصري، عثمان بن سند، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، اختصره أمين الحلواني، علق على حواشيه محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٧١هـ.
- البطريق، عبدالحميد، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.
- البلادي، عاتق، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة: دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ.
- بوركهارت، جوهان، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، (د.ن.) ١٩٩١م.
- جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م.
- الجاسر، حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض: دار اليمامة، ط٣، ١٤٢١هـ.
- الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، معجم مختصر، الرياض: دار اليمامة،(د.ت).
- جان جاك روسو، وصف باشوية بغداد، ترجمة: محمد خير البقاعي،الرياض، ٢٠٠٣م.

- الجبرتي، عبدالرحمن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل، د.ت.
- ابن جريس، راشد، مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تحقيق محمد العقيل، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الجنيدل، سعد بن عبدالله، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، الرياض: شركة ألوان للطباعة، ١٤١٧هـ.
- الجنيدل، سعد بن عبدالله، معجم التراث والسلاح، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.
- جوان، إدوارد، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة: (د.ن)، ط١، ١٣٤٠هـ١٩٣١م.
- الحربي، فايز البدراني، ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى، الرياض: دار البدراني، ط١، ١٤١٤هـ.
- الحربي، دلال، نساء شهيرات من نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- الحقيل، عبدالله حمد، «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ» مجلة الدارة، السنة السابعة، العدد ٤، رجب ١٤٠٢هـ.
- حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠١م.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.
- حيرت أفندي، رياض الكتبا وحياض الأدباء، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٤٤هـ.
- خزعل، حسين خلف، تاريخ الكويت السياسي، بيروت: (د.ن) ١٩٦٢م.
- خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، منطقة نجد، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.
- الخضيري، محمد بن سليمان (جمع وتعليق)، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن خميس، عبدالله، الدرعية، الرياض: مطابع الفرزدق، ط٢، ١٤١٤هـ.

- ابن خميس، عبدالله، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية،معجم اليمامة، الرياض: مطابع الفرزدق،ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ابن خميس، عبدالله، «الدرعية معالم وأطلال»،مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٩٥هـ.
- ابن خميس، عبدالله، «ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية»، مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، شوال ١٤٠٤هـ.
- الدامغ، فهد، تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى ٨٥٠ ـ ١١٥٧هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٧٤٤م،الرياض: إمارة مدينة الرياض، ١٤١٩هـ.
- دحلان، أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.
- الدقن، سيد، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، القاهرة: مطبعة الجبلاوي،١٩٨٦م.
- الذكير، مقبل، حوادث عسير واليمن والحجاز (مخطوط من مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد، ١٣٩٦هـ رقم ٥٦٩).
- الرافعي، عبدالرحمن، عصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ط ٦، ٢٠٠١م.
- الرباطي، محمد بن عبدالسلام، تاريخ الضعيف الرباطي،تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ابن ربيعة، محمد، تاريخ ابن ربيعة، تحقيق عبدالله الشبل،الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة،١٤١٩هـ.
- الرجبي، محمد خليل، تاريخ الوزير محمد علي، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ.
- ابن رشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ.
- الرشيد، عبدالله محمد، من ماضي الرس وحاضره، سلسلة هذه بلادنا، (بدون).

- رضا، محمد رشيد، الوهابيون والحجاز، (بدون).
- الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، الجذور التاريخية للبيت السعودي قبل حركة التجديد والدولة، نشرة المئوية، العدد الرابع، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل، د.ت.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.
- الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٥م.
- زكي، عبدالرحمن، أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن التاسع عشر، القاهرة: مطبعة الرسالة، د.ت.
- زكي، عبدالرحمن، التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م.
- سادلير، فورستر، رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق سعود ابن غانم العجمي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ.
- السباعي، أحمد، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكة: نادي مكة الثقافي.
- سبالة، موضي، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف(د.ت).
- سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة: المطبعة الميرية ببولاق، ١٣١٤هـ.
- السروجي، محمد محمود، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م.
- سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، بيروت: دار الكاتب العربي، ١٣٨٥هـ.
- السلمان، محمد، «الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية»، مجلة الحرس الوطني، السنة الثالثة عشر، العدد١٢٢، ربيع الآخر١٤١٣هـ/ أكتوبر ١٩٩٢م.
- السلمان، محمد، «بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة»، مجلة الحرس الوطني، العدد ٨٨، جمادى الثانية ١٤١٠هـ /يناير ١٩٩٠م.

- شاكر، محمود، شبه جزيرة العرب، نجد، بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٧٦م.
- الشبل، عبدالله، تاريخ نجد والدولة السعودية الأولى، الرياض: مؤسسة المدالله، ١٩٨٠م.
- الشريف، عبدالرحمن، مدينة الرياض دراسة في جغرافية المدن، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، (د.ت).
- الشوكاني، محمد علي، ذكريات الشوكاني، تحقيق، صالح رمضان محمود، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م.
- الشويعر، محمد، شقراء، الرياض: دار الناصر، ط١، ١٤٠٥هـ.
- آل الشيخ، عبدالرحمن بن حسن، المقامات، تحقيق عبدالله المطوع، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.
- آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الرياض: دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ.
- الصايغ، فتح الله، رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية، تحقيق يوسف شلحد، دمشق: دار طلاس، ١٩٩٠م.
- صبري، محمد، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٦هـ.
- طلاس، مصطفى، المعجم العسكري الموسوعي، دمشق: مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٨٧م.
- ابن ضويان، إبراهيم بن محمد، تاريخ ابن ضويان، تحقيق إبراهيم الصقير، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ.
- الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، آل الجرباء في التاريخ والأدب، الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٤٠٣هـ.
- العابد، فؤاد، سياسية بريطانيا في الخليج خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- عباس، أحمد مرسي، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، الرياض: دار الزهراء، ١٤١٦هـ.

- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ط٦، ١٩٩٩م.
- العبداللطيف، عبدالرحمن بن صالح، من أصالة الماضي العريق والحاضر المجيد للدرعية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- عبدالله، محمد مرسي، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨م.
- العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ بلاد القصيم، الرياض: دار اليمامة، ١٤١٠هـ.
- العثيمين، عبدالله، تاريخ المملك ة العربية السعودية، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤١٨هـ.
- العثيمين، عبدالله، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، الرياض: مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤١٢هـ.
- العجلاني، منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، الرياض: دار الشبل، ط٢، ١٤١٤هـ.
- أبوعز الدين، فريد مصطفى، آل سعود في التاريخ، بيروت: مطابع قوزما، ١٩٣٤م.
- عزّي، سليمان، تاريخ عزّي، إستانبول: طبعة متفرقة ١١٦٥ ـ ١١٦٧هـ.
- عسة، أحمد، معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية، ط ٣، ١٩٧١م.
- عطار، أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، (بدون).
- العقاد، صلاح، «الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربية ١٨١١ ـ ١٨١٨م»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد ٦، ربيع الآخر ١٣٩٦هـ.
- علي، أحمد، آل سعود، مكة المكرمة: ١٣٧٦هـ.
- أبو علية، عبدالفتاح، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ ـ ١٢٣٣هـ، الرياض: دار المريخ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
- أبو علية، عبدالفتاح، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سي، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ.

- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ الى١٣٤٠هـ، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- العيسى، محمد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٥هـ.
- ابن غنام، حسين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٦٨هـ.
- غزال، عبدالكريم، المملكة السعودية أمام قدرها الكبير، دمشق: المطبعة التعاونية، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- الغنام، سليمان، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، جدة: مكتبة تهامة، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، تحقيق عبدالله الشبل، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.
- فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال ماشطة، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م.
- الفرج، خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن الشقير، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٠م.
- الفكهاني، حسن، الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية، القاهرة: الدار العربية للموسوعات، د.ت.
- فهمي، خالد، كل رجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة شريف يونس، القاهرة: دار الشروق ط١، ١٤٢٢هـ.
- فيلبي، هاري سانت جون، العربية السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء، ترجمة عاطف فالح يوسف، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ.
- القاسم، عبدالرحمن، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، بيروت: دار العربية، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- القصيمي، عبدالله، الثورة الوهابية، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ط ١، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

- قورشون، زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥ ـ ١٩١٤م)، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م.
- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت مؤسسة الرسالة، د.ت.
- كربيتس، بيير، إبراهيم باشا، ترجمة محمد بدران، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.
- الكركوكلي، رسول، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٥م.
- كورانسيه، لويس، الوهابيون، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- كيلي، جون، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م،ترجمة محمد أمين عبدالله،القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت)
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض دارة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٦هـ.
- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، موسكو: دار التقدم، ١٩٧١م.
- مانجان، فيلكس، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، ترجمة، محمد خير البقاعي،الرياض: دارة الملك عبدالعزيز،٢٠٠٥م.
- مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة،القاهرة: دار الكتب المصرية،١٩٩٧م.
- المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت).
- المطوع، عبدالله، «التحولات السياسية والاجتماعية في الدرعية ٨٥٠ ـ ١١٥٧هـ/١٤٤٦ ـ ١٧٤٤م»، مجلة جامعة الملك سعود، م١٦، الآداب ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- المطوع، عبدالله، مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، الجمعية التاريخية السعودية، بحوث تاريخية، الإصدار الرابع عشر، محرم ١٤٢٤هـ.
- موسيل، ألويس، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة وتعليق سعيد فايز السعيد، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م.
- الناصر، صالح بن حمد، الدرعية وأحياؤها القديمة، الدرعية: بلدية الدرعية الفرعية، د.ت.ن.
- نوار، عبدالعزيز، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الهاشمي، رحيم كاظم محمد، تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨١ ـ ١٩١٤م، دمشق: دار علاء الدين،ط١، ٢٠٠٠م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة: دار الآفاق العربية،ط ١، ٢٠٠١م.
- وليمز، كنث، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، ترجمة، كامل صموئيل، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩٣٤م.
- وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين،القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ياغي، إسماعيل، «بريطانيا والدولة السعودية الأولى» مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الأول، ١٣٩٧هـ.
- يحيي، جلال، مصر الحديثة ١٨٠٥ ـ ١٨٤٠م، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

الكشاف العام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(ص ـ ض)

(ط ـ ظ)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ ـ و)

(ي)

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١ ـ فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.

٢ ـ لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٣٩٥هـ.

٣ ـ سلسلة قادة الجزيرة ـ قال الجد لأحفاده، عبدالوهاب فتال. (د.ت).

٤ ـ سعود الكبير ـ الإمام سعود بن عبدالعزيز، عبدالوهاب فتال. (د.ت).

٥ ـ عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ـ عهد سعود الكبير، عبدالوهاب فتال. (د.ت).

٦ ـ الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، عبدالوهاب فتال. (د.ت).

٧ ـ هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.

٨ ـ المرأة: كيف عاملها الإسلام، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د.ت).

٩ ـ الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٦هـ.

١٠ ـ العرب بين الإرهاص والمعجزة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١١ ـ بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٢ ـ رحلات الأوربيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٣ ـ الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.

١٤ ـ انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.

١٥ ـ أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٦ ـ تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.

١٧ ـ مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٤٠١هـ.

١٨ ـ الأطلس التاريخي للدولة السعودية، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.

١٩ ـ أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٢٠ ـ محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله،١٣٩٩هـ.

٢١ ـ مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب، ١٣٩٩هـ.

٢٢ ـ دليل الدوريات بالمكتبة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٣ ـ دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٤ ـ دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٥ ـ قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٦ ـ دليل دارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.

٢٧ ـ أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلميّة المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٨ ـ دراسات في الجغرافية الاقتصادية «المملكة العربية السعودية والبحرين»، د. أحمد رمضان شقلية، ١٤٠٢هـ.

٢٩ ـ الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٣٠ ـ الأمثال العامية في نجد «٥ أجزاء»، محمد بن ناصر العبودي

«أسهمت الدارة في طباعته»، ١٣٩٩هـ.

٣١ ـ حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، رابح لطفي جمعة، ١٤٠٢هـ.

٣٢ ـ الملك فيصل والقضية الفلسطينية، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.

٣٣ ـ علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية»، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٤ ـ سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٥ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.

٣٦ ـ المرافئ الطبيعيَّة على الساحل السعودي الغربي «دراسة مقارنة تطبيقية»، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.

٣٧ ـ السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.

٣٨ ـ كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.

٣٩ ـ النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١)، ١٤٠٣هـ.

٤٠ ـ بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢)، ١٤٠٣هـ.

٤١ ـ العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ ـ ١٣٤١هـ، خالد حمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣)، ١٤٠٣هـ.

٤٢ ـ السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة لغوية وحضارية، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٤)، ١٤٠٣هـ.

٤٣ ـ الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.

٤٤ ـ انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٥ ـ الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.

٤٦ ـ مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٧ ـ أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٤٨ ـ نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تأليف: عبدالرحمن ابن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد ابن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.

٤٩ ـ فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥٠ ـ دارة الملك عبدالعزيز: الكتيّب الإعلامي الأول للدارة، ١٣٩٨هـ.

٥١ ـ مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٥)، ١٤٠٨هـ.

٥٢ ـ النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥م، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.

٥٣ ـ مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٤ ـ المنهج المثالي لكتابة تاريخنا، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.

٥٥ ـ الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦ ـ ١٣٠٩هـ، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٦ ـ لوحة نسب آل سعود، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د.ت).

٥٧ ـ جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٨ ـ الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥ ـ ١٤١٥هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.

٥٩ ـ الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٠ ـ الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣ ـ ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.

٦١ ـ الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٦)، ١٤١٧هـ.

٦٢ ـ مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.

٦٣ ـ يوميات رحلة في الحجاز، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.

٦٤ ـ معجم التراث (السلاح)، سعد ابن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.

٦٥ ـ جدة خلال الفترة ١٢٨٦ ـ ١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٧)، ١٤١٨هـ.

٦٦ ـ بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣ ـ ١٥ رجب ١٤١٧، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٦٧ ـ حوليات سوق حباشة، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.

٦٨ ـ مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦ ـ ١٤١٧هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٦٩ ـ الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.

٧٠ ـ رحلة الربيع، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.

٧١ ـ فجر الرياض، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.

٧٢ ـ معجم مدينة الرياض، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.

٧٣ ـ الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٤ ـ رحلة داخل الجزيرة العربية، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.

٧٥ ـ الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)، د. فهد ابن عبدالله السماري، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٧٦ ـ الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.

٧٧ ـ الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه

الله ـ إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣ ـ ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٨ ـ خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.

٧٩ ـ مختارات من الخطب الملكية (جزءان)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٠ ـ نساء شهيرات من نجد، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.

٨١ ـ مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.

٨٢ ـ إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، محمد بن عبدالله الحميد، ١٤١٩هـ.

٨٣ ـ صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)، تأليف ك. سنوك هورخرونيه، نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ، ١٤١٩هـ.

٨٤ ـ لماذا أحببت ابن سعود، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.

٨٥ ـ ديوان الملاحم العربية، محمد شوقي الأيوبي، تعليق د. محمد ابن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٨٦ ـ أصدقاء وذكريات. انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م ـ ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧ ـ الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ / ١٩٠١ ـ ١٩٠٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٨ ـ الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٩ ـ الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو، شركة أرامكو ـ لجنة المؤرخين، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.

٩٠ ـ يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي، أحمد بن علي الكاظمي، ١٤١٩هـ.

٩١ ـ الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.

٩٢ ـ رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، فيليب ليبنز، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.

٩٣ ـ جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية: دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة، د. خيرية قاسمية، ١٤١٩هـ.

٩٤ ـ معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ١٤١٩هـ.

٩٥ ـ الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٦ ـ المملكة العربية السعودية في مئة عام: معلومات موجزة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٧ ـ عبدالعزيز (الكتاب المصور)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٨ ـ أصدقاء وذكريات، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م ـ ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩٩ ـ الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى: القسم الأول ١٣٤٣ ـ ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ ـ ١٩٥٣م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٠هـ.

١٠٠ ـ الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية القديمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠١ ـ بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثاً) ط١، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠٢ ـ الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣ ـ سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية ـ القضية الفلسطينية ـ ١٣٤٨ ـ ١٣٧٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٤ ـ الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ، عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.

١٠٥ ـ مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ـ المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٦ ـ رحلة إلى بلاد العرب، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢١هـ.

١٠٧ ـ محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٨). ١٤٢٢هـ.

١٠٨ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.

١٠٩ ـ الجيش السعودي في فلسطين، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.

١١٠ ـ تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.

١١١ ـ اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.

١١٢ ـ الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩ ـ ٦٣٦هـ / ١٠٧٦ ـ ١٢٣٨م، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٩)، ١٤٢٢هـ.

١١٣ ـ المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود / دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٢٢هـ.

١١٤ ـ Najd Before The Salafi Reform Movement، «نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية» د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٥ ـ Al-Yamama in the Early Islamic Era، «اليمامة في صدر الإسلام» د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٦ ـ التحليق إلى البيت العتيق، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة ـ ١)، ١٤٢٢هـ.

١١٧ ـ الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣ ـ ١٣٨٠هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١١٨ ـ الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.

١١٩ ـ جامع العلوم والحكم (جزءان)، ابن رجب، ١٤٢٣هـ.

١٢٠ ـ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢١ ـ معجم ما ألف عن الحج، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٣هـ.

١٢٢ ـ برنامج المحافظة على المواد التاريخية، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.

١٢٣ ـ مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها، جمع وتحرير إدوارد. ب. أدكوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، ود. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.

١٢٤ ـ العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام، القاهرة (١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢٥ ـ علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٦ ـ المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٧ ـ مستخلصات بحوث مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز (جزءان)، ١٤٢٣هـ.

١٢٨ ـ الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، نايف بن علي السنيد الشراري، ١٤٢٣هـ.

١٢٩ ـ موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦ ـ ١٩٤٨م)، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة ـ ٢) ١٤٢٣هـ.

١٣٠ ـ مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين، د. عبدالفتاح حسن أبو علية، ١٤٢٣هـ.

١٣١ ـ العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٢ ـ كلمات قضت ـ معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، محمد بن ناصر العبودي (جزءان)، ١٤٢٤هـ.

١٣٣ ـ الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤ ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٤ ـ موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٣٥ ـ التاريخ الشفهي، حديث عن الماضي، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.

١٣٦ ـ الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالرحمن بن علي العريني، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٣) ١٤٢٤هـ.

١٣٧ ـ طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.

١٣٨ ـ مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٣٩ ـ المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب: إشارات موجزة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

١٤٠ ـ الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، د. معراج ابن نواب مرزا، ود. عبدالله بن صالح شاووش، ١٤٢٤هـ.

١٤١ ـ مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٤٢ ـ المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.

١٤٣ ـ تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٦هـ.

١٤٤ ـ رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام، تأليف: سعد بن أحمد الربيعة أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيز الربيعة، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٤) ١٤٢٤هـ.

١٤٥ ـ الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦ ـ ١٣٢٦هـ)، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٠)، ١٤٢٦هـ.

١٤٦ ـ تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧ ـ ١٣٣٣هـ)، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١١)، ١٤٢٥هـ.

١٤٧ ـ تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد، د. سعيد ابن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٢)، ١٤٢٥هـ.

١٤٨ ـ الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٣)، ١٤٢٦هـ.

١٤٩ ـ موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، د. خليفة ابن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٤)، ١٤٢٦هـ.

١٥٠ ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨ ـ ١٣٠٩هـ)، حصة بنت جمعان الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥١ ـ المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (دراسة تقويمية للوضع الراهن)، أ.د. سالم بن محمد السالم، ١٤٢٥هـ.

١٥٢ ـ منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٦)، ١٤٢٦هـ.

١٥٣ ـ تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، تأليف فيلكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٤ ـ لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبدالله خياط)، عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥هـ.

١٥٥ ـ موجز التاريخ الوهابي، تأليف هارفرد جونز بريدجز، ترجمة د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٥هـ.

١٥٦ ـ التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم، تأليف جان ريمون، ترجمة د. محمد خير البقاعي (سلسلة كتاب الدارة ـ ٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥٧ ـ تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، تأليف لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه، ترجمة د. إبراهيم البلوي، د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٨ ـ الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، تأليف الحسن بن أحمد الضمدي، تحقيق أ.د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤٢٥هـ.

١٥٩ ـ دليل المجلات السعودية المحكمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٠ ـ الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية (النشأة ـ الواقع)، د. عبدالله بن ناصر السدحان، ١٤٢٥هـ.

١٦١ ـ رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، تأليف أنطونان جوسن ـ رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، ١٤٢٥هـ.

١٦٢ ـ الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري، أحمد بن عبدالغفور عطار، ١٤٢٥هـ.

١٦٣ ـ الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية: بحوث ندوة الأرشيف العثماني المنعقدة في الرياض في المدة من ١٩ ـ ٢٢ صفر ١٤٢٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٤ ـ أطباء من أجل المملكة، عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣ ـ ١٩٥٥م، تأليف د. بول أرميردينغ، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي (سلسلة كتاب الدارة ـ ٦)، ١٤٢٦هـ.

١٦٥ ـ العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي ـ الواقع والمستقبل، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول المنعقد في تونس في المدة من ٢ ـ ٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ / ٢ ـ ٤ يونيو ٢٠٠٣م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٦ ـ الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار، تأليف أبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الإسكندري ت ٥٦١هـ، أعده للنشر حمد الجاسر، ١٤٢٥هـ.

١٦٧ ـ مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦ ـ ١٤١٧هـ، (ط٢)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٦٨ ـ دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية ١٩٣٢ ـ ١٩٤٢م، تأليف ماتّيو بيتسيغالّو، ترجمة محمد عشماوي عثمان، ١٤٢٥هـ.

١٦٩ ـ ديوان كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة ـ ٦)، تعليق د. يعقوب يوسف الغنيم، ١٤٢٥هـ.

١٧٠ ـ في أرض البخور واللبان، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٢٦هـ.

١٧١ ـ الجهود التربوية للجمعيات الخيرية النسائية السعودية، أ. حصة بنت محمد المنيف، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٧) ١٤٢٦هـ.

١٧٢ ـ الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء (١٢٨٨ ـ ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ ـ ١٩١٣م)، د. محمد بن موسى القريني، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٨)، ١٤٢٦هـ.

١٧٣ ـ سياسة الملك عبدالعزيز تجاه فلسطين في حرب١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، د. عبداللطيف بن محمد الحميد، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٧)، ١٤٢٦هـ.

١٧٤ ـ كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣ ـ ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ ـ ١٩٥٣م)، أ.د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٦هـ.

١٧٥ ـ معجم التراث (الكتاب الثاني ـ الخيل والإبل)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٦هـ.

١٧٦ ـ المقامات (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة ـ ٥)، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق د. عبدالله بن محمد المطوع، ١٤٢٦هـ.

١٧٧ ـ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة ـ ٤) تأليف حسن بن جمال ابن أحمد الريكي، درسه وحققه وعلق عليه

أ.د عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٢٦هـ.

١٧٨ ـ التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة ـ ٧) تأليف جمال الدين محمد بن أحمد المطري، درسه وحققه وعلق عليه أ.د سليمان الرحيلي، ١٤٢٦هـ.

١٧٩ ـ السجل العلمي للقاء العلمي لمسؤولي التحرير في المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (١٩/٣/١٤٢٥هـ الموافق ٨/٥/٢٠٠٤م)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٠ ـ أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور (دراسة دلالية تأصيلية)، د. محمد ابن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٨)، ١٤٢٦هـ.

١٨١ ـ المختارات من صحيفة أم القرى (١٣٤٣ ـ ١٣٧٣هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٢ ـ دُومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ـ دراسة تاريخية حضارية، نايف بن علي السنيد الشراري، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٣ ـ رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة إسماعيل جغمان، تحقيق د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٤ ـ صحيفة أم القرى ـ نبذة تاريخية موجزة، أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي، ١٤٢٦هـ.

١٨٥ ـ وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز ١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ، د. خولة بنت محمد الشويعر، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٠)، ١٤٢٦هـ.

١٨٦ ـ الكشاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٧ ـ أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة (١٣٤٣ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤ ـ ١٩٥٣م)، أ.د.ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٧هـ.

١٨٨ ـ LORD OF ARABIA IBN SAUD (ابن سعود سيد الجزيرة العربية)، ARMSTRONG (تأليف أرمسترنج)، ١٤٢٦هـ.

١٨٩ ـ إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (القسم الثاني من الجزء الأول)، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تعليق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، ومحمد بن

عبدالله الحميِّد، وفائز بن موسى البدراني الحربي، ١٤٢٧هـ.

١٩٠ ـ الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ)، محمد محمود خلف العناقرة، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢١)، ١٤٢٧هـ.

١٩١ ـ التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣ ـ ١٣٥١هـ)، منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٢ ـ المملكة العربية السعودية وفلسطين، بحوث ودراسات، بحوث ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز ٢٧ ـ ٢٩ من المحرم سنة ١٤٢٢هـ (٢١ ـ ٢٣ إبريل عام٢٠٠١م)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

١٩٣ ـ النشاط العلمي في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال مواسم الحج في العصر الأموي ٤١ ـ ١٣٢هـ (٦٦١ ـ ٧٥٠م)، د. إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح،(سلسلة كتاب الدارة ـ ١٠)، ١٤٢٧هـ.

١٩٤ ـ قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ المؤرخ والنسابة إبراهيم بن عيسى، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام، ١٤٢٧هـ.

١٩٥ ـ التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، هدى بنت فهد بن محمد الزويد، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٣)، ١٤٢٧هـ.

١٩٦ ـ مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية: دراسة تاريخية آثارية، د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، (سلسلة كتاب الدارة ـ ١١)، ١٤٢٧هـ.

١٩٧ ـ النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. عبدالله بن محمد السيف، (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٨ ـ زيارة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز آل فيصل آل سعود للولايات المتحدة بدعوة من الرئيس دوايت د. إيزنهاور سنة ١٣٧٦هـ (عام ١٩٥٧م) (أعادت الدارة طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة سنة ١٤٢٧هـ (نوفمبر عام ٢٠٠٦م).

١٩٩ ـ مجموعة رسوم تذكارية لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية إلى الظهران خلال شهر يناير ١٩٥٠م (أعادت الدارة طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة سنة ١٤٢٧هـ (نوفمبر عام ٢٠٠٦م).

٢٠٠ ـ الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود «دراسة تاريخية حضارية معمارية»، محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة سنة ١٤٢٧هـ (نوفمبر عام ٢٠٠٦م).

٢٠١ ـ التعليم في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣ ـ ١٣٨٤هـ (١٩٥٣ ـ ١٩٦٤م) دراسة تاريخية وثائقية، د. حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٤)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة سنة ١٤٢٧هـ (نوفمبر عام ٢٠٠٦م).

٢٠٢ ـ مكتبة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة سنة ١٤٢٧هـ (نوفمبر عام ٢٠٠٦م)، ١٤٢٧هـ.

٢٠٣ ـ معجم التراث (الكتاب الثالث ـ بيت السكن)، سعد بن عبدالله ابن جنيدل، سنة ١٤٢٧هـ (عام ٢٠٠٦م).

٢٠٤ ـ منطقة الوشم في عهد الدولة السعودية الأولى، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٥)، سنة ١٤٢٧هـ (عام ٢٠٠٦م).

٢٠٥ ـ بحوث ندوة أسماء الأمكنة الجغرافية في المملكة العربية السعودية: بحوث الندوة التي عقدتها الدارة في المدة من ١٠ ـ ١١ / ٣/ ١٤٢٤هـ الموافق ١١ ـ ١٢/ ٥/ ٢٠٠٣م، دارة الملك عبدالعزيز، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٦م).

٢٠٦ ـ دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة «رم» بين ثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، د. خالد بن محمد أسكوبي (سلسلة الرسائل

الجامعية ـ ٢٦)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢٠٧ ـ موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، د. خالد محمد سالم العمايرة (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٧)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢٠٨ ـ العلاقات السعودية الأمريكية: نشأتها وتطورها، د. سميرة أحمد سنبل (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٨)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢٠٩ ـ عشرة آلاف ميل عبر الجزيرة العربية، تأليف: أرنست فيزة، ترجمة: أ. د عمر بن عبدالله باقبص (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٣)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٠ ـ كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، د. عواطف بنت محمد يوسف نواب (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٩)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١١ ـ البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا ـ سورية ـ العراق ـ فلسطين، تأليف لـ. أثبيتيا دي مورس، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العمير، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٢ ـ معجم التراث (الكتاب الرابع ـ الأطعمة وآنيتها)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٨هـ.

٢١٣ ـ الترويح في المجتمع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ (١٩٠٢ ـ ١٩٥٣م)، د. عبدالله بن ناصر السدحان (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٤)، ١٤٢٨هـ.

٢١٤ ـ خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٥ ـ مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، تأليف إلدون رترّ، ترجمة د. عبدالله نصيف، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٦ ـ العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢ ـ ١٩٥٣م، أ .طلال بن خالد الطريفي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣٠)، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٧ ـ رحالة إسباني في الجزيرة العربية: رحلة (علي باي

العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، تأليف دومنجو باديا، ترجمة د. صالح بن محمد السنيدي، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٨ ـ معجم ما ألف عن مكة المكرمة عبر العصور، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢١٩ ـ التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني المنعقد في الرياض في المدة من ٢٦ ـ ٢٧ محرم ١٤٢٧هـ/ ٢٥ ـ ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التعليم التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢٢٠ ـ المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات، بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام المنعقد في الرياض خلال المدة من ٧ ـ ١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٨ يناير ١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٧م).

٢٢١ ـ PROMINENT WOMEN FROM CENTRAL ARABIA «نساء شهيرات من نجد»، تأليف دلال بنت مخلد الحربي، ترجمة د. محمد أباحسين، د. محمد الفريح، سنة ١٤٢٨هـ (عام ٢٠٠٨م). (باللغة الإنجليزية)

٢٢٢ ـ مكتبة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ (مايو عام ٢٠٠٨م).

٢٢٣ ـ تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، د. بصيرة بنت إبراهيم الداود (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣١)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ (مايو عام ٢٠٠٨م).

٢٢٤ ـ سياسة الملك فيصل الدعوية، د. إبراهيم بن عبدالله السماري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣٢)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى

الأولى سنة ١٤٢٩هـ (مايو عام ٢٠٠٨م).

٢٢٥ ـ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: رؤى وذكريات، د. فهد ابن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ (مايو عام ٢٠٠٨م).

٢٢٦ ـ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة من ٥ ـ ٧ ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، دارة الملك عبدالعزيز، سنة ١٤٢٩هـ (عام ٢٠٠٨م).

٢٢٧ ـ كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: دراسة تاريخية حضارية، أ. محمد بن حسن الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ (مايو عام ٢٠٠٨م).

٢٢٨ ـ KINGS AND CAMELS: AN AMERICAN IN SAUDI ARABIA «ملوك وجمال: أمريكي في المملكة العربية السعودية»، تأليف GRANT C. BUTLER، ٢٠٠٨م. (باللغة الإنجليزية).

٢٢٩ ـ المجامر القديمة في تيماء: دراسة آثارية مقارنة، أ. محمد بن معاضة بن معيوف، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣٢)، سنة ١٤٢٩هـ (عام ٢٠٠٨م).

٢٣٠ ـ التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية، في القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي، أ. د. أحمد حسين العقبي، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣٤)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٣١ ـ مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة: دراسة تحليلية لعوامل انتقالها واندثارها بعد سقوط الدرعية، أ. حمد بن عبدالله العنقري، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٢ ـ يوميات حسين عبدالله باسلامه ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، إعداد: أ .د. عبدالله بن حسين باسلامه، (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٦)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٣ ـ دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية: الواقع والآفاق، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث المنعقد في مدينة فاس بالمملكة المغربية خلال المدة من ١٧ ـ ١٩ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩ ـ ٣١ أكتوبر ٢٠٠٧م، بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وجامعة سيدي محمد بن عبدالله بالمملكة المغربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٤ ـ في أرض الشحر والأحقاف، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٥ ـ مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، تأليف: أغسطس رالي، تحقيق: د. معراج نواب مرزا، أ.د .محمد محمود السرياني، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٦ ـ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ١ ـ ٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٦ ـ ٨ مايو ٢٠٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٧ ـ نهضة الجزيرة العربية، تأليف: د. جورج خيرالله، ترجمة: أ. وديع فلسطين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٨ ـ أمثال شعبية من الجزيرة العربية مقتبسة من نصوص شرعية، د. عبدالعزيز بن محمد السدحان، (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٧)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٩ ـ أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤٠ ـ مآل مكتبات علماء المملكة العربية السعودية، أ. أحمد العلاونة، (سلسلة كتاب الدارة ـ ١٨)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤١ ـ MUHAMMAD IBN ABD AL-WAHHAB: THE MAN AND HIS WORKS «محمد بن عبدالوهاب وأعماله»، تأليف: د. عبدالله بن صالح العثيمين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. (باللغة الإنجليزية).

٢٤٢ ـ المعسكر الكشفي الأول (الجامبوري) المنعقد بجدة في شعبان ١٣٧٨هـ، تحرير: د. فهد

ابن عبدالله السماري، (سلسلة الإصدارات التوثيقية ـ ١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٣ ـ ملامح إنسانية من سيرة الملك عبدالعزيز، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٤ ـ حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها ١٢٣١ ـ ١٢٣٣هـ/ ١٨١٦ ـ ١٨١٨م، أ. فاطمة بنت حسين القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣٥)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.